جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا
دائرة القران الكريم والدراسات الإسلامية
شعبة التفسير وعلوم القران

اختيارات الإمام القرطبي في الآيات الكونية من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن (دراسة تحليلية وصفية)

بحث مقدم لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير)

إعداد الطالب
عبد الرحمن أحمد علي العليي

إشراف الدكتور
أ. د/ فيصل الطاهر خلف الله

١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

بسم الله الرحمن الرحيم

اســـتـــهـــــــــلال

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1].

(١) فصلت: (٥٣).

إهـــــــــــــــداء

إلى والديَّ الغاليين أطال الله عمريهما، وأحسن عملهما

وإلى إخواني الأعزاء وأخواتي الكريمات

وإلى زوجتي وأولادي.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي باكورة بحثي، وأطروحة رسالتي فأسأل المولى –جل شأنه– أن يثقل به حسناتي وأن يعلي به درجاتي.

شـكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فله الحمد والثناء الحسن، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أتقدم بالشكر لمن هم أهل الفضل بعد الله –عز وجل– في إنجاز هذه الرسالة، وأخص بالشكر والعرفان شيخي وأستاذي المشرف على الرسالة فضيلة الدكتور/ **فيصل الطاهر خلف الله**، الذي لم يبخل عليَّ بثمين وقته، وتوجيهاته القيِّمة، وتصويب قلمه، ومما شجعني على اللقاء به، والجلوس معه، سعة صدره، وأخلاقه الفاضلة وتواضعه، فأنعم به من عالم مربٍ، أسأل الله أن يطيل في عمره لخدمة دينه، ويرزقه حسن الخاتمة، ويجزيه عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر والعرفان لجامعتنا العامرة جامعة القرآن الكريم، والتي كان لي كل الشرف بالانتساب إليها ممثلة في رئاستها، وعمادة الدراسات العليا وموظفيها.

كما أتقدم بالشكر لفضيلة الأستاذين الجليلين عضوي لجنة المناقشة فضيلة الدكتور/ **قرشي حسن طه**، مناقشاً خارجياً، وفضيلة الدكتور/ **مبارك إبراهيم التيجاني**، مناقشاً داخلياً، والشكر لكل الإخوة في مكتبة جامعة القرآن الكريم، والمكتبة المركزية بجامعة أم درمان الإسلامية، وجامعة إفريقيا الإسلامية، لتعاونهم على توفير المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث، والشكر لكل من شجعني في مواصلة دراستي هذه، كما أشكر كل من حضر هذه المناقشة، فلهم مني كل الشكر والعرفان، وجزاهم الله عني خير الجزاء ورفع درجاتهم في الصالحين.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد.

الرسالة بعنوان: اختيارات الإمام القرطبي في الآيات الكونية من خلال تفسيره الجامع لأحكام القران (دراسة تحليلية وصفية).

تتكون الرسلة من مقدمة، وبابين، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: تشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، ومنهجيته.

أما الباب الأول ويشمل فصلين: الفصل الأول: تضمن التعريف بالإمام القرطبي، وذلك ببيان اسمه وكنيته ونسبه، ومولده ونشأته، وطبقته، وعلمه، وهديه، وتلاميذه، ومشايخه، ووفاته، وثناء العلماء عليه، واستعراض الحالة السياسية، والاجتماعية والثقافية والعلمية، ويتضمن هذا الفصل أيضاً بيان مذهبه الفقهي، وعقيدته، ومصادر ثقافته.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن منهج الإمام القرطبي في التفسير، ويتضمن التعريف بالتفسير وأهميتة، وعنايته بالمناسبات، والقراءات، وأسباب النزول، كذلك منهجه في الاختيار والترجيح، ووضحت الدراسة صيغ الترجيح ووجوهه عند القرطبي، مع ذكر أمثلة تطبيقية لها.

والفصل الثالث والرابع: وهو جوهر الرسالة، الذي عني باختيارات الإمام القرطبي، في الآيات الكونية، في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ودراسة هذه الاختيارات والترجيحات دراسة تحليلية وصفية.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات والفهارس الفنية الكاشفة عن مضامين الرسالة.

The Abstract

The researcher adopted the descriptive analytic method . this study aimed to cure the contemporary thought aberrances through the means, manners, and curriculum of Dawah. This study contains an introduction and five chapters. The introduction contains the importance of the research , rational, question of the study, and previous scientific studies which related to the topic. The first chapter contained the definition of terms of the study. The second chapter: was about reasons of contemporary thought aberrances with its two types : internal and external. The third chapter studying aspects of contemporary thought aberrances with three aspects (doctrine worshiping , behavior). The forth chapter contains the Dawah mains which we can use them to cure contemporary thought aberrances . the fifth chapter remedies for contemporary thought aberrances through means , manners, and curriculum of Dawah.

The researcher reaches an important result that is to start treat the reasons of internal thought aberrances that easiest to treat the external thought aberrances, and one of the factors of scientist success to treat such ,contemporary thought aberrances, is the variety of manners of Dawah through treatment which is suitable with the moment situation which make consideration for the aberrance person, type of aberrance, and abilities of Dawah man. One of the most recommendation of the researcher is to have complete and different means of Dawah to have protection from contemporary thought aberrances. Also to have union of internal Dawah for our nation to face the external contemporary thought aberrances.

المقدمة

الحمد لله الذي أحاط علمه الكائنات، وشهدت بألوهيته الآيات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد.

فقد اهتم علماء الإسلام جميعاً بتفسير كتاب الله تعالى، وبيان معانيه؛ طلباً للهداية؛ وتوخياً لتنفيذ أحكام الشـــريعة والقيام بها على أتم وجه أراده الله تعالى من عباده، ولما كان القرآن قد نزل بلغة العرب، وكان الرسول –صلى الله عليه وسلم– يبين بعض ما يسـأله الصـحابة عنه من معاني القرآن الكريم، وكذلك فعل الصـحابة ومن بعدهم، فاعتبر العلماء في معاني القرآن ما جاء عن النبي، أو عن الســـلف الصـــالح بياناً لكتاب لله، وإذا لم يرد تفســـير مأثور لآية، فإنها تفهم في ضـــوء لغة العرب وأساليبها.

وبيان معاني كلام الله يعتبر من أفضـــل العلوم لتعلقه بأشـــرف الكلام على الإطلاق، وهو كلام الله تعالى.

ومن بين هؤلاء العلماء الأفذاذ، عالم اشـتهر تفسـيره، واسـتفاد منه الباحثون في شـتى المجالات، إنه الإمام القرطبي، حيث جمع في تفسيره فنوناً عديدة، فهو يعرض فيه لأســـباب النزول، والقراءات، والإعراب، والغريب من الألفاظ، ويحتكم كثيراً إلى اللغة، ويكثر الاســتشـــهاد بأشـــعار العرب، ويرد على الفرق الضـــالة، ويتطرق إلى الأحكام الفقهية في المسائل عند تفسير الآيات.

ففي تفسـيره أنهار من العلم، ينهل منها كل ظامئ ويصـــدر عنها مرتوياً، وهكذا قد فعل طلاب العلم، فقد بحثوا في هذا التفســـير جوانب اللغة، والنحو، والفقه، والقراءات، وغيرها.

ولأن مقصد ومنتهى هذه البحوث هو عبادة الله –عز وجل– على مراده سبحانه وتعالى، فقد يممت قبله القصد، واشتدت العزيمة إلى الاهتمام بالآيات الكونية خلال اختيارات الإمام القرطبي في تفسيره حيث واختياراته في التفسير لا تكاد تحصى، وله قواعد معتمدة في الاختيارات والترجيح.

أهمية الموضوع:

إن شرف العلم بشرف المعلوم، فعلم التفسير من أشرف العلوم؛ لتعلقه بكتاب الله عز وجل، ومن هنا تأتي أهمية البحث للوقوف على جهود عالم من الأعلام الذين خدموا هذا العلم، والكشف عن جهوده في خدمة كتاب الله –عز وجل– وقيمة هذا التفسير وإظهار شخصية الإمام القرطبي، والمصادر التي اعتمد عليها في التفسير، ومكانة الإمام القرطبي ومنزلته بين الفقهاء والمجتهدين على تنوع شـــرائحهم، واختلاف مذاهبهم، فرغبت في الاطلاع على اختيارات وترجيحات هذا الإمام، والاستفادة منه.

أسباب اختيار الموضوع:

وأما أبرز الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع فهيَ كالتالي.

١– بيان جهود الإمام القرطبي في تفســـير كتاب الله من خلال تفســـيره: (الجامع لأحكام القرآن).

٢– الإسهام في خدمة كتاب الله تعالى.

٣– جمع الاختيارات التي انفرد بها، ثم تجلية ما فيها من معانٍ ودلالات، والموازنة بينها.

٤– الازدياد من فقه القرآن، والاطلاع على مناهج المفســرين الأوائل الذين وضــعوا اللبنات الأولى لهذا العلم.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث التي يراد الوصول إليها فيما يلي:

١- توسيع دائرة الموازنة بين أقوال الأئمة، وإثراء الملكة الفكرية بدراسة أقوال السلف الصالح في بيان معاني كلام الله تعالى.

٢- إثراء البحث العلمي في مجال التفسير الاختياري الذي أولته جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية جل عنايتها.

الدراسات السابقة في الموضوع:

توصل الباحث من خلال اطلاعه على مجموعة من الدراسات السابقة في هذا الموضوع وهي:

١-(منهج الإمام القرطبي في استنباط الأحكام من خلال تفسيره) (الجامع لأحكام القرآن)، رسالة ماجستير، أعدها: حارث محمد سلامة العيسى.

٢-(القرطبي مفسراً)، رسالة ماجستير أعدها: علي سليمان العبيد، جامعة الإمام محمد بن سعود.

٣-(القرطبي نحوياً من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن)، رسالة ماجستير، أعدتها . قاطنة المحرش.

٤-(اختيارات الإمام القرطبي الفقهية في فقه الأسرة)، رسالة ماجستير، أعدها: عبد الله صالح سعد الطويل، جامعة الإمام محمد بن سعود.

حدود البحث:

سيكون هذا البحث . بعون الله تعالى . منصباً على "اختيارات الإمام القرطبي في الآيات الكونية من خلال تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن)".

منهج البحث:

إن المنهجية التي اتخذها الباحث في بحثه هذا يمكن إجمالها في الآتي:

١- اتباع المنهج الاستقرائي الوصفي.

٢- إفراد فصل للتعريف بالإمام القرطبي، أتناول فيه بصورة موجزة بيان حياته الشخصية والعلمية.

٣- جمع الاختيارات التي انفرد بها القرطبي.

٤- سلوك المنهجية في جمع الأقوال تعتمد على التالي:

أ. رتبت الأقوال على حسب ترتيب السور.

ب . حذفت الأسانيد، إيثاراً للاختصار.

٥- توثيق الآيات القرآنية من مواضعها في المصحف الشريف بالخط العثماني.

٦- تخريج الأحاديث من مراجعها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما خرجته فيهما، واكتفيت بنسبته إليها بالجزء أو الصفحة والرقم، وإن كان في غيرهم أنسبه وبينت كلام أهل الحديث في الحكم عليه.

٧- جمع الاختيارات التي انفرد بها القرطبي ومن ثم مناقشتها، وبيان الراجح فيها.

٨- ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في صلب البحث، بذكر الاسم واللقب والكنية وأبرز الأوصاف، وأبرز المؤلفات، وذلك بالاعتماد على المراجع المعتمدة في كتب التراجم.

٩- ذكر معلومات الكتاب عند أول وروده، وذلك بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، ودور النشر، ومكانه، ورقم الطبعة، وتاريخها إن وجد.

هيكل البحث:

ويشتمل على مقدمة وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، ومنهجية البحث، وبابين، وفصول، ومباحث، ومطالب، وخاتمة، وفهارس.

الباب الأول: ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالإمام (القرطبي) وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول:

التعريف بالإمام القرطبي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، وكنيته، ومولده، ونشأته، وفيه فرعان.

الفرع الأول: اسمه وكنيته.

الفرع الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثاني: طبقته، وعلمه، وهديه، وتلاميذه، ومشايخه، وفيه فرعان.

الفرع الأول: طبقته وعلمه وهديه.

الفرع الثاني: مشايخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: وفاته، وثناء العلماء عليه، وفيه فرعان:

الفرع الأول: وفاته.

الفرع الثاني: ثناء العلماء عليه.

المبحث الثاني:

التعريف بالحالة التي عاشها الإمام القرطبي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاقتصادية.

المطلب الثالث: الحالة الثقافية والعلمية.

المبحث الثالث:

مذهب الإمام القرطبي وعقيدته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مذهبه الفقهي وعقيدته.

المطلب الثاني: مصادر ثقافته.

الفصل الثاني:

كتاب القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، وأهميته:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

تفسير القرطبي وأهميته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالتفسير (الجامع لأحكام القرآن).

المطلب الثاني: أهمية التفسير (الجامع لأحكام القرآن).

المبحث الثاني:

المنهج العام في تفسير الإمام القرطبي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عنايته بالمناسبات بين آيات القرآن وسوره.

المطلب الثاني: عنايته بالقراءات.

المطلب الثالث: عنايته بأسباب النزول.

المبحث الثالث:

منهج الإمام القرطبي في الاختيار والترجيح.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاختيار والترجيح.

المطلب الثاني: صيغ الترجيح عند الإمام القرطبي.

المطلب الثالث: وجوه الترجيح عند الإمام القرطبي.

الفصل الثالث:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات خلق الأرض والسموات، واختلاف الليل والنهار.

المبحث الأول:

اختيارات الإمام القرطبي في خلق الأرض والسموات، واختلاف الليل والنهار.

وفيه مطلبان.

المطلب الأول: اختياراته في آيات خلق الأرض والسموات.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات الليل، والنهار.

المبحث الثاني:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات نزول المطر لإحياء الأرض وتصريف الرياح والسحاب.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختياراته في آيات نزول المطر لإحياء الأرض.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات تصريف الرياح والسحاب.

المبحث الثالث:

خلق الإنسان، وجلده، واختلاف الكائنات.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختياراته في آيات خلق الإنسان، وجلده.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات اختلاف الكائنات.

الفصل الرابع:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات التحريم، والفلك، والتأمل.

المبحث الأول:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اختياراته في آيات تحريم الميتة، والدم.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات لحم الخنزير.

المطلب الثالث: اختياراته في آيات تحريم المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع.

المبحث الثاني:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات ضرب الأمثال للناس، ونزول النعم، وحمل نوح وذريته في الفلك.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اختياراته في آيات ضرب الأمثال للناس.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات نزول النعم ومنها، مائدة بني إسرائيل.

المطلب الثالث: اختياراته في آيات حمل ذرية نوح في الفلك.

المبحث الثالث:

نداء الفطرة عند الشدة، والتأمل في آيات الله.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختياراته في آيات نداء الفطرة عند الشدة.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات التأمل في آيات الله.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات.

الفهارس:

وتشتمل على:

. فهرس الآيات القرآنية.

. فهرس الأحاديث النبوية.

. فهرس الأماكن والبلدان.

. فهرس الأعلام.

. فهرس المصادر، والمراجع.

الباب الأول:

ويشتمل على فصلين.

الفصل الأول: التعريف بالإمام (القرطبي).

الفصل الثاني: كتاب الجامع لأحكام القرآن وأهميته.

الفصل الأول:

التعريف بالإمام القرطبي.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالإمام القرطبي.

المبحث الثاني: عصر الإمام القرطبي.

المبحث الثالث: مذهب الإمام القرطبي وعقيدته.

المبحث الأول

التعريف بالإمام القرطبي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه وكنيته ومولده ونشأته.

المطلب الثاني: طبقته وعلمه وهديه وتلاميذه ومشايخه.

المطلب الثالث: وفاته وثناء العلماء عليه.

المطلب الأول:

اسمه وكنيته ومولده ونشأته، وفيه فرعان.

الفرع الأول: اسمه وكنيته.

اسمه:

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح –بسكون الراء والحاء المهملة– الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي.

كنيته: أبو عبد الله القرطبي(١).

الفرع الثاني: مولده ونشأته.

لم تشـــر كتب التراجم إلى تاريخ محدد لولادته، وقد ذُكر أنه ولد ما بين ٦٠٧–٦١٥هجري، وذلك لأن قرطبة ســـقطت في أيدي الأعداء عام ٦٣٣هجري، ويومها كان القرطبي في حصـن يدعى منثور، وكان وجوده هناك لقتال الأعداء ودفع الخطر عن بلده حيث إن أباه قتل ســـنة ٦٢٧هجرية من قبل النصـــارى، وهو يزاول زراعة أرضـــه مما بعث في نفســـه الإقدام على الجهاد، وإذا قلنا إنه في ســـنة ٦٣٣هجرية يقاتل الأعداء فإن السـن التي تؤهله لذلك تتراوح بين سـن السـابعة عشـرة والخامسـة والعشرين وبذلك يكون ميلاده منحصراً بين سنة ٦٠٧–٦١٥هجرية(٢).

نشـأ في قرطبة ونسـب إليها بل أصـبح أشـهر علم من أعلامها فعند ما يذكر القرطبي بالإطلاق فإن الأذهان تنصـرف إليه، نشـأ فيها وكانت حياته متواضـعة إذ كان من أسرةً متوسطة الحال، مع علم حسبه ونسبه إلا أنه أعلى من شأن أسرته بما قدم من آثار ومؤلفات، وفي قرطبة تعلم العربية والشـــعر إلى جانب تعلمه القرآن

---

(١) طبقات المفسرين: للداودي، دار الكتب العلمية/ بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنه من العلماء، (٦٩/٢).

(٢) الآراء الأصولية للأمام القرطبي رسالة دكتوراه منشوره، لأحمد عيسى يوسف، دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، (ص١١).

الكريم، وتلقى بها ثقافته الواســـعة في الفقه والنحو والقراءات، وكان إلى جانب تلقيه العلم ينقل الآجر[١] لصنع الخزف في فترة شبابه، وقد كانت صناعة الخزف والفخار من الصناعات التقليدية التي انتشرت في قرطبة آنذاك[٢].

وكانت قرطبة أكثر بلاد الأندلس كتباً، وكان أهلها أكثر الناس اعتناءً بخزائن الكتب، وهذه النزعات العلمية التي اتســـم بها خلفاء الموحدين وتلك المؤلفات التي غمرت بلاد الأندلس وشــجعت العلماء وروجت ســوق العلم، فتعددت الهيئات العلمية في ربوع الأندلس وبين جوانبها، ونهضــت العلوم الشــرعية كالفقه والحديث والتفســير والقراءات، وكذلك علوم اللغة والتاريخ والأدب والشـــعر، وكان لهذا كله أثر كبير في التكوين العلمي للإمام القرطبي –رحمه الله–.

(١) الآجر: هو الطين. لسان العرب: لأبن منظور، دار صادر بيروت، ط٣ ـ ١٤١٤هـ، (١١/٤).

(٢) موقع قصة الإسلام تحديث ٢٠٠٨.

المطلب الثاني:

طبقته وعلمه وهديه وتلاميذه ومشايخه، وفيه فرعان.

الفرع الأول: طبقته وعلمه وهديه.

أولاً: طبقته.

محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي. مصنف التفسير المشهور، الذي سارت به الركبان، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، سمع من ابن رواج[١]، ومن الجميزي[٢] وعدة، وروى عنه بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد، قال الذهبي[٣]: إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه ووفور فضله، مات بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى[٤] سنة إحدى وسبعين وستمائة[٥].

ثانياً: علمه.

---

(١) ابن رواج: هو المحدّث رشيد الدّين أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتّوح الإسكندراني المالكي، ولد سنة (٥٥٤هـ)، وسمع الكثير من السّلفي وطائفة، ونسخ الكثير، وخرّج «الأربعين»، وكان ذا دين وفقه وتواضع، توفي في ثامن عشر ذي القعدة، شذرات الذهب: لابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق / بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، (٧/ ٤١٨).

(٢) الجميزي: هو علي بن هبة الله بن سلامة أبو الحسن بهاء الدين اللخمي المصري الشافعيّ، ابن الجميزي: مسند الديار المصرية في عصره، وخطيبها ومدرسها، ولد سنة (٥٥٩هـ) سمع بها وبدمشق وبغداد والإسكندرية، وانتهت إليه مشيخة العلم بالديار المصرية، توفي سنة (٦٤٩هـ)، شذرات الذهب: (٤٢٥/٧).

(٣) الذهبي: هو أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرج، أبو جعفر، المعروف بالذهبي: فاضل أندلسي، ولد سنة (٥٥٤هـ)، أصله من المرية، وتوفي بتلمسان سنة (٦٠١هـ)، له (الإعلام بفوائد مسلم)، الأعلام للزركلي: دار العلم للملايين، ط٥، أيار / مايو ٢٠٠٢م، (١/ ١٦٧).

(٤) منية بني خصيب هي بلد بصعيد مصر: لب اللباب في تحرير الأنساب، جلال الدين السيوطي، دار صادر / بيروت، (٢٥٣/١).

(٥) طبقات المفسرين. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ.

كانت للإمام القرطبي –رحمه الله– مكانة علمية رفيعة وهذا ما رأيناه واضحاً في التكلم عن علمه وطلبه للعلم ومن خلال شيوخه الذين أخذ منهم وتلاميذه الذين تتلمذوا على يديه، وكذلك اشتهر القرطبي بكتب وتصانيف ألفها ولم يشتهر –رحمه الله– بمناصب تقلدها، وأن من أهم أسباب ذلك زهده وورعه، حيث أثنى عليه كل الذين ترجموا له، ووصفوه بالصلاح والعرفان، فقد قيل عنه في الديباج: (كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة)[1].

كذلك أثنى عليه صاحب "فوات الوفيات" بقوله: (له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطلاعه، ووفور علمه، منها: تفسير الكتاب العزيز)[2].

وهكذا كان –رحمه الله– صالحاً وورعاً وعالماً، والذي يتتبع كلامه يجد في تفسيره هذه الروح وهذا الصلاح، وهذا طبيعي لمن جالس الصالحين في عصره آنذاك والتقى بعلمائه، لا سيما وأنهم كانوا من العلماء الذين أمعنوا في العلم فصبغ ذلك على عباداتهم وأخلاقهم –رحمهم الله تعالى– المسَّقاة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) طبقات المفسرين: للداوودي (٦٥/٢).

(٢) فوات الوفيات: لابن شاكر، الملقب بصلاح الدين، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، (سبتمبر) ١٩٧٣م، (٢٩٨/١)،

ثالثاً: هديه.

قال عنه ابن فرحون[1]: " كان رحمه الله قد أطرح التكلف، يمشـــي بثوب واحد وعلى راســـه طاقية"[2]، وقال أيضـــاً " كان من عباد الله الصـــالحين، والعلماء العارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة"[3].

ومن مظاهر هديه وورعه وزهده (تصـــنيفه كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة)، و (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الأخرة).

الفرع الثاني: مشايخه وتلاميذه:

لقد تتلمذ الإمام القرطبي –رحمه الله– على شـــيوخ كبار في الأندلس موطنه الأول، ثم التقى بشـيوخ في مصـر تلقى عليهم العلم، وقد اسـتفاد من علمهم، وأفادهم من علمه، حيث إنه وصل إلى مصر وهو على درجة كبيرة من العلم.

أولاً: شيوخه.

أـ في الأندلس:

---

(١) ابن فرحون: هو إبراهيم بن علي بن محمد، بن فرحون، برهان الدين اليعمري: عالم بحاث، ولد ونشأ ومات في المدينة، سنة (٧٩٩هـ) وهو مغربي الأصل، تولى القضاء بالمدينة سنة ٧٩٣هـ، ثم أصيب بالفالج في شقه الأيسر، فمات بعلته عن نحو ٧٠ عاما، وهو من شيوخ المالكية، له: (الديباج المذهب) و(طبقات علماء الغرب) وغيرها، الأعلام للزركلي: (١/ ٥٢).

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لابن فرحون، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (١٦٤/١).

(٣) نفس المرجع: (١٦٤/١).

١-أبو جعفر أحمد بن محمد بن القيسي المعروف بأبي حجة[١]: من أهل قرطبة، ولما سقطت قرطبة في أيدي النصارى سنه ٦٣٣هـ، انتقل إلى (إشبيلية)[٢]، ومكث بها حيناً، ثم اتجه إلى (ميورقة)[٣] فأسرته الروم، وامتحن بالتعذيب، وتوفي على أثر ذلك بميورقة سنة ٦٤٣هـ، كان عالماً بالعربية وعلوم القرآن، وتصدر لإقراء القرآن، وله مؤلفات عديدة منها: (مختصر التبصرة في القراءات)، (وتسديد اللسان لذكر أنواع البيان)، (وتفهيم القلوب آيات علام الغيوب)، وقد ذكره القرطبي في تفسيره في مواضع عديدة[٤].

٢-أبو سليمان، ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبي[٥]، ابن قرطبة وقاضيها، كان رجلاً صالحاً، عدلاً في أحكامه، نبيه القدر، خرج من قرطبة لما استولى عليها الروم سنة ٦٣٣هـ، فنزل إشبيلية وبها توفي[٦].

٣-أبو عامر، يحيى بن عامر بن أحمد بن منيع الأشعري[٧]، من أهل قرطبة، وقد ذكره القرطبي في تفسيره، عند الآية الخامسة والأربعين بعد المائتين من سورة البقرة حيث قال: "أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام المحدث القاضي أبو عامر يحيى بن

---

(١) التكملة لكتاب الصلة: لابن آبار، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (١٠٨/١)، والأعلام للزركلي: (٢١٩/١)،

(٢) إشبيلية: بكسر الهمزة وسكون الشين وكسر الباء، مدينة عظيمة بالأندلس غربي قرطبة، معجم البلدان: دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، (٢٣٢/١).

(٣) ميورقة: بالفتح والضم وسكون الواو والراء، جزيرة في شرق الأندلس، انظر: معجم البلدان: (٢٨٥/٥)

(٤) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية / القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م، (٢٨٢/٤، ٣٦٩/٥).

(٥) المرجع نفسه (٢٨٢/٤)، والتكملة لكتاب الصلة: (٢٦٠/١).

(٦) التكملة: (٦٧/١).

(٧) الجامع: (٢٣٤/٣).

عامر بن أحمد بن منيع الأشعري نسباً ومذهباً بقرطبة أعادها الله في ربيع الآخر عام ثمانية وعشرين وستمائة قراءة مني عليه..."[١].

ونستنتج من كلام القرطبي أنه تلقى العلم على هذا الشيخ بقرطبة مع تحديد دقيق لتاريخ التلقي، وأن له رواية عن هذا الشيخ في سبب نزول هذه الآية متصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٤-أبو الحسن، علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري القرطبي" ابن قطرال"، ولد سنة ٥٦٣هـ، قال عنه الذهبي: "ولي قضاء أبزة[٢] فأسره العدو لما أخذوها سنة ٦٠٩هـ، ثم تخلص، وولي قضاء شاطبة [٣] وخطبتها، ثم سبتة[٤]، ثم قضاء فاس[٥]، وكان من رجال الكمال علماً وعملاً، يشارك في عدة فنون، ويمتاز بالبلاغة"، قال ابن الآبار[٦]: "مات في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وستمائة، وعاش ثمانٍ وثمانين سنة، وهو أحد أعلام زمانه"[٧]، وقد ذكره القرطبي في تفسيره[٨].

---

(١) المرجع نفسه: (٢٣٤/٣).

(٢) أبزة: مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية، وهي شرقي بلنسية وقرطبة قريبة منه، معجم البلدان: (٤/ ٣٠).

(٣) شاطبة: بالطاء المهملة، والباء الموحدة: مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة، قد خرج منها خلق من الفضلاء، معجم البلدان: (٣/ ٣٠٩).

(٤) سبتة: مدينة مشهورة بالأندلس، وقبالتها من البرّ بلاد البربر، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة، وهي شرقي شذونة، وقبلي قرطبة، معجم البلدان: (٢/ ١٣٦).

(٥) فاس: بالسين المهملة، بلفظ فاس النجّار: مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر، وأجلّ مدنه قبل أن تختطّ مرّاكش، قال أبو عبيد البكري: مدينة فاس مدينتان مفترقتان مسوّرتان، وهي مدينتان، معجم البلدان: (٤/ ٢٣٠).

(٦) ابن الآبار: هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، أبو عبد الله، ابن الآبار، ولد سنة كان منقطع القرين في الفضل والزهد والورع، مع العدالة والتواضع والإعراض عن الدّنيا والتقلل منها، وتوفي في رجب سنة(٦٥٨هـ)، من كتبه: (المعجم) في التراجم، و(إعتاب الكتاب)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٦/ ٣٥٣)، والأعلام للزركلي: (٦/ ٢٣٣).

(٧) التكملة: (١٩١/٣)، وشذرات الذهب: (٤٣٨/٧).

(٨) الجامع: (٢٨٢/٤).

ب ـ شيوخه بمصر:

١-"ابن رواج": أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح بن أبي الحسن القرشي الإسكندري (٥٥٤-٦٤٨هـ)، من علماء الإسكندرية وأئمتها في الحديث والفقه، قال عنه الذهبي: "الشيخ الإمام المحدث مسند الإسكندرية رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن رواج، واسمه ظافر بن علي بن فتوح الأزدي الإسكندراني المالكي، ولد سنة ٥٥٤هـ، كتب لنفسه فأكثر عن السلفي، وسمع من أبي الطاهر بن عوف. وكان فقيهاً فطناً ديناً متواضعاً صحيح السماع انقطع بموته شيء كثير، وكانت وفاته سنة ٦٤٨هـ، ١٨ ذي القعدة"[١].

٢-"ابن الجميزي": العالم الجليل بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن مسلم بن أحمد بن علي اللخمي المصري الشافعي كان عالماً كبيراً بالقراءات والحديث والفقه، وكانت له رحلات علمية التقى فيها بكثير من العلماء، وأخذ عنهم، فقرأ القراءات العشر على ابن عصرون عبد الله بن محمد بن هبه الله بن علي توفي سنة ٥٧٠هـ[٢]، ودرس عليه الفقه، وأخذ عنه الوسيط والوجيز للواحدي، وكان ذلك بالشام، ثم عاد إلى وطنه مصر، ولقد امتدحه كثير من العلماء وأثنوا عليه، قال الإمام الذهبي: تلقى الحديث على أكابر العلماء المحدثين وفضلائهم، وأنه شيخ الديار المصرية، وأنه مسدد الفتوى وافر الجلالة مسند زمانه.

---

(١) سير اعلام النبلاء: للذهبي، دار الحديث، القاهرة، (٢٣/٢٣٧).

(٢) ابن عصرون: هو عبد الله بن محمد بن هبة الله التميمي، شرف الدين أبو سعد، ابن أبي عصرون: فقيه شافعيّ، من أعيانهم ولد بالموصل، سنة (٤٩٢هـ)، وانتقل إلى بغداد، واستقر في دمشق، من كتبه: (صفوة المذهب على نهاية المطلب)، وغيرها، توفي سنة (٥٨٥هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ١٢٤).

وامتدحه الإمام السبكي[1] فقال:" كان الفقيه بهاء الدين خطيب الجامع بالقاهرة، ومدرس الديار المصرية، وشيخها، ورئيس العلماء بها، درس وأفتى دهراً، وكان كبير القدر، رفيع الجاه وافر الحرمة، معظماً عند الخاصة والعامة، "وأثنى عليه أستاذه ابن عصرون، وألبسه الطيلسان تشريفاً له على أقرانه، توفي يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة، سنة تسع وأربعين وستمائة"[2].

٣-أبو العباس: ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي، ولد بقرطبة سنة ٥٧٨هـ، وتتلمذ على شيوخها، ثم قدم الإسكندرية وأقام بها، وتتلمذ على شيوخها، ثم بعد ذلك تولى تدريس الحديث والفقه فانتفع الناس بعلمه الواسع، وكانت له شهرة عظيمة في زمانه وقد مدحه كثير من العلماء، فقال المقري[3] في نفح الطيب: "كان بارعاً في الفقه والعربية، عارفاً بالحديث"[4]، وقال ابن العماد[5] في الشذرات:" وكان من كبار الأئمة"[6].

---

(١) السبكي: هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقيّ الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، ولد سنة (٦٨٣هـ)، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات، له: (مختصر طبقات الفقهاء)، و (إحياء النفوس في صنعة إلقاء الدروس)، وغيرها، توفي سنة (٧٥٦هـ)، الأعلام للزركلي (٤/ ٣٠٢).

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ، (١٠٢/٣)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب: (٤٢٥/٧).

(٣) المقري: هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني، ولد ونشأ في تلمسان، سنة (٩٩٢هـ)، المؤرخ الأديب الحافظ، صاحب (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب)، و (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض)، وغيرها، توفي سنة (١٠٤١هـ)، الأعلام للزركلي (١/ ٢٣٧).

(٤) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ط١، ٢٠/ فبراير، ١٩٦٨م، (٦١٥/٢).

(٥) ابن العماد: هو عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح: مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب، ولد في صالحية دمشق، سنة (١٠٣٢هـ)، وأقام في القاهرة مدة طويلة، ومات بمكة حاجا، سنة (١٠٨٩هـ)، له: (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، و(شرح متن المنتهى)، وغيرها، الأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٠).

(٦) شذرات الذهب: (٤٧٣/٧).

وقال ابن كثير[١] في البداية والنهاية: "الفقيه المالكي، المحدث المدرس بالإسكندرية، ولد بقرطبة سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائة، وسمع الكثير هناك، واختصر الصحيحين، وشرح صحيح مسلم المسمى بالمفهم، وفيه أشياء حسنة مفيدة"[٢]، وقد تلقى الإمام القرطبي من أبي العباس[٣] العلم الغزير، ونقل عنه الكثير في كتابه التفسير[٤]، وكان ذلك في الإسكندرية، توفي أبو العباس في العشرين من جمادى الأول سنة ٦٤٠هـ[٥].

٤-القرافي: أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي البهنسي المصري المالكي، وقد رافق هذا الشيخ الإمام القرطبي في سفره إلى الفيوم[٦] بمصر، ولا بد أن كلاً منهما قد سمع من الآخر واستفاد من علمه، وقد كان القرافي عالماً بالفقه والأصول والعلوم العقلية وله عدة مؤلفات منها كتاب القواعد، وكتاب الذخيرة في الفقه المالكي، وكتاب المنجيات والموبقات في الأدعية، توفي سنة ٦٨٤هـ[٧].

---

(١) ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، سنة (٧٠١هـ) وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ. ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق، سنة (٧٧٤هـ)، من كتبه: (البداية والنهاية)، و (طبقات الفقهاء الشافعيين)، وغيرها، الأعلام للزركلي: (١/ ٣٢٠)

(٢) البداية والنهاية: لابن كثير، تحقيق: على شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (٢١٣/١٣).

(٣) أبي العباس: هو أحمد ابن الخليفة المستضيء بأمر الله حسن بن الخليفة المستنجد بالله يوسف العباسيّ الهاشمي البغدادي، ولد ببغداد سنة (٥٨٨هـ)، وتوفي سنة (٦٤٠هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لجمال الدين الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (٦/ ٣٤٥).

(٤) الجامع: (١٨/٤، ٢٢).

(٥) النجوم الزاهرة (٣٤٥/٦).

(٦) الفيوم: بالفتح، وتشديد ثانيه، ثم واو ساكنة، وميم، وهي ولاية بمصر غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين، وهي في منخفض الأرض كالدارة، معجم البلدان: (٢٨٦/٤).

(٧) الوافي بالوافيات: للصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث / بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، (٨٧/٢)، والأعلام للزركلي (٩٥/١).

٥- أبو محمد: عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي الإسكندراني، ولد سنة ٥٦٣هـ، وتوفي ٦٣٨هـ، وقد ذكره الإمام القرطبي في تفسيره في مواطن عدة، منها عند تفسير الآية (١٣٥) من سورة آل عمران، حيث قال القرطبي: "وقد تأول كثير من الناس فيما ذكر شيخنا أبو محمد المعطي الإسكندراني رضي الله عنه، أن الإمام المحاسبي[١] -رحمه الله-، يرى أن التوبة من أجناس المعاصي لا تصح، وأن الندم على جملتها لا يكفي، بل لابد أن يتوب من كل فعل بجارحته وكل عقد بقلبه على التعيين"[٢].

٦-أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي، هذا الشيخ تفرد بذكره المقري في نفح الطيب، عندما عده من شيوخ القرطبي، حيث قال: "وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي"[٣].

٧-الحسن البكري: الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك القرشي التميمي النيسابوري ثم الدمشقي أبو علي صدر الدين البكري، ولد بدمشق سنة ٥٧٤هـ، وقد كان كثير الرحلات طلباً للعلم، حتى أُطلق عليه "الرحال"، كان له اشتغال بالتأريخ، وقد شرع عمل ذيل لتاريخ ابن عساكر[٤]، قال عنه الذهبي عندما ترجم له:" الشيخ الإمام المحدث المفيد الرحال"[٥]، وقال: "ليس هو بالقوي، ضعفه ابن

---

(١) المحاسبي: هو الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية، كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مُبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. من كتبه: (آداب النفوس)، و (شرح المعرفة) وغيرها، توفي سنة (٢٤٣هـ)، طبقات الصوفية: للنيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، (٥٨/١).

(٢) الجامع: (٢٥٥/٤).

(٣) نفح الطيب: (٣٤٥/٢).

(٤) ابن عساكر: هو أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله، أبو الفضل، تاج الأمناء ابن عساكر: معدّل من فقهاء الشافعية، دمشقي ولد سنة (٥٤٢هـ) وتوفي سنة (٦١٠هـ)، له كتاب: (الأنس في فضائل القدس)، و (مشيخة) خرّجها لنفسه، الوافي بالوفيات (١/ ٢١٩)، الأعلام للزركلي (١/ ٢١٧).

(٥) سير أعلام النبلاء: للذهبي، (٣٢٦/٢٣)، وتذكرة الحافظ: (١٤٤٤/٤).

الحاجب[1] فقال كان إماماً عالماً لسناً فصيحاً، مليح الشكل، أحد الرحالين، إلا أنه كان كثير الدعاوى"، أصيب بالفالج في أخريات حياته، وكان قد صلح حاله، فتحول إلى مصر ومات بها في ذي الحجة سنة ٦٥٦هـ[2]، وقد قرأ وتعلم القرطبي على الشيخ البكري في مصر كما صرح القرطبي بذلك عند تفسيره لسورة الصافات آية: (١٨٠-١٨٢) حيث قال القرطبي: "قرأت على الشيخ الإمام المحدث الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك البكري بالجزيرة قبالة المنصورة من الديار المصرية..."[3] ومن خلال هذا الكلام وما بعده نعلم أن للقرطبي رواية عن هذا الشيخ إلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم، حيث إن الرسولِ -صلى الله عليه وسلم- كان يقول هذه الآيات قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[4] في آخر صلاته أو حين ينصرف.

ثانياً: تلاميذه.

إن كتب الرجال والتراجم لم تحفظ لنا عن تلاميذ القرطبي شيئاً يناسب قدر القرطبي وعلمه وشهرته الكبيرة، فقد ذكر الداوودي[5] في كتابه طبقات المفسرين

---

(١) ابن حاجب: هو عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان بن داود، أبُو الحسين، المعروف بابن حاجب النعمان، أديب بغدادي، قال الخطيب في ترجمته: "كان أحد الكتّاب الحذاق بصناعة الكتابة وأمور الدواوين، وله كتب مصنفة في الهزل، توفي سنة (٣٥١هـ)، الأعلام للزركلي (٤/ ١٢)

(٢) سير أعلام النبلاء: للذهبي، (٤٢٢/٢٣)، وتذكرة الحافظ: (١٤٤٤/٤).

(٣) الجامع: (٦٤٥/١٥).

(٤) الصافات: (٨٠-٨٢).

(٥) الداوودي: هو محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي: شيخ أهل الحديث في عصره، مصري، من تلاميذ جلال الدين السيوطي، توفي بالقاهرة، سنة (٩٤٥هـ)، له كتب، منها (طبقات المفسرين) و (ذيل طبقات الشافعية للسبكي) و(ترجمة الحافظ السيوطي)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩١).

وكذلك السيوطي[١] أن ممن روى عن القرطبي ولده، فقال الداودي: "روى عنه ولده شهاب الدين أحمد"[٢]، وقال السيوطي في طبقات المفسرين: "روى عنه بالإجازة ولده شعاب الدين أحمد"[٣].

وقد ذكر المقري في نفح الطيب تلامذة للقرطبي يدافعون عنه دون ذكر أسمائهم حيث قال: "وفي تاريخ الكتبي[٤] في حقه ما نصه: "كان شيخاً فاضلاً وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمهِ،" وغضب بعض تلامذة القرطبي من ترجمة "الكتبي" له، وعلق عليها بقوله: "قد أجحف المصنف في ترجمته جداً، وكان متفنناً متبحراً في العلم"، وحاول بعض التلامذة أن يدافع عن الكتبي بأن الذهبي قد وفاه حقه في تاريخ الإسلام، وأنه لا داعي لمهاجمة الكتبي فقال: "مشاحة شيخنا للمصنف في هذه العبارة مالها فائدة، فإن الذهبي قال في تاريخ الإسلام: "العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الإمام القرطبي إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقلهِ وفضله، ثم ذكر موته، وقال بعده: وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، وله الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، والتذكرة، وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه"، ولكن ذلك الدفاع لم يعجب تلميذاً ثالثاً فانتقد الذهبي والكتبي معاً، ورد ذلك الدفاع فقال: "إذا كان

---

(١) السيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد سنة (٨٤٩هـ)، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، نشأ في القاهرة يتيما، مات والده وعمره خمس سنوات، توفي سنة (٩١١هـ)، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، الأعلام للزركلي (٣/ ٣٠١).

(٢) طبقات المفسرين: للداودي (٩٤٥/٢).

(٣) طبقات المفسرين: للسيوطي (٣٤٦/٢)

(٤) الكتبي: هو محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي الدارانيّ الدمشقيّ، صلاح الدين: مؤرخ باحث، عارف بالادب، ولد في داريا (من قرى دمشق)، ونشأ وتوفي بدمشق، سنة (٧٦٤هـ)، صاحب (فوات الوفيات)، و(عيون التواريخ)، شذرات الذهب: (٦٣/١)، والأعلام للزركلي: (٦/ ١٥٦).

الذهبي ترجمه بما ذكرت وهو والله فوق ذلك فكيف تقول إن مشـاحة شـيخك لا فائدة فيها، وتسيء الأدب معه، وتقول: إن كلامه لا فائدة فيه، فالله يستر عليك"[1].

إن هذا الكلام يدل على أن للقرطبي تلاميذ كثر أخذوا عنه، وانتفعوا بعلمه، وعرفوا قدره، فدافعو عنه، ولكن للأسـف لم تذكر أسـماؤهم، وهذا لا ينقص من قدر وعظمة الإمام القرطبي، فمؤلفاته وخاصـه الجامع خير شـاهد على عظمة هذا الشـيخ وجلالة قدره.

(١) نفح الطيب: (٢/٢١١).

المطلب الثالث:

وفاته وثناء العلماء عليه، وفيه فرعان.

الفرع الأول: وفاته.

لقد استقر القرطبي في آخر حياته في منية بني خصيب، ولعل اختياره لها هو أنها الأكثر أمناً في مصر في ذلك الوقت خلافاً لحال الإسكندرية وما حولها حيث مباغتة الصليبيين لها بين الفينه والأخرى، ومن القاهرة عاصمة مصر حيث الخلافات الدائمة على الملك والسلطان.

ولقد توفي -رحمة الله عليه- بمنية بني خصيب بعد عمر معمور بالعبادة والتصنيف، مشغول بما يعينه من أمور الأخرة، في يوم الاثنين التاسع من شوال سنة: ٦٧١هـ، وقبره معروف (بالمنيا)[١] بشرق النيل، وقد تم بناء مسجد كبير يحمل اسم القرطبي سنة ١٩٧١م بالمنيا، يضم هذا المسجد ضريحاً نقل رفات القرطبي إليه من الضريح القديم[٢].

الفرع الثاني: ثناء العلماء عليه.

قال عنه الإمام الذهبي: "إمام متقن، متبرٌ في العلم، له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطلاعه، ووفور فضله"[٣].

وقال عنه ابن العماد: "وكان إماماً عالماً غواصاً من الغواصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيد النقل"[٤].

---

(١) المنيا: محافظه من محافظة مصر في صعيد مصر، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، (٣٤/١).

(٢) طبقات المفسرين: للداودي(٩٤٥/٢)، ونفح الطيب: (٣٤٥/٢).

(٣) طبقات المفسرين: للسيوطي (ص:٥٩)، الوافي بالوافيات: للصفدي (٨٧/٢).

(٤) شذرات الذهب: (٥٨٥/٧).

وقال عنه ابن فرحون: "كان من عباد الله الصـالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشـــغولين بما يعينهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعباده وتصنيف"[١].

وقال عنه محمد مخلوف:[٢] "العالم، الإمام، الجليل، الفاضـل، الفقيه، المفسـر، المحصل، المتقن، الكامل، كان من عباد الله، الصالحين، والعلماء العاملين..."[٣].

(١) الديباج المذهب: (ص:٤٠٧)، نفح الطيب: (٢/٢١٠).

(٢) محمد مخلوف: هو محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالِم مخلوف: عالم بتراجم المالكية، من المفتين، مولده سنة: (١٢٨٠هـ)، ووفاته في المنستير (بتونس) سنة (١٣٦٠هـ)، تعلم بجامع الزيتونة، اشتهر بكتابه (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية)، وله (مواهب الرحيم)، وغيرها، الأعلام للزركلي (٧/ ٨٢).

(٣) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لابن مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان، (١/٢٨٢).

المبحث الثاني:

عصر الإمام القرطبي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاقتصادية.

المطلب الثالث: الحالة الثقافية والعلمية.

المطلب الأول:

الحالة السياسية في الأندلس.

عاش الإمام القرطبي ما بين (٦٠٧-٦٧١هـ) حيث لم تكن هناك دولة إسلامية موحدة في عصره، بل كانت هناك عدة دويلات، ففي المغرب والأندلس كانت دولة الموحدين في أواخر عهدها، وفي مصر كانت الدولة الأيوبية في أواخر أيامها، وبداية حكم المماليك حيث إن القرطبي عاصر آخر أيام الأيوبيين وبداية حكم المماليك، وفي بغداد كانت الخلافة العباسية في أواخر أيامها[١]، وبما أن الإمام القرطبي ولد وعاش فترة من حياته في الأندلس، وانتقل بعد ذلك الى مصر فإني سوف أبدأ حديثي بعصر الموحدين في المغرب والأندلس، ثم عصر الأيوبيين والمماليك في متناول الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية التي عاشها الإمام القرطبي في هذه العصور والأماكن.

أولا: الحالة السياسية: عصر الموحدين في المغرب والأندلس.

دولة الموحدين (٥٢٤-٦٦٧هـ) وكانت دولة إفريقية إسلامية، نشأت في المغرب في أعقاب دولة المرابطين، وترجع في نشأتها إلى قبائل المصامدة [٢]، أواخر أيامها وجوهر دعوتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان مؤسسها ابن تومرت[٣] صاحب ورع ونسك وغيرة على الدين.

---

(١) اختيارات القرطبي في فقه المعاملات من كتاب الجامع لاحكام القرآن، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، إعداد الطالب/ محمد عبد القادر عبد الله، طبعة ١٤٣٤هـ.

(٢) المصامدة: هي قبائل من أقصى المغرب لهم بلاد كثيرة، يقال لها بلاد المصامدة، وينسب لهم كثير من العلماء، اللباب في تهذيب الأنساب: دار صادر بيروت، طبعه ١٤٠٠هـ، (٢١٩/١).

(٣) ابن تومرت: هو أبو عبد الله بن تومرت البربري المصمودي، لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة، واخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار لعقيدة السلف، سير أعلام النبلاء: للذهبي (٥٣٩/١٩).

وفي أعقاب ثورة أهل الأندلس على المرابطين وخلع طاعتهم وتردَّت الأندلس إلى مثل حالها في عهد ملوك الطوائف، وعاد الفرنجة يهاجمون المدن الإسلامية، فالتمس أهل الأندلس من الموحدين، فعبر عبد المؤمن[١] ســـنة: ٥٢٥هجرية إلى الأندلس، وفتح كثير من مدنها وضـــمها إلى ملكه وكان ذلك نهاية دولة المرابطين، وقيام دولة الموحدين بها.

قامت دولة الموحدين في الأندلس في الفترة المنحصـرة ما بين (٥٢٤-٦٦٧هـ)، وقد عاصـر الإمام القرطبي عهد الناصـر لدين الله محمد بن يعقوب الذي بايعه أبوه بالخلافة سـنة: ٥٩٥هجرية، وقد ثار على الموحدين في مسـتهل عهد الناصـر لدين الله رجل يدعى علودان الغامري، ولكن الناصـــر أحل به الهزيمة، ثم اتجه إلى حرب ابن غنـاية بأفريقية، وكان قد اســـتولى على المهدية[٢]، ثم نزل تونس وهزم الحامية الموحدية فيها، وسـار جيش الموحدين لحرب ابن غانية[٣]، وحاصـره وانتصـر عليه، وعين الناصر وزيره أبا محمد عبد الواحد بن حفص الهنتاتي والياً على أفريقية[٤].

استطال الفونس[٥] على ثغور المسلمين بالأندلس، وجاءت الأخبار للناصر وهو بمراكش[٦] أن الفنش يغير على قراها وينهب الأموال، ويسـبي النسـاء والذرية، فهمه

---

(١) أي: أمير المؤمنين بالمغرب، عبد المؤمن بن علي بن علوي القيسي المغربي الكومي التلمساني، ولد بقرية من ضياع تلمسان سنة: (٤٨٧هـ)، وتوفي سنة: (٥٥٨هـ)، الوافي بالوفيات: (٢٦٧/٦).

(٢) المهدية: بالفتح ثم السكون، من مدن إفريقية، معجم البلدان: (٢٢٩/٥).

(٣) ابن غانية: هو علي بن إسحاق بن محمد بن غانية: أمير جزائر الباليار (Baleares) ميورقة وما حولها، في شرقي الأندلس. تولاها مستقلا، بعد وفاة أبيه سنة: (٥٧٩هـ)، بعهد منه، توفي سنة: (٥٨٥هـ)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٣)

(٤) تاريخ الإسلام: شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي لبنان، ط٢، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م، والزركلي، (٢١٨/٤).

(٥) الفونس: أحد ملوك الفرنجة، بدر الدين العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: دون تاريخ، (١٨٤/١).

(٦) مراكش: بالفتح ثم التشديد، وضم الكاف، وشين معجمة: أعظم مدينة بالمغرب، وأجلّها، وبها سرير ملك بني عبد المؤمن، وهي في البرّ الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام، معجم البلدان: (٥/ ٩٤).

ذلك فكتب إلى الشيخ محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب أفريقية يستشيره في الغزو فأبى عليه، فخالفه وأخذ في الحركة للجهاد[١].

وكتب يستنفر المسلمين لغزو الكفار فأجابه خلق كثير، وحكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب أنه اجتمع مع الناصر في هذه الغزوة من أهل المغرب والأندلس ستمائة ألف مقاتل، وكان الناصر قد أعجبه ما رأى من كثرة جنوده، فأيقن بالنصر، وقد اهتزت جميع بلاد الإفرنج لجيش الناصر، وأخذوا في إخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم، وكتب إليه أكثر أمرائهم يطلبون السلم.

غازياً بلاد قشتالة في أوائل عام: ٦٠٨هجري، فسار حتى وصل إليه ثم خرج الناصر إلى إشبيلية[٢] حصن سلبطرة منيع ليس له مسلك إلا من طريق واحد[٣].

وقد أشار عليه أحد شيوخ الموحدين بأن يعدل عن حصار هذا الحصن لصعوبة اقتحامه وأن يسير إلى ناحية أخرى، لكنه أخذ برأي وزيره أبي سعيد بن جامع الذي أشار عليه بأن يظل على حصار الحصن حتى يسقط، وقد ظل الحصار نحو ثمانية أشهر حتى مل الجند وقلت الأقوات ولما سمع الفونس بما آل إليه الجند المسلمون دعا المقاتلين من سائر ممالك النصارى، واحتل قلعة رباح من قائدها الموحدي أبي الحجاج يوسف بن قادس، ولما سمع الناصر لدين الله بذلك أغار على حصن سلبطرة واستولى عليه، ثم التقى الجيشان في حصن العقاب فسار النصارى على

---

(١) الاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى: لأبي العباس، دار الكتاب، ط ١٩٥٤م، (٢٢٠/٢).

(٢) قشتالة وأشبيلية وسلبطرة مدينة بالأندلس تباين بلاد الأندلس بكل فضيلة طيبة الهواء عذبة الماء صحيحة التربة، آثار البلاد وأخبار العباد: للقزويني، دون تاريخ، دار صادر / بيروت، (٢٠٣/١).

(٣) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: (٢٢١/٢).

فرقة المتطوعين الموحدين فقضوا عليها، وولى الناصر الأدبار، وكان ذلك سنة: ٦٠٩هجرية، وتعتبر معركة العقاب بداية النهاية لقوة المسلمين في الأندلس[١].

توفي الناصر الموحدي في سنة: ٦١٠هجرية، وتولى بعده أبنه أبو يعقوب يوسف الثاني الملقب بالمنتصر، وقد غلب عليه الوزير أبو سعيد بن جامع وذلك لصغر سنه، وكان عهده عهد استبداد وضعفت دولة الموحدين، واستولى الفنش على المعاقل التي أخذها المسلمون، وتكالب العدو على الأندلس[٢].

في هذه الأوضاع غير المستقرة في الأندلس والمغرب في ظل الدولة الموحدية حيث استغل النصارى ضعف الأمراء الموحدين، وكثفوا من هجماتهم على المدن الإسلامية في الأندلس، خاصة بعد معركة العقاب سنة: ٦٠٩هجرية، التي هزم فيها المسلمون، وقد مثلت نهاية المد الإسلامي في الأندلس، وأخذ النصارى يسقطون المدن الإسلامية مدينة تلو الأخرى، حتى كان سقوط قرطبة سنة: ٦٣٣هجرية، وتفرق أهلها في الأندلس، وهاجر بعضهم إلى المشرق، فهاجر الإمام القرطبي إلى مصر مع من هاجر من أهل الأندلس، وذلك بعد زحف النصارى على المدن الإسلامية وتنصير أهلها أو تهجيرهم.

الحالة السياسية في مصر.

عاش الإمام القرطبي في أيام الدولة الأيوبية، وقد أسس هذه الدولة السلطان العادل صلاح الدين الأيوبي[٣] على أنقاض الدولة الفاطمية التي كانت في مصر

---

(١) تاريخ الإسلام: (٢٢٠/٤).

(٢) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: (٢٢٦/٢).

(٣) صرح الدين الأيوبي: هو يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام، كان أبوه وأهله من قرية دوين (في شرقي أذربيجان)، وهم بطن من الروادية، من الأكراد، نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، سنة: (٥٣٢هـ)، وتوفي فيها جده شاذي، ونشأ هو في دمشق، وتفقه وتأدب، وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، توفي سنة: (٥٨٩هـ)، الأعلام للزركلي (٢٢٠/٨).

وقد حكمها عدد من السلاطين كان آخرهم توران شاه[١]، وقد أدرك الإمام القرطبي عهد السلطان الكامل الذي توفي سنة: ٦٣٥هجرية، وجاء بعده الأمير أبو بكر، وهو أول من لقب ملكاً، وهو السلطان السابع من بني أيوب في مصر[٢].

وفي عهده اقتسم الملك مع الناصر صاحب الكرك على أن تكون مصر له، وبلاد الشام للناصر، وتآمرت مماليك الكامل على خلع الملك العادل واستدعوا الصالح أيوب من اليمن، حيث كان والياً عليها، وولوه على مصر سنة ٦٣٧هجرية وفي عهده سقطت دمياط[٣] بيد الحملة الصليبية، السابعة بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع فحاربهم قائده الظاهر بيبرس وأسر الملك الفرنسي، وبعد أن توفى الصالح أيوب خلفه أبنه توران شاه وهو أخر ملوك الدولة الأيوبية[٤].

ويظهر أن الإمام القرطبي لم يكن له شان بأمور الحكم والسياسة وإدارة البلاد بل كان منشغلاً بشيء أكبر من ذلك ألا وهو طلب العلم الشرعي الذي كان همه وشغله في بلده الأول الأندلس الذي وقع في القبضة الصليبية فكان اختيار الإمام القرطبي لمصر حيث كانت قبلة للمسلمين من الغرب والشرق للاستقرار النسبي الذي تمتعت به في ظل حكم الدولة الأيوبية.

الدولة المملوكية في مصر.

---

(١) توران شاه: هو ابن يوسف بن أيوب بن شادي بن يعقوب بن مروان، الملك المعظم فخر الدين أبو المفاخر، المصري المولد، الحلبي الدار، ولد سنة: (٥٧٧هـ)، وتوفي سنة: (٦٥٨هـ)، الأعلام للزركلي (٢٤٧/٢).

(٢) السلوك لمعرفة دولة الملوك: للمقريزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية / لبنان/ بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، (٨٠/١)

(٣) دمياط: هي مدينة قديمة بين تنّيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب، وعمل ثياب الشرب الفائق، وهي ثغر من ثغور الإسلام، معجم البلدان: (٢/ ٤٧٢).

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: (٣٥٦/٢).

بعد أن توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب في شعبان سنة: ٦٤٧هجرية، وفي هذا الوقت كانت الحملة الصليبية تزحف نحو القاهرة، وتولت شجرة الدر ترتيب أمور الدولة، وإدارة شئون الجيش، وأخفت نبأ موت السلطان، وأرسلت إلى توران شاه ابن الصالح نجم الدين أيوب في حصن كيفا بالقرب من العراق، وحثته على السرعة في القدوم كي يعتلي عرش مصر، وبعد مجيء السلطان توران شاة وتسلمه السلطة من شجرة الدر وضع خطه استطاع بها أن يجبر الصليبيين على التسليم، ورغم هذا الانتصار على الصليبيين إلا أن السلطان لم يقدر الظروف التي تمر بها دولته فبدلاً من توحيد صفوف المسلمين لمواجهة الخطر الصليبي، اتجه لتصفية شجرة الدر وأمراء المماليك، وسيطر عليه شعوره أنهم يزاحمونه في حكم البلاد مما نفر منه أمراء المماليك، وتلاقت مخاوف شجرة الدر مع مخاوف زعماء المماليك بعد أن حرمهم السلطان الجديد من إقطاعاتهم، وهكذا استقر الرأي على ضرورة التخلص منه فقتل السلطان توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين سنة: ٦٥٨هجرية[١].

وكانت الخطوة الأولى في سبيل حكم المماليك هي اختيار شجرة الدر لكي تجلس على عرش السلطنة بعد مقتل توران شاه وبما أنها كانت جاريه تركية أو أرمينية اشتراها الملك وأعتقها وتزوجها فقد اعتبرها بعض المؤرخين أنها أول سلاطين المماليك[٢]، لم يتقبل المصريون أن توجد امرأة على رأس الحكم وعارضها الأمراء الأيوبيون في الشام، ولم يعترف بها الخليفة العباسي المعتصم، لذلك تنازلت للأمير أيبك وتزوجت منه، ويعتبر عز الدين أيبك التركماني أول سلاطين المماليك، ولكنه قتل، وتولى الحكم من بعده المنصور سنة: ٦٥٥هجرية، وكان ضعيفاً حيث كانت السلطة الفعلية في يد نائبه الأمير سيف الدين قطز الذي تولى السلطة بنفسه سنة

(١) عصر سلاطين المماليك: قاسم عبده قاسم، مؤسسة عين للدراسات والبحوث، طبعة ٢٠٠٧م، (ص٢١).
(٢) المرجع نفسه: (ص٢٢).

٦٥٧هجرية، وفي عهده كان الانتصـــار العظيم على المغول في معركة عين جالوت ســـنة: ٦٥٨هجرية، وجاء بعده الظاهر بيبرس وفي عهده أقام الخلافة العباســـية في مصر سنة: ٦٥٩هجرية، وتمكن من توحيد مصر والشام[١].

والمهم في ذلك أن الإمام القرطبي لم يكن له نشـــاط ظاهر في هذه الفترة في الجانب السياسي والعسكري ويرجع ذلك لسببين.

أولاً: اعتماد ســلاطين المماليك في حروبهم على الرقيق الذين اســتقدموهم من مناطق مختلفة، وإعدادهم إعداداً عسكرياً رفيع المستوى، وعملوا على تربيتهم تربية إسلامية، فكانوا يخلصون لزعمائهم غاية الإخلاص، ومن هنا يستنتج أن اعتماد ملوك المماليك في جهادهم لم يكن على عامة الشـــعب، كما لم يكن نفيراً عاماً يســـتدعي مشـــاركة الإمام القرطبي المنشغل بطلب العلم.

ثانياً: إن الإمام القرطبي في هذه الفترة كان منشـــغلاً بطلب العلم وتدريســـه مما منعه من القيام بأي أمر آخر، ولعل من أهم الأدلة على ذلك انتقاله من الإســـكندرية بعد أن تتلمذ على عدد من علمائها إلى القاهرة حيث درس على شـــيوخ كثيرين فيها، وبعدها توجه إلى الصعيد، وهناك استقر وانقطع لتدريس العلم ونشره بين الناس [٢].

---

(١) تاريخ المشرق العربي الإسلامي: عصام شبارو، دار الفكر، لبنان ط، ١٩٩٩م، (ص٢٢١).

(٢) الآراء الأصولية: للإمام القرطبي، رسالة دكتوراه منشورة، لأحمد عيسى يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، (ص١١).

المطلب الثاني:

الحالة الاقتصادية.

يحدثنا القرطبي عن بعض مشـاهداته في المجتمع الإسـلامي، وما يقع فيه من مظاهر اجتماعيه، وما يتم فيه من تكالب بعض الناس على الاشـتغال بالدنيا والاهتمام بها، حتى ينسـى عند الاحتضـار أن ينطق الشـهادتين عند تلقينه إياه، فيقول: "ولقد رأيت بعض الناس وهو في غاية المرض يعقد بأصابعه ويحسب، وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فجعل يقول: الدار الفلانية أصـلحوا فيها كذا والجنان الفلاني أعملوا فيه كذا... نسأل الله السلامة والممات على الشهادة بمنه وكرمة"(١).

ولا يفوتنا أن نذكر أن إمامنا القرطبي لم يعش حياته عالة على الناس يطلب منهم الأحسان والصدقة، وينسى نصيبه من الدنيا، مما أحله الله له من الطيبات من الرزق، ويترهبن ولم يكن من الذين جهلوا دينهم ونسـوا أن يتخذوا لأنفسـهم مهنة أو صـنعة تقيهم شـر سـؤال الناس وتحفظهم من التلصـص مما في أيديهم، لم يكن القرطبي يفعل ذلك، وإن اتخاذ الأسـباب والوسـائل للعمل خير من أن يسـأل الناس أعطوه او منعوه، ولعلمه أن دعوة الا سـلام لم تكن " دعوة رهبانية تخلق الإنفصـال بين الدين والحياة، ولكن دعوة الإسـلام كانت دعوة حياة بنيت على أسـس من القيم، فتكاملت ديناً ودنيا، ومن هنا كان علماء الإسـلام وفقهاؤه عمالاً ونجاراً، لا يمنعهم فقه ولا تفسير ولا إمامة عن العمل.

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: للقرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، باب: (ما جاء أن الميت يحضر الشيطان عند موته)، (١/١٨٥).

فكان منهم النحوي الزجاج (يشتغل بصناعة الزجاج)، وكان منهم الفقيه المحدث (القفال) صناع الأقفال..."[1].

وقد ألف القرطبي نفسه كتاباً يحث فيه المسلمين على الكسب الحلال والعمل والسعي وراء الرزق، أسماه: (قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة)، وإذا تتبع الباحث (الجامع لأحكام القرآن) بالتقصي والدراسة الواعية، لوجد الكثير من الإشارات والتصريحات التي تتضمن دعوة المسلمين إلى البناء والإنتاج وتثمير ما منحهُ الله لهم من كنوز الأرض، باطنها وظاهرها.

(١) مجلة الوعي الإسلامي الكويتية: عبد المجيد وافي، والإمام القرافي، العدد الأربعون، سنة ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، (ص٥٤).

المطلب الثالث:

الحالة الثقافية والعلمية.

الحالة الثقافية والعلمية في الأندلس.

عاش الإمام القرطبي فترة من حياته في الأندلس، وكان لذلك أثر في اهتمامه بالعلم وأهله، والسعي في طلبه، وخاصة العلم الديني، وذلك لأن البيئة التي نشأ فيها كانت تهتم بالعلم.

"وكان أهل الأندلس في فنون العلوم أحرص الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم، يجتهد أن يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالة على الناس، لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، يشار إليه، ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، ومع ذلك لم تكن لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل كانوا يقرؤون جميع العلوم في المساجد، فكان العالم منهم بارعاً؛ لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يدفعه على ترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفق منه حتى يعلم"(١).

(١) نفح الطيب: (٢٢٠/١).

وكان اهتمام الأندلس بالعلم في جميع العصور، ولاسيما القرن الخامس الهجري، حيث ظهر المحدث ابن حزم[١]، المتوفي سنة: ٤٥٦هجرية، والشيخ عبد الله ياسين[٢]، زعيم دولة المرابطين، المتوفي سنة: ٤٥٣هجرية[٣].

وفي القرن السادس الهجري ظهر الخليفة الموحدي، يعقوب المنصور[٤]، المتوفى سنة: ٥٩٥هجرية، وقد زاد احترام رجال الدين في أيام الموحدين (٥٤٠-٦٢٠) هجري، وأغدقت عليهم الأموال والهدايا، ووصلوا الى مناصب مرموقة في الدولة، و ظهر أعلامٌ في الدراسات الدينية، أمثال: عبد الله بن الأنصاري[٥]، المتوفى سنة:

(١) ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم (الحزْمية)، ولد بقرطبة، سنة (٣٨٤هـ)، أشهر مصنفاته: (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، و(المحلى)، و(جمهرة الأنساب)، وغيرها، توفي سنة (٤٥٦هـ)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٤).

(٢) عبد الله ياسين: هو عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي المصمودي، الزعيم الأول للمرابطين، وجامع شملهم، وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم، كان من طلبة العلم في دار أنشئت بالسوس، وسميت دار المرابطين، الأعلام للزركلي (٤/ ١٤٤).

(٣) تاريخ الإسلام: (٤/٤٢٤).

(٤) يعقوب المنصور: هو ابن أبي يعقوبَ يوسف بن عبد المؤمن ملك الموحدين، توفى سنة: (٥٩٥هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: (٢/ ١٥٦).

(٥) عبدالله بن الأنصاري: هو محمد بن حمد بن حامد بن مفرج بن غياث، أبو عبد الله الأنصاري الشامي المصري الحنبلي الآدمي، قاضي البصرة، توفي سنة: (٦١٢هـ)، سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٧/ ٧٤).

٦١٢هجرية، وعبد الله بن الحسن القرطبي[١]، المتوفى سنة: ٦١١هجرية، وحوط [٢] وغيرهم [٣].

الحالة الثقافية والعلمية في مصر:

انتقل الإمام القرطبي بعد تدهور الأوضاع في الأندلس وسقوط قرطبة سنة: ٦٣٣هجرية إلى مصر، حيث كان يحكمها الأيوبيون وعاش حتى أدرك عهد المماليك، وقد شهدت مصر في عهد هاتين الدولتين ازدهاراً في الحركة الثقافية والعلمية، وقد ساعد في هذا الازدهار عدد من الأسباب منها: –

أولاً: اهتمام السلاطين بالعلم:

"اهتم ملوك الأيوبيين والمماليك من بعدهم بالعلم، وتشجيع العلماء منذ قيام الدولة الأيوبية التي سبقت قيام دولة المماليك، فكان صلاح الدين الأيوبي على غرار سيده نور الدين محمود زنكي مهتماً بالعلم والعلماء، لتأسيس دولة قوية، ولذلك أنشأ المدارس بهدف نشر مذهب أهل السنة في مصر، وتعليم أبناء الفقراء والأيتام، وتعهد بالإنفاق على الوافدين على القاهرة لطلب العلم"[٤].

أنشأ صلاح الدين المدرسة الناصرية بجوار جامع عمرو بن العاص، ثم أصبحت تُعرف بالمدرسة الشرفية، وهي أول مدرسة أُنشأت للفقهاء الشافعية، ثم

---

(١) عبدالله القرطبي: هو عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي المالقي، من حفاظ الحديث، ومن الكتاب اللغويين الشعراء، ولد سنة (٥٥٦هـ)، وتوفي بمالقة، سنة: (٦١١هـ)، له تصانيف في (القراءات)، و(العروض)، الأعلام للزركلي (٤/ ٧٨).

(٢) عبد الله بن حوط: هو عبد الله بن سليمان بن داوود بن حوط الله الانصاري، الحارثي، الأندلسي الأندي (أبو محمد) محدث، حافظ، مقرئ، منشئ، خطيب، شاعر، نحوي، ولد بأنده، سنة: (٥٤٩هـ)، وتصدر للقراءات والعربية، والأدب، توفي سنة: (٦١٢هـ)، سير أعلام النبلاء (٤١/٢٢).

(٣) الإحاطة في اخبار غرناطة: لابن الخطيب، تحقيق: عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة طبعة ١٣٩٤هـ، (ص ٣٠٤).

(٤) تاريخ المشرق العربي الإسلامي: (ص٢١٠)

أنشأت المدرسة القمحية للفقهاء المالكية، والمدرسة الصلاحية الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعي، والمدرسة السوفية لفقهاء الحنفية، وتتابع إنشاء المدارس في القاهرة وغيرها من المدن حتى بلغ ثلاث عشرة مدرسة سنة: ٦٠٠هجرية، وأسس الصالح أيوب المدرسة الصالحية في سنة: ٦٤١هجرية، حيث يدرس فيها المذاهب الأربعة، ثم أنشأ الكامل أيوب المدرسة الكمالية(١).

ثانياً: انتقال الخلافة العباسية إلى مصر:

وبما أن المماليك كانوا جنوداً في دولة الأيوبيين وآلت لهم السلطة بعد ضعف السلاطين الأيوبيين، فقد سارعوا على نهج سلفهم في تشجيع العلم، وإنشاء المدارس، واحترام العلماء وزاد ذلك الاهتمام في عصر السلطان بيبرس، الذي قام بإحياء الخلافة العباسية، وأقام الخليفة العباسي في أحد أبراج القلعة سنة: ٦٥٦هجرية، فأصبحت القاهرة مركزاً للخلافة العباسية، وتحولت إليها الشهرة الدينية والعلمية، التي تمتعت بها بغداد قروناً طويلة، وانتقل العلماء والأباء وأصحاب المهن إلى العاصمة الجديدة للمشرق العربي الإسلامي(٢).

ثالثاً: الهجرة الى مصر:

هذا الاهتمام من الدولة جعل العلماء يهاجرون إلى مصر من المشرق والمغرب ويقيمون فيها منهم: الإمام القرطبي الذي وجد الجو مهيأً لطلب العلم والتفرغ له، ويدل على ذلك أنه بعد أن أخذ العلم على علماء الإسكندرية انتقل إلى القاهرة، وأخذ العلم

---

(١) المرجع نفسه: (ص٢٠٤).

(٢) تاريخ الخلفاء: للسيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (٦٦/٤).

على شـــيوخها، ثم انتقل إلى منية بن الخصـــيب، وأقام فيها، وتفرغ لتدريس العلم والتأليف[1].

(١) تاريخ المشرق الإسلامي: (ص٢١٢).

المبحث الثالث:

مذهب الإمام القرطبي وعقيدته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مذهبه الفقهي وعقيدته.

المطلب الثاني: مصادر ثقافته.

المطلب الأول:

مذهبه الفقهي وعقيدته.

الفرع الأول: مذهبه الفقهي:

إذا نظرنا إلى العصر الذي عاش فيه الإمام القرطبي في الأندلس نجد أنه قد تتلمذ على أيدي علماء قرطبة والأندلس، الذين كانوا ينهجون مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وهو المذهب الذي كان سائداً في تلك البلاد، وقد ذكر المؤرخون عدة أسباب أدت إلى انتشار المذهب المالكي منها.

أولاً: دعم الدولة للمذهب:

قال ابن حزم: مذهبان انتشر في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولى الرشيد أبا يوسف خطة القضاء كانت القضاء من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية، ومذهب مالك عندنا بالأندلس، فإن يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان، مقبول القول في القضاة، وكان لا يلي قاض في أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه، ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا فأقبلوا على ما يرجون به بلوغ أغراضهم، على أن يحيى لم يول قضاء قط، ولا أجاب إليه، وكان ذلك زائداً في جلالته عندهم، وداعياً إلى قبول رأيه لديهم[1].

ثانياً: ثناء الإمام مالك على عبد الرحمن الداخل:

وقال بعضهم: إن السبب هو ثناء الإمام مالك على عبد الرحمن الداخل[2].

---

(١) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: (١٩٥/١).

(٢) عبد الرحمن الداخل: هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الملقب بصقر قريش، ويعرف بالداخل، الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، ولد سنة: (١١٣هـ)، وتوفي سنة: (١٧٢هـ)، الأعلام للزركلي: (٣٣٨/٣).

إن الإمام القرطبي قد تتلمذ على أيدي علماء المالكية في الأندلس وعند قدومه إلى مصـــر جلس إليهم كذلك وأخذوا عنه علمه، وعبارته في تفســـيره تدل على ذلك مثل: (علماؤنا وأصــحابنا) قال، وقد قال علماؤنا المالكية: إن الدنانير والدراهم خواتيم الله عليها اسمه[١]، قال:(واختلفت عبارات أصحابنا المالكية في ذلك، وأحسن ما في ذلك كونه مقتاتاً مدخراً للعيش غالباً جنســـا، كالحنطة والشـــعير والتمر والملح المنصـــوص عليها، وما في معناها)[٢]وهذا يدل على أن الإمام القرطبي كان مذهبه المالكية.

الفرع الثاني: عقيدته.

لقد حفلت كتب الإمام القرطبي بالمباحث العقدية، ومما يلاحظ: أن القرطبي (رحمه الله) دائما ما يكون طويل النفس في مناقشـــتها والوقوف عندها، قوي الحجة، شديداً في الرد على المخالفين له، ومن خلال كتابه هذا نجده قد سلك طريق الأشاعرة في دراسـة وتحليل مسـائل العقيدة، فهو يقول بتأويل الصـفات على طريقة الأشـاعرة، وإن كان قد تردد في بعضـــها، فلم يجزم بالتأويل، وكلف نفســـه الدفاع عن المخالفين للأشـاعرة، وشـنع عليهم، فالرجل كان تدينه في اعتقاده، لا يقول بالعلو، ويرى التأويل في صفات الله تعالى[٣].

ويفهم من كلام لابن تيمية أنه يصـــنفه في صـــف الأشـــاعرة ربما القريبين من الكتاب والسنة.

وبهـذا يمكن أن أقول: أن القرطبي كـان أشـــعري العقيـدة، وإن كـان من غير المتعصـبين للأشـاعرة، إذ ربما خالفهم في بعض أقوالهم، على أنه –رحمه الله– كان

---

(١) الجامع: (٣٥٣/٣).

(٢) المرجع نفسه: (٨٩/٩).

(٣) منار العقيدة والفكر للتواصل: ٢٣يونيو، ٢٠١٢م، المصدر انت، (ص٨).

شديداً على الفرق الضالة المنحرفة عن الحق، وخصوصا الروافض منهم والمتصوفة، شديداً على الخصوم.

المطلب الثاني:

مصادر ثقافته.

عندما يطالع القارئ كتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي يجد أنه إمام موسوعة عظيمة حوت كثيراً من العلوم، ولا شك أن للقرطبي روافد كثيرة أمدته وأعانته على أن يخرج كتابه على هذه الصورة، ولا يستطيع الباحث أن يتقصى كل هذه الروافد فدون ذلك عقبات، ولكن لا بأس أن نكشف عن بعض مصادره التي تأثر بها من الفنون المختلفة.

مصادر القرطبي من كتب التفسير:

لقد أفاد القرطبي من مؤلفات كثير من المفسرين، وكان موقفه منهم أن يعرض آرائهم مكتفياً بهذا العرض أحياناً، ومعقباً عليها، ومناقشاً لها ورد بعضها أحياناً أخرى، ومن هنا ظهرت شخصيته في تفسيره، ومن هذه المصادر:

• إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة: ٣٣٨هجرية، لقد تأثر به القرطبي في إعراب القرآن.

• معاني القرآن لأبي جعفر النحاس أيضا أفاد منه كثيرا ونقل عنه.

• جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطبري المتوفى سنة: ٣١٠هجرية، نقل القرطبي عنه، وتأثر به كثيرا.

• التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل للمهدي، المتوفى سنة: ٤٣٠هجرية، أفاد منه وتأثر به.

• تفسير الماوردي أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، المتوفى سنة: ٤٥٠هجرية، نقل عنه القرطبي، وتأثر به كثيرا.

• تفسير النقاش، ويسمى شفاء الصدور لأبي بكر النقاش، المتوفى سنة: ٣٥١هجرية، نقل عنه، وتعقب صاحبه، ورد عليه كثيرا.

• أحكام القرآن لكيا الطبري، وهو أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف "بالكيا" المتوفى سنة: ٥٠٤هجرية، لقد أفاد القرطبي من أحكام القرآن لكيا الطبري حتى لقد كان ينتصر لرأيه على ابن العربي كما سنرى.

• أحكام القرآن لابن العربي المتوفى سنة: ٥٤٣هجرية، لقد أفاد القرطبي من أحكام القرآن لابن العربي، وناقشه ورد تحامله وهجومه على المخالفين، وسنذكر أمثلة لذلك.

• تفسير مكي بن أبي طالب المتوفى سنة: ٤٣٧هجرية، المسمى الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه.

• مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب أيضاً.

هذا وأفاد القرطبي أيضا كثيراً من كتب القراءات نخص منها: كتاب الحجة في علل القراءات السبعة، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي المتوفى سنة: ٣٧٧هجرية، وهو كتاب في التفسير والقراءات والنحو والإعراب، أفاد منه القرطبي كثيراً، ونذكر كذلك كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني، فقد نقل القرطبي عنه كثيراً من التوجيهات الشاذة[١].

كذلك حرص القرطبي على الاستدلال بالحديث مع عزوه إلى مصادره الأصلية، ولهذا كان من مراجعه الأساسية في كتابه الجامع وأهم مصادره، صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجه، مسند

(١) الإمام القرطبي ومنهجه في التفسير: بقلم الشيخ: أحمد إدريس عبده، الزاوية الحملاويه، ولاية ميلة، ط٢٠١٠م، الجزائر / مكتبة الصور، نشاطات، (ص١٠).

الإمام أحمد، موطأ الإمام مالك، الزهد لابن المبارك، مستدرك الحاكم، البزار، الحلية لأبي نعيم، نوادر الأصول للحكيم الترمذي، سيرة ابن إسحاق، عرائس المجالس في قصص الأنبياء لأبي إسحاق الثعلبي[1].

كذلك فقد استعان القرطبي بالكثير من كتب اللغة مثل: العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، صحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفي سنة: ٣٩٣هجرية[2].

(١) مساق فقه الكتاب والسنه: دراسة في منهجي الإمام القرطبي في التفسير والإمام النووي في شرح الحديث، بقلم الدكتور: ماهر حامد الحولي، سنة: (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، بدون تاريخ طبعه.

(٢) المرجع نفسه: (ص١٠).

الفصل الثاني:

كتاب الجامع لأحكام القرآن وأهميته.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تفسير الإمام القرطبي وأهميته.

المبحث الثاني: المنهج العام في تفسير الإمام القرطبي.

المبحث الثالث: منهج الإمام القرطبي في الاختيار والترجيح.

المبحث الأول:

تفسير الإمام القرطبي وأهميته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالتفسير (الجامع لأحكام القرآن).

المطلب الثاني: أهمية التفسير (الجامع لإحكام القرآن).

المطلب الأول:

التعريف بالتفسير (الجامع لأحكام القرآن).

إن القران الكريم هو مصدر التشريع الأول للمسلمين، وعلى المسلمين فهم ما جاء فيه من أحكام وآداب للعمل وفقها، لأنه منهج حياتهم الذي تتحقق به السعادة في الدنيا وفي الاخرة، وقد نزل بلغة العرب، وكلف الله تعالى رسوله ليبين ما جاء فيه من أحكام وآداب، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، ولذلك وجد الاهتمام من علماء الأمة في تفسير وتبيين ما فيه من المعاني الدقيقة والأحكام الشرعية، فالناس لا يستوون في فهم ما فيه من أحكام ومعان.

فما معنى التفسير؟

أولاً: معنى التفسير في اللغة:

التفسير لغة: هو الكشف والإظهار، (فسر) الشيء: وضحه، وآيات القرآن الكريم: شرحها، ووضح ما تنطوي عليه من معان وأسرار وأحكام، (استفسره) عن كذا: سأله أن يفسره له، ويقال استفسره كذا، (التفسير) الشرح والبيان، وتفسير القرآن من العلوم الإسلامية يقصد منه: توضيح معاني القرآن الكريم، وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم وأحكام[2].

ثانياً: معنى التفسير اصطلاحاً:

---

(١) النحل: (٤٤).

(٢) المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرين، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (٦٨٨/٢).

عرفه العلماء بتعاريف كثيرة، يمكن إرجاعها كلها إلى واحد منها، فهي وإن كانت مختلفة من جهة اللفظ، إلا أنها متحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه.

فقد عرفه أبو حيان[١]: في البحر المحيط: فقال: بأن التفسير هو: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب"[٢]، أو أن: "المراد بالتفسير بيان المعنى الذي أراده الله بكلامه"[٣].

(١) أبو حيان: هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفزي، أثير الدين، أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد سنة: (٦٥٤هـ) جهات غرناطة، ورحل إلى مالقه، توفى سنة: (٧٤٥هـ)، من كتبه: (البحر المحيط) في تفسير القرآن، وغيرها، الأعلام للزركلي: (١٥٢/٧).

(٢) البحر المحيط: تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر / بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ، (٢٦/١)، والتفسير والمفسرون: للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، دون تاريخ، (١٣/١).

(٣) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٧هـ، (٥٤/١).

المطلب الثاني:

أهمية التفسير (الجامع لأحكام القرآن)

تفسير القرطبي هو كتاب جمع تفسير القرآن كاملاً، واسمه: (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان) لمؤلفه الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة: ٦٧١هـ، وهو تفسير جامع لآيات القرآن جميعا، ولكنه يركز بصورة شاملة على آيات الأحكام في القرآن الكريم، والكتاب من أفضل كتب التفسير التي عنيت بالأحكام، وهو فريد في بابه، كما أنه من أجمع ما صنف في هذا الفن، وُصف بأنه من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه مؤلفه التواريخ والقصص، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والناسخ والمنسوخ[1].

(١) نشرة تعريفية لكتاب: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، اعداد: مصطفى تنكرا، تاريخ/٦/٢٠١٣م، (ص٥).

المبحث الثاني:

المنهج العام في تفسير الإمام القرطبي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عنايته بالمناسبات بين القرآن وسوره.

المطلب الثاني: عنايته بالقراءات.

المطلب الثالث: عنايته بأسباب النزول.

المطلب الأول:

عنايته بالمناسبات بين القرآن وسوره.

المناسبة في اللغة: المشاكلة، والمقاربة[١]، ومنه النسيب الذي هو القريب، وعرفها الإمام الزركشي[٢] بقوله: "المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآية، وخواتمها، ومراجعها –والله أعلم– إلى معنى ما رابط بينهما، عام، أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب، والمسبب، والعلة، والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه، أو التلازم الخارجي، كالمرتب على ترتيب الوجود، الواقع في باب الخبر، وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها، آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء، وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي[٣]، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وقال بعض الأئمة: من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا"[٤].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، (٣/٣٧١).

(٢) الزركشي هو: محمد بن عبد الله بن بهادر أبو عبد الله الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين، وهو عالم في الحديث والتفسير، وكان فقيهاً أصولياً أديباً فاضلاً لكنه يهم في النقل والبحث كثيراً، من تصانيفه: (البرهان في علوم القرآن)، توفي سنة: (٧٩٤هـ)، طبقات المفسرين: للداودي، (١/٣٠٢)، وطبقات الشافعية: (٣/١٦٧).

(٣) فخر الدين الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ولد سنة (٥٤٤هـ)، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، توفي سنة: (٦٠٦هـ)، من تصانيفه: (مفاتيح الغيب)، و(معالم أصول الدين)، وغيرها، طبقات الشافعية: للسبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ، (٨/١٨) والأعلام للزركلي: (٦/ ٣١٣).

(٤) البرهان في علوم القرآن: للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ –١٩٥٧م، (١/٣٥).

كان الإمام القرطبي يهتم بالمناسبات، وكان يذكر ذلك في تفسيره، ويوضح المناسبة، ومن أمثلة ذلك:

١. "قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[١]، يقول: "وصف نفسه تعالى بعد ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢] بأنه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لأنه لما كان في اتصافه بـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ترهيب، قرنه بـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لما تضمن من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع، كما قال: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[٣]، وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[٤]"[٥].

٢. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[٦] نجده يربط معانيها بالآية التي قبلها وهي قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٧] فيقول: "ووجه اتصاله، بما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر في الآية

---

(١) الفاتحة: (٣).
(٢) الفاتحة: (٢).
(٣) الحجر: (٤٩-٥٠).
(٤) غافر: (٣).
(٥) الجامع: (٢١٥/١).
(٦) البقرة: (٢٣).
(٧) البقرة: (٢٢).

الأولى الدلالة على وحدانيته وقدرته، ذكر بعدها الدلالة على نبوة نبيه، وأن ما جاء به ليس مفترى من عنده"[1].

3. وعند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قال: قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾[2]، هذه الآية تفسر معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3] قال أبو عبيدة[4]: المعنى زعزعناه فاستخرجناه من مكانه، قال: وكل شيء قلعته فرميت به فقد نتقته، وقيل: نتقناه: رفعناه، والناتق: الرافع، والناتق: الباسط، والناتق: الفاتق، وامرأةً ناتق ومنتاق: كثيرة الولد، وقال القتبي[5]: أخذ ذلك من نتق السقاء، وهو نفضه حتى تقتلع الزبدة منه[6]، قال: وقوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ قال: قُلع من أصله"[7].

---

(١) الجامع: (٣٤٩/١).

(٢) البقرة: (٦٣).

(٣) الأعراف: (١٧١).

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة: تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى / القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ، (٢٣٢/١)، وأبو عبيدة هو: معمر بن المثنى البصري اللغوي العلامة، كان أحد أوعية العلم، له مائة وعشرة كتب، منها: (غريب القرآن)، وغيرها، توفي سنة (٢١٠هـ)، تهذيب التهذيب: لأبي الفضل العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ، (٢٤٧/١٠-٢٤٨).

(٥) القتبي: هو يحيى بْن مُوسَى أَبُو مُوسَى، وهو ابْن أَبِي ليلى القتبي الباهلي صاحب الْبَصْرِيّ، سَمِعَ نافعاً روى عَنْهُ يحيى القطان وابْن مهدي وعلى بْن نصر، يعد فِي الْبَصْرِيّين توفي سنة: (١٧٠هـ)، التاريخ الكبير للبخاري، أبو عبد الله، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، (٣٠٧/٨).

(٦) تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: ١٣٩٨هـ ،١٩٧٨م، (١٧٤).

(٧) الجامع: (٤٣٦/١).

٤. وعند تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾[1]، يقول: "وهذه الآية والتي قبلها مرتبطة بما قبلهما، وذلك أن الله سبحانه أخبر عن جهالة العرب فيما تحكمت فيه بآرائها السفيهة والبحيرة والسائبة والوصيلة، فاحتجو بأنه أمر وجدوا عليه آباءهم فاتبعوهم في ذلك، وتركوا ما أنزل الله على رسوله وأمر به في دينه، فالضمير في كلمة: ﴿لَهُمُ﴾ عائد عليهم في الآيتين جميعاً"[2].

(١) البقرة: (١٧٠).

(٢) الجامع: (٢/٢١١).

المطلب الثاني:

عنايته بالقراءات.

إن كل مفسر يتصدى لتفسير كتاب الله –عز وجل– يحتاج إلى فهم وتطبيق علم القراءات؛ وذلك لأنه أحد الأبواب المهمة التي يتوقف عليها في كثير من الأحيان معرفة جملةٍ من الآيات القرآنية، فإذا كان علم النحو يدرس التركيب؛ لبيان وظيفتها في الجملة، فإن علم القراءات يبين جانب الدلالة، وإدراكاً من أبي عبد الله القرطبي لهذا العلم وأهميته فقد تلقاه في شبابه في بداية تعليمه على يد شيخه ابن أبي حجة[1]، في قرطبة فقد قرأ عليه القراءات السبع، كما قال بعض مترجميه، "تلا بالسبع في بلده على أبي جعفر بن أبي حجة"[2]، واهتم بالقراءات غاية الاهتمام حيث اعتمد عليها في تفسيره، وأشار إليها في مقدمته، بأن يضمنه نكتاً من القراءات، فقال: "رأيت أن أشتغل به مدة عمري، وأستفرغ فيه مُنَتي بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات..."[3] وقد وفَّى القرطبي بما ذكره في مقدمة كتابه الجامع لأحكام القرآن، فقد أخذ بنفس طويل في هذا الأمر، فما يذكر آية في تفسيره وفيها قراءة إلا ذكرها سواء كانت هذه القراءة متواترة أم شاذة، ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) ابن أبي حجة: هو أحمد بن محمد القيسي، أبو جعفر ابن أبي حجة: فاضل، من أهل قرطبة، تصدر لإقراء القرآن وتعليم العربية، وانتقل إلى إشبيلية، وأسره الروم في البحر، فامتحن بالتعذيب، وتوفي على أثر ذلك بمبورقة، له كتب، منها: (تسديد اللسان لذكر أنواع البيان)، الأعلام للزركلي: (١/ ٢١٩).

(٢) الذيل والتكملة: للمراكشي، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٢م، (٥/٥٨٥).

(٣) الجامع: (١/٧).

١-قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾[١] قال القرطبي: قرأ أبو عمر بن عبد البر[٢] والكسائي[٣]: "ومن قبله" بكسر القاف وفتح الباء أي: ومن معه وتبعه من جنوده، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم[٤]، "وقرأ أبو موسى الأشعري[٥] "ومن تلقاءه" وقرأ الباقون "قبله" بفتح القاف وسكون الباء، أي: ومن تقدمه من القرون الخالية والأمم الماضية[٦].

٢-قوله تعالى ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾[٧] قال القرطبي: قرأ نافع[٨] والكسائي "فقدرنا" بالتشديد، وخفف الباقون، وهما لغتان بمعنى، قاله الكسائي والفراء[٩]،

---

(١) الحاقة: (٩).

(٢) أبو عمر بن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاث، يقال له حافظ المغرب، ولد بقرطبة، سنة: (٣٦٨هـ)، وتوفي سنة: (٤٦٣هـ)، من كتبه: (الدرر في اختصار المغازي والسير)، و(العقل والعقلاء)، و(الاستيعاب)، وغيرها، الأعلام للزركلي: (٨/ ٢٤٠).

(٣) الكسائي: هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها، وتوفي بالريّ، عن سبعين عاماً، سنة (١٨٩هـ)، له تصانيف، منها: (معاني القرآن)، و(المصادر)، و(الحروف)، و(القراءات)، وغيرها، الأعلام للزركلي: (٤/ ٢٨٣).

(٤) أبو حاتم: هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد، حافظ للحديث، من كبارهم، كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته، ولد سنة (٢٤٠هـ)، وتوفي سنة (٣٢٧هـ)، له تصانيف، منها: (الجرح والتعديل)، و(التفسير)، وغيرها، الأعلام للزركلي (٣/ ٣٢٤).

(٥) أبو موسى الأشعري: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين، ولد في زبيد (باليمن) سنة: (٢١ق هـ)، وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة، توفي سنة: (٤٤هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ١١٤).

(٦) الجامع: (١٦٨/١٨).

(٧) المرسلات: (٢٣).

(٨) نافع: هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري، فاتح، من كبار القادة في صدر الإسلام، وهو باني مدينة القيروان، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولا صحبة له، ولد سنة: (١هـ.ق)، وتوفي سنة: (٦٣هـ)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٤١).

(٩) الفراء: هو أبو زكرياء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الد يلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومن=

والقتبي[1]، قال القتبي: قدرنا بمعنى قدَّرنا مشـــددة: كما تقول: قدرنا كذا وقدرته، وقال محمد بن الجهم[2] عن الفراء: "فقدرنا" قال: وذكر تشديدها عن علي رضـي الله عنه وتخفيفها، قال ولا يبعد أن يكون المعنى في التشـــديد والتخفيف واحداً؛ لأن العرب تقول: قَدَر عليه الموت وقَدَّر: قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[3]، واحتج الذين خففوا فقالوا؛ لو كانت كذلك لكانت فنعم المقدَّرون، قال الفراء: وتجمع العرب بين اللغتين؛ قال تعالى:﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[4]وروي عن عكرمة[5] "فقَدَرنا" مخففة من القدرة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والكسائي لقوله: فنعم القَادِرُونَ" ومن شدد فهو من التقدير، أي: فقدَّرنا الشقي والسعيد فنعم المقدِّرون، رواه ابن مسعود[6] عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وقيل:

=كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة، ولد بالكوفة، سنة: (١٤٤هـ)، وتوفي في طريق مكة. سنة: (٢٠٧هـ)، من كتبه: (المقصور والممدود)، و(معاني القرآن)، و(المذكر والمؤنث) وغيرها، لأعلام للزركلي: (٨/ ١٤٥–١٤٦).

(١) القتبي: هو يحي بن موسى القتبي البصري، روى عن نافع مولى ابن عمر، وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي وأبو الوليد، وجماعة، توفي سنة: (١٧٠هـ)، تاريخ الإسلام: (٤/ ٥٤٤).

(٢) محمد بن جهم: هو محمد بن الجهم أبو عبد الله السمري، الإمام، العلامة، الأديب، أبو عبد الله السمري، الكاتب، تلميذ يحيى الفراء وراويه، توفي سنة: (٢٧٧هـ)، عاش تسعاً وثمانين سنه، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ١٦٣).

(٣) الواقعة: (٦٠).

(٤) الطارق: (١٧).

(٥) عكرمة: هو بن عمار بن عقبة الحنفي العجليّ اليمامي، أبو عمار، شيخ اليمامة في عصره، من رجال الحديث، أصله من البصرة، حدّث بها وبمكة، وتوفي ببغداد سنة: (١٥٩هـ)، بعد قدومه إليها بيسير، الأعلام للزركلي: (٤/ ٢٤٤).

(٦) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابي، من أكابرهم، فضلاً وعقلاً، وقرباً من رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، فتوفي فيها سنة: (٣٢هـ) عن نحو ستين عاماً، الأعلام للزركلي: (٤/ ١٣٧).

والمعنى قدَّرنا أو طويلاً، ونحوه عن ابن عباس[١]: قَدَّرنا ملكنا، قال المهدوي[٢]: وهذا التفسير أشبه بقراءة التخفيف[٣].

٣-قال تعالى: ﴿أَيُّهَ﴾قال القرطبي: "قرأ الجمهور بفتح الهاء، وقرأ ابن عامر[٤] بضمها ووجهه: أن تجعل الهاء من نفس الكلمة، فيكون إعراب المنادى فيها، وضعف أبو علي[٥] ذلك جداً.

وقال آخر: الاسم، هو الياء الثانية، من أيٌّ، فالمضموم ينبغي أن يكون آخر الاسم، ولو جاز ضم الهاء ها هنا؛ لاقترانها بالكلمة لجاز ضم الميم في ﴿ٱللَّهُمَّ﴾، لاقترانها بالكلمة في كلام طويل.

---

(١) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، ولد بمكة، سنة: (٣ق هـ)، ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله -صلّى الله عليه وسلم-، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، فسكن الطائف، وتوفي بها، سنة: (٦٨هـ)، له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثا، الأعلام للزركلي (٤/ ٩٥).

(٢) المهدوي: هو أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي التميمي، أبو العباس، مقرئ أندلسي، أصله من المهدية بالقيروان، رحل إلى الأندلس في حدود سنة: (٤٠٨هـ) وصنف كتبا، منها: (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)، وهو تفسير كبير للآيات، يذكر القراءات والإعراب، واختصره وسماه: (التحصيل في مختصر التفصيل)، وغيرها، توفي سنة: (٤٤٠هـ)، الأعلام للزركلي (١/ ١٨٤).

(٣) الجامع: (٥٠٤/٢١).

(٤) ابن عامر: هو عبد الله بن عامر بن زيد، أبو عمران اليحصبي الشامي، أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ولد في البلقاء، سنة: (٨هـ)، وانتقل إلى دمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها، سنة (١١٨هـ)، قال الذهبي: مقرئ الشاميين، صدوق في رواية الحديث، سير أعلام النبلاء: (٢٩٢/٥)، والأعلام للزركلي (٤/ ٩٥).

(٥) أبو علي: هو أحمد بن جعفر الدينَوَريّ، أبو علي: نحوي، من أهل الدينور، من بلاد الجبل، رحل إلى البصرة، وبغداد ونزل بمصر وتوفي فيها، سنة: (٢٨٩هـ) له: (المهذب) في النحو، الأعلام للزركلي: (١/ ١٠٧).

المطلب الثالث:

عنايته بأسباب النزول.

أولى القرطبي أسباب النزول اهتماماً كبيراً شأنه في ذلك شأن باقي المباحث التي تعرض لها.

فمن منهجه ذلك أنه إن اختلفت أسباب النزول يسكت أو يرجح أو يردها كلها إن رأى أن ذلك الأولى، ومثال ذلك:

سورة المرسلات آية (١٦٨/١٩/٤٨).

قال تعالى: "﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴾[١]، أي: إذا قيل لهؤلاء المشركين: اركعوا؛ أي: صلوا لا يركعون، أي: لا يصلون، قاله مجاهد، وقال مقاتل: نزلت في ثقيف، امتنعوا من الصلاة فنزل ذلك فيهم، قال مقاتل: قال لهم النبي –صلى الله عليه وسلم– (أسلموا) وأمرهم بالصلاة، فقالوا: لا ننحني فإنها مسبة علينا"[٢].

سورة النبأ الآيات (١٨٨/١٩/٤٠-١٨٩).

وقال مقاتل: "نزل قوله تعالى:﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[٣] في أخيه الأسود بن عبد الأسد، وقال الثعلبي: سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: الكافر: ها هنا إبليس، وذلك أنه عاب آدم بأنه خلق من تراب، وافتخر بأنه خلق من نار، فإذا عاين يوم

---

(١) المرسلات: (٤٨).

(٢) الجامع: (١٦٨/١٩).

(٣) النبأ: (٤٠).

القيامة ما فيه آدم وبنوه من الثواب، والراحة، والرحمة، ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب، تمنى أنه يكون بمكان آدم"[1].

سورة النازعات آية (٤٠-٤٤/١٩/٢٠٨-٢٠٩).

سورة الانشقاق آية (١٠/١٩/٢٧٢)"[2].

(١) الجامع: (١٩/١٨٨-١٨٩).

(٢) مساق فقه الكتاب والسنه: (ص٣٠).

المبحث الثالث:

منهج الإمام القرطبي في الاختيار والترجيح.

وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الاختيار والترجيح.

المطلب الثاني: صيغ الترجيح عند الإمام القرطبي.

المطلب الثالث: وجوه الترجيح عند الإمام القرطبي.

المطلب الأول:

تعريف الاختيار والترجيح.

الترجيح لغة: قال ابن فارس[١]: "رجح الراء والجيم والحاء أصـــل واحد يدل على رزانة، وزيادة، يقال: رجح الشيء، وهو راجح إذا رزن"[٢].

"وأرجح الميزان أي: أثقلـه، حتى مـال، ورجح في مجلســـــه، يرجح: ثقل فلم يَخِف"[٣].

وعند الأصـــوليين: "وحد الترجيح: تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى، بدليل، فيعلم الأقوى فيعمل به"[٤].

فالمراد بالترجيح في التفسير: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية، لدليل، أو قاعدة تقوية، أو لتضعيف غيره من الأقوال.

الاختيار لغةً: "من خ ي ر، الخير: ضد الشر، وهو أيضاً: الاسم من الاختيار، والاختيار: الاصطفاء، وكذا التخير"[٥].

---

(١) ابن فارس: هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسن، من أئمة اللغة والأدب، توفي سنة٣٩٥هـ، نزهة الألباء: لعبد الرحمن الأنباري تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط٣، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، (٢٣٥/١)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر / بيروت، ط١، ١٩٩٤م، (١١٨/١)،

(٢) معجم مقاييس اللغة: للرازي، مادة [رجح]، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤٨٩/٢).

(٣) لسان العرب: فصل الراء المهملة، لابن منظور، دار صادر / بيروت، ط٣، -١٤١٤هـ، (٤٤٥/٢).

(٤) التحبير شرح التحرير: لعلاء الدين أبو الحسن، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد -السعودية -الرياض، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، (٤١٤١/٨).

(٥) مختار الصحاح: للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت / صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، (٩٩/١).

والاختيار عند المفســـرين هو: الميل إلى أحد الأقوال في تفســـير الآية، بدليل مع تصحيح بقية الأقوال.

وبعـد عرض الترجيح والاختيـار يتضـــح أن بين الاختيـار والترجيح عمومـاً وخصـــوصـــاً، فكل اختيار ترجيح، وليس كل ترجيح اختياراً، لأن الاختيار يشـــمل الترجيح، وغيره، كرد الأقوال الضعيفة، والشاذة، وترجيح أحد الأقوال المتضادة.

المطلب الثاني:

صيغ الترجيح عند الإمام القرطبي.

أولاً: التنصيص على القول الراجح:

وللتنصيص على القول الراجح صيغٌ عديدة عند القرطبي، ومن تلك الصيغ قوله: "الصحيح أن..."[١]، "...وهو الصحيح"[٢]، "...وهذا هو الصحيح"[٣]، "...هذا أصح ما قيل في ذلك"[٤]، "...والأول أظهر"[٥]، "...والقول الأول أظهر"[٦]، "والأول أصح"[٧]، "والقول الأول أصح..."[٨]، "وأصح من هذا..."[٩]، "...وهذا حسنٌ"[١٠]، "وأحسن منه..."[١١]، "...هذا القول أحسن من الأول"[١٢]، "...هذا قول الجمهور."[١٣]، "...والأول أشهر، وعليه من العلماء الأكثر"[١٤]، "...هذا أولى ما حُمِلت عليه الآية

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٣٤/١)، (٢٨٣/١).
(٢) المرجع نفسه: (٤١٢/١)، (٤٠٧/٢).
(٣) المرجع نفسه: (١٢٤/١)، (٢٩٩/٢).
(٤) المرجع نفسه: (٥٩/١)، (٥٧/٣).
(٥) المرجع نفسه: (٢٢٧/٣)، (٣٧٤/٥).
(٦) المرجع نفسه: (٥/٢).
(٧) المرجع نفسه: (٥١/١)، (٣٨٢/١).
(٨) المرجع نفسه: (١٣٩/١)، (٤٥٣/٢).
(٩) المرجع نفسه: (٩٧/٢)، (٣٢٧/١١).
(١٠) المرجع نفسه: (١٥٠/١)، (٢٢٥/١).
(١١) المرجع نفسه: (٤٠٤/٣).
(١٢) المرجع نفسه: (١٦٨/٢).
(١٣) المرجع نفسه: (٢٧٦/٥).
(١٤) المرجع نفسه: (١٦٨/١).

من التأويل، وأصح ما قيل فيها."[١]، "...وهذا هو الحق."[٢]، "والوجه..."[٣]، "...وهو أصوب."[٤]، "...وهو أشبه"[٥].

ثانياً: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره:

نجد أن القرطبي (رحمه الله) يفسر الآية أو المفردة القرآنية، ثم يعقب ذلك بذكر بعض الأقوال في تفسيرها، فإن كان بعض هذه الأقوال غير مرضي لديه أشار إلى ضعفه وعدم قبوله عنده، ومن صيغ تضعيف الأقوال الأخرى أو ردها عند القرطبي قوله: "...وفيه ضعف"[٦]، "...وفي هذا القول ضعف."[٧]، "...وهذا ضعيف"[٨]، "...هذا كله ضعيف"[٩]، "...وهذا ليس بشيء"[١٠]، "...وفيه بُعد"[١١]، "...وهذا فيه بُعد"[١٢]، "...وهذا تأويل فيه بعد"[١٣]، "...وهذا فاسد"[١٤]، " وليس فاسد"[١٥]."وليس بمرضي"[١٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢/٥٠).
(٢) المرجع نفسه: (١/٤١٤)، (١١/٢٥٥).
(٣) المرجع نفسه: (٣/٣٠٢)، (١٧/٢٢٩).
(٤) المرجع نفسه: (١/١٩١).
(٥) المرجع نفسه: (١/٤٤٤).
(٦) المرجع نفسه: (١٣/٣٠٦).
(٧) المرجع نفسه: (٢/٢).
(٨) المرجع نفسه: (٣/٣٣٨).
(٩) المرجع نفسه: (٢/٥٢).
(١٠) المرجع نفسه: (١٣/١٧٩).
(١١) المرجع نفسه: (٦/٤١٤).
(١٢) الجامع لأحكام القرآن:(٢/٤٣٢).
(١٣) المرجع نفسه: (١٤/٢٢٠).
(١٤) المرجع نفسه: (٣/٢٤٢).
(١٥) المرجع نفسه: (١/١١٩).
(١٦) المرجع نفسه: (١/١٣٣).

والأمثلة على تضـــعيف القرطبي لبعض الأقوال ورد بعضـــها الآخر كثيرةٌ، ومن ذلك:

١-في باب (ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمته)، رجح القرطبي جواز قول سـورة (كذا)، أي: إطلاق اسـم السـورة عليها بدون تحرج، ثم نقل قول بعض العلماء أن من حرمة القرآن: "أن يقال: ســورة كذا، كقولك: ســورة النحل وسـورة البقرة، والنسـاء، ولكن يقال: السـورة التي يذكر فيها كذا"، ثم عقب عليه القرطبي بقوله: "قلت: هذا يعارضـه قوله -صـلى الله عليه وسلم-: (الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأ بهما في ليلة كفتاه)"[١].

٢-وفي باب معنى قول النبي -صـلى الله عليه وسـلم-: (إن هذا القرآن أنزل على ســبعة أحرف فأقرأوا ما تيســر منه)[٢]، رجح بطلان قول من قال: إن المراد بالأحرف السـبعة القراءات السـبع، فقال: "وقد قيل: إن المراد بقوله -صـلى الله عليه وسلم-:)[٣]، القراءات السبع التي قرأ بها القراء السبعة، لأنها كلها صـحت عن رسول الله -صـلى الله عليه وسلم-، وهذا ليس بشـيء لظهور بطلانه على ما يأتي..."[٤].

٣-وفي باب (ذكر إعجاز القرآن وشرائط المعجزة) تعرض القرطبي إلى أوجه إعجاز القرآن، وعد منها عشـرة أوجه، ثم قال:"... قلت: فهذه عشـرة أوجه ذكرها علماؤنا رحمة الله عليهم.

---

(١) الجامع: (١/٥١-٥٢)، وهذا الحديث الذي استدل به القرطبي مروي عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه، وهو في صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة:(٣/٨٥)، وصحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة:(٤/١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف: (٦/١٠٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف: (١/٥٦٠).

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: (٦/١٨٤) برقم: (٤٩٩٢).

(٤) الجامع: (١/٧٢-٧٩).

ووجه حادي عشـــر، قاله النظام[1] وبعض القدرية: أن وجه الإعجاز هو المنع من معارضـته، والصَـرفة عند التحدي بمثله، وأن المنع والصـرف هو المعجزة دون ذات القرآن، وذلك أن الله تعالى صرف هممهم عن معارضته مع تحديهم بأن يأتوا بسورةٍ من مثله، وهذا فاســد، لأن إجماع الأُمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن كونه معجزاً، وذلك خلاف الإجماع"[2].

ثالثاً: التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغ الجزم، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض:

وهذه الصيغة في الترجيح معروفة مستعملة عند العلماء، فإن الاعتماد على قول ما، أو حكايته بصيغة الجزم، وهي الألفاظ المبنية للفاعل، كقال، وروى، وذكر[3]، دليل على أن المفسر يراه الصواب، وحكايته بصيغة التمريض، وهي الألفاظ المبنية للمفعول، كروي، وقيل، وذكر[4]، ونحوها دليل على تضعيفه، وعدم اعتماده.

وهذه الطريقة اصـــطلح العلماء من أهل الحديث وغيرهم على العمل بها في التصحيح والتضعيف[5].

---

(١) والنظام: هو إبراهيم بن سيار النظام، أبو إسحاق البصري، شيخ المعتزلة، تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، مات سنة بضع وعشرين ومئتين، سير أعلام النبلاء:(٨/٥٢٩).

(٢) الجامع: (١/١١٩).

(٣) المرجع نفسه: (٧/٢٩-٦٦-٧٠-٨٤).

(٤) المرجع نفسه: (٧/٢٥-٥٩).

(٥) الباعث الحثيث: لابن كثير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط٢، (١/٩٠)، والنكت على كتاب ابن الصلاح: لابن حجر، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، (١/١٨٨).

واعتمد الإمام القرطبي هذا الأسـلوب في الترجيح، وقد لاحظت أنه يذكر الرأي الراجح في الأول أحياناً، ويذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض، ومن أمثلة ذلك في تفسيره الجامع لأحكام القرآن:

١-تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾[١]، قال القرطبي: "أي: لا أقدر أن أدفع عنكم ضراً ولا أسوق لكم خيراً، وقيل: لا أملك لكم ضراً؛ أي: كفراً ولا رشداً، أي: هدى أي: إنما علي التبليغ، وقيل: الضر العذاب، والرشد: النعيم، وهو الأول بعينه، وقيل: الضر: الموت، والرشد: الحياة[٢].

٢-تفسيره لقوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾[٣]، قال القرطبي: "أي: متشققة لشدته، ومعنى به أي: فيه، أي: في ذلك اليوم لهوله، هذا أحسن ما قيل فيه، ويقال: مثقلة به إثقالاً يؤدي إلى انفطارها لعظمته عليها، وخشيتها من وقوعه، كقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤]، وقيل: به أي: له، أي: لذلك اليوم، يقال فعلت كذا بحرمتك وحرمتك، والباء واللام وفي متقاربة في مثل هذه المواضع، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[٥]، أي: في يوم القيامة، وقيل

---

(١) الجن: (٢١).
(٢) الجامع: (٢٥/١٩).
(٣) المزمل: (١٨).
(٤) الأعراف: (١٨٧).
(٥) الأنبياء: (٤٧).

به أي: بالأمر، أي: السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا، وقيل: منفطر بالله أي: بأمره، وقال أبو عمرو بن العلاء[1]، لم يقل منفطرة لأن مجازها[2] السقف"[3].

٣-تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾[4]، قال القرطبي: "أي لقضاء ربك، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: اصبر على أذى المشركين، هكذا قضيت، ثم نسخ بآية القتال، وقيل: أي اصبر لما حكم به عليك من الطاعات أو أنتظر حكم الله إذ وعدك أنه ينصرك عليهم، ولا تستعجل فإنه كائن لا محالة[5].

٤-تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ﴾[6]، قال القرطبي: "هذه المخاطبة تدخل في باب الستر، والصلاح، أي: زوجوا من لا زواج له منكم، فإنه طريق التعفف، والخطاب للأولياء، وقيل: للأزواج، والصحيح الأول: إذ لو أراد الأزواج لقال: ﴿وَأَنكِحُواْ﴾ بغير همزه، وكانت الألف للوصول، وفي هذا دليل على أن

---

(١) أبو عمرو بن العلاء: هو زبان بن العلاء بن عمار بن حصين بن حليم بن مازن بن خزاعي، من أهل البصرة، وهم إخوة أربعة، أبو عمرو وأبو سفيان، ومعاذ وعمر فأكبرهم سنا أبو عمرو، ثم أبو سفيان، وكان يقال لأبي سفيان سنسن ثم معاذ ثم عمر، صاحب القراءات، توفي سنة: (١٥٤هـ)، الثقات لابن حبان: طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط٢، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م، (٦/ ٣٤٥).

(٢) مجازها: أي: معناها.

(٣) الجامع: (١٩/٥٠-٥١).

(٤) الإنسان: (٢٤).

(٥) الجامع: (١٩/١٤٩).

(٦) النور: (٣٢).

المرأة، ليس لها أن تُنكْحَ نفســـها بغير ولي، وهو قول أكثر العلماء، وقال أبو حنيفة[1]: إذا زوجت الثيب، أو البكر نفسها، بغير ولي كفأ لها جاز"[2].

(١) أبو حذيفة: هو النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، قيل: أصله من أبناء فارس، ولد ونشأ بالكوفة، سنة: (٨٠هـ)، وكان يبيع الخز، ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، له (مسند) في الحديث، جمعه تلاميذه، و(المخارج) في الفقه، صغير، وغيرها، توفي ببغداد، سنة: (١٥٠هـ)، الأعلام للزركلي: (٨/ ٣٦).

(٢) الجامع: (٢٣٩/١٢).

المطلب الثالث:

وجوه الترجيح عند الإمام القرطبي.

١-الترجيح بالنظائر القرآنية:

النظائر القرآنية: "هي الألفاظ المتواطئة، وقيل: النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني، وضعف لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر"[١]، و"القول الذي تؤيده آيات قرآنية، مقدم على ما عدا ذلك" لا ينبغي حمل الآية على القلب ولها بدونه وجه صحيح[٢].

١) قال الإمام القرطبي: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾[٣].

"واختلف في المراد بهذه الآية:

فقال سعيد بن جبير[٤]: هي في رماة عائشة[٥] -رضوان الله عليها- خاصة، وقال قوم: هي في عائشة، وسائر أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- قاله بن عباس،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: (١٤٤/٢).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، دار القلم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، (١١٣/١).

(٣) النور: (٢٣).

(٤) سعيد: هو بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله، تابعيّ، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، ولد سنة: (٤٥هـ)، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، أرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط، سنة: (٩٥هـ)، الأعلام للزركلي: (٣/ ٩٣).

(٥) عائشة: هي بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش: أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب، كانت تكنى بأم عبد الله، تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه، ولدت سنة: (٩ق هـ)، وتوفيت في المدينة، سنة: (٥٨هـ)، روي عنها ٢٢١٠ أحاديث، الأعلام للزركلي: (٣/ ٢٤٠).

والضحاك[1]، وغيرهما، ولا تنفع التوبة، ومن قذف غيرهن من المحصنات فقد جعل الله له توبة، لأنه قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾[2] فجعل الله لهؤلاء توبة، ولم يجعل لأولئك توبة، قاله الضحاك، وقيل: هذا الوعيد لمن أصر على القذف، ولم يتب، وقيل: نزلت في عائشة، إلا أنه يراد بها كل من اتصف بهذه الصفة، وقيل: إنه علم لجميع الناس القذفة، من ذكر، أو أنثى، ويكون التقدير: إن الذين يرمون الأنفس المحصنات، فدخل في ذلك المذكر، والمؤنث، واختاره النحاس[3].

وقيل: نزلت في مشركي مكة، لأنهم يقولون للمرأة إذا هاجرت: إنما خرجت لتفجر، ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾[4] قال العلماء: إن كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القذفة، فالمراد باللعنة: الإبعاد وضرب الحد، واستيحاش المؤمنين منهم، وهجرهم لهم، وزوالهم عن رتبة العدالة، والبعد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين.

وعلى قول من قال: نزلت في مشركي مكة، فلا كلام، فإنهم مبعدون، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، ومن أسلم فالإسلام يجب ما قبله.

---

(١) الضحاك: هو ابن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم، مفسر كان يؤدب الأطفال، ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار، وذكره ابن حبيب تحت عنوان: (أشراف المعلمين وفقهاؤهم)، له كتاب في (التفسير)، توفي بخراسان سنة: (١٠٥هـ) الأعلام للزركلي: (٣/ ٢١٥).

(٢) النور: (٤-٥).

(٣) النحاس: هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر، صنف: (تفسير القرآن)، و(إعراب القرآن)، و(تفسير أبيات سيبويه)، و(ناسخ القرآن ومنسوخه) وغيرها، توفي سنة: (٣٣٨هـ)، الأعلام للزركلي: (١/ ٢٠٨).

(٤) النور: (٢٣).

٢) قال الإمام القرطبي: "قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾[١]، اختلف في الأمر الجامع ما هو؟ فقيل المراد به: ما للإمام من حاجة إلى تجمع الناس فيه، لإذاعة مصلحة، من إقامة سنة في الدين، أو لترهيب عدو باجتماعهم، وللحروب، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[٢] فإذا كان أمر يشملهم نفعه وضره، جمعهم، للتشاور في ذلك، والإمام الذي يترقب إذنه، هو إمام الإمرة، فلا يذهب أحد لعذر إلا بإذنه، فإذا ذهب بإذنه، ارتفع عنه الظن السيئ، وقال مكحول[٣]، والزهري[٤]: الجمعة من الأمر الجامع، وإمام الصلاة ينبغي أن يستأذن، إذا قدمه إمام الإمرة، إذا كان يرى المستأذن.

ثم قال: وظاهر الآية، يقتضي أن يستأذن أمير الأمرة الذي هو في مقعد النبوة، فإنه ربما كان له رأي، في حبس ذلك الرجل، لأمر من أمور الدين.

فأما إمام الصلاة فقط، فليس ذلك إليه، لأنه وكيل على جزء من أجزاء الدين، للذي هو في مقعد النبوة.

---

(١) النور: (٦٢).

(٢) آل عمران: (١٥٩).

(٣) مكحول: هو محمد بن عبد الله بن عبد السلام، أبو عبد الرحمن، المعروف بمكحول، حافظ للحديث، ثقة، ثبت، من أهل بيروت، سمع بمصر والشام والجزيرة، وروى عنه كثيرون، توفي سنة: (٣٢١هـ)، الأعلام للزركلي: (٦/ ٢٢٣).

(٤) الزهري: هو عبيد الله بن سعد الزهري البغدادي، نزيل سامراء، أبو الفضل، قاض، من رجال الحديث الثقات، ولي قضاء أصبهان مرتين، ولم يمكث طويلا، ولد سنة: (١٨٥هـ)، وتوفي سنة: (٢٦٠هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ١٩٤).

قلت: والصحيح الأول، لتناوله جميع الأقوال، واختار ابن العربي[1] ما ذكره في نزول الآية، من مالك[2] وابن إسحاق[3] وأن ذلك مخصوص في الحرب، قال: والذي يبين ذلك أمران:

أحدهما: قوله في الآية الأخرى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾[4] وذلك أن المنافقين كانوا يتلوذون، ويخرجون عن الجماعة، ويتركون رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فأمر الله جميعهم بألا يخرج أحد منهم، حتى يأذن له رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وبذلك يتبين إيمانه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾، وأي إذن في الحدث، والإمام يخطب وليس للإمام خيار في منعه ولا إبقائه؟ وقد قال: ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾[5] فبين بذلك أنه مخصوص في الحرب، قلت: القول بالعموم أولى، وأرفع، وأحسن، وأعلى"[6].

---

(١) ابن العربي: هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ، قاض، من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ من كتبه: (العواصم من القواصم)، و(المسالك على موطأ مالك)، و(الإنصاف في مسائل الخلاف)، و(أعيان الأعيان) وغيرها، توفي سنة: (٤٥٣هـ)، الأعلام للزركلي: (٦/ ٢٣٠).

(٢) مالك: هو ابن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده في المدينة سنة: (٩٣هـ)، توفى بها سنة: (١٧٩هـ)، له كتب كثيره منها، (الموطأ)، و(النجوم)، و(تفسير غريب القرآن)، وغيرها، الأعلام للزركلي: (٥/ ٢٥٧/٢٥٨).

(٣) ابن إسحاق: هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة، له (السيرة النبويّة)، هذبها ابن هشام، و(كتاب الخلفاء)، و(كتاب المبدأ)، وكان قدريا، ومن حفاظ الحديث، توفى سنة: (١٥١هـ)، وكان جده يسار من سبي عين التمر، الأعلام للزركلي: (٦/ ٢٨).

(٤) النور: (٦٣).

(٥) النور: (٦٢).

(٦) الجامع: (٥٩٦/٦).

٢-الترجيح بظاهر القرآن:

الترجيح بالظاهر من وجوه الترجيح المعتمد عند المفسرين.

والظاهر: وهو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع تجويز غيره، وإن شئت قلت: ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر، فحكمه أن يصار إلى معناه الظاهر، ولا يجوز تركه إلا بتأويل، وحكم الظاهر: أن يصار إلى معناه الظاهر، ولا يجوز تركه إلا بتأويل.

والتأويل: صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهر إلى احتمال مرجوح به، لاعتضاده بدليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر، والدليل يكون قرينه أو ظاهراً آخر، أو قياساً راجحاً، ومهما تساوى الاحتمالان وجب المصير إلى الترجيح فتكون القاعدة: "لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن، إلا بدليل يجب الرجوع اليه"[١]، وقد ذكر الإمام القرطبي هذه القواعد في التفسير بالظاهر في مقدمة كتابه الجامع[٢].

١-قال الإمام القرطبي:

قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾[٣].

"وقد اختلف الناس فيه؛ هل خاص في الإفك أم لا؟ وهل جلد أحد أم لا؟ فالله أعلم، ثم قال: قال الماوردي[٤]، وغيره: اختلفوا هل حد النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحاب الإفك؟ على قولين:

---

(١) قواعد الترجيح للحربي: (١٣٧).

(٢) الجامع: (٥٩/١).

(٣) النور: (١١).

(٤) الماوردي: هو علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي، اقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، سنة: (٣٦٤هـ)، ووفاته ببغداد سنة: (٤٥٠هـ)، من كتبه: (أدب الدنيا والدين)، و(الأحكام السلطانية)، و(النكت والعيون) وغيرها، الأعلام للزركلي (٤/ ٣٢٧).

أحدهما: أنه لم يحد أحداً من أصـــحاب الإفك، لأن الحدود إنما تقام بإقرار، أو ببينة، ولم يتعبده الله أن يقيمها، بإخباره عنها كما لم يتعبده بقتل المنافقين، وقد أخبره بكفرهم، قلت: وهذا فاســد، مخالف لنص القرآن، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ أي: على صـدق قولهم: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾(١) "(٢).

٢-قال الإمام القرطبي:

"قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾(3).

روي أن السماء تتشقق، عن سحاب، أبيض، رقيق، مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، فتنشق السماء عنه، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾(٤)، ﴿وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من السموات، ويأتي الرب -عز وجل- في الثمانية، الذين يحملون العرش، لفصل القضاء على ما يجوز أن يحمل عليه إتيانه، لا على ما تحمل عليه صفات المخلوقين، من الحركة والانتقال.

وقيل: إن السماء تنشق بالغمام، الذي بينها، وبين الناس، فبتشقق الغمام، تتشقق الســماء فإذا انشــقت الســماء، انتقض تركيبها، وطويت، ونزلت الملائكة إلى مكان سواها"(٥).

٣-الترجيح بالسياق:

---

(١) النور: (٤).
(٢) الجامع: (٤٩٥/٦).
(٣) الفرقان: (٢٥).
(٤) البقرة: (٢١٠).
(٥) الجامع: (٢٥/٧).

الترجيع بالسياق من وجوه الترجيح المعتمدة عند المفسرين.

والســياق: "إدخال الكلام في معاني ما قبله، وما بعده، وهو أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له"(١).

و" القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه"(٢).

وقد اعتنى الإمام القرطبي في تفسيره للآيات بإدخال معاني الكلمات في سياق الآيات التي تسبقها، ومن أمثلة ذلك:

قول الإمام القرطبي:

"قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني القرآن، وقد جرى ذكره أول السورة، قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾، وقوله ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾، وقوله: ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، وقوله: ﴿لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾،(3) أي: جحوداً له، وتكذيبا به.

وقيل: ولقد صرفناه بينهم، وهو المطر، وروي عن ابن عباس وابن مسعود، وأنه ليس عام بأكثر مطراً من عام، ولكن الله يصرفه حيث يشاء، فما زيد لبعض، نقص من غيرهم، فهذا معنى التصريف.

وقيل: صرفناه بينهم وابلاً، وطشاً، وطلاً، ورهاماً، قال الجوهري(٤) : الرهام: الأمطار اللينة ورذاذاً، وقيل: تصريفه: تنويع الانتفاع به في الشرب، والسقي،

---

(١) قواعد الترجيح للحربي: (١٢٥).

(٢) المرجع نفسه: (٣١١).

(٣) الفرقان: (٥٠/١/٢٩/٣٠).

(٤) الجوهري: هو إبراهيم بن سعيد الجوهري، أبو إسحاق، من أعلام رجال الحديث، واللغة، من أهل بغداد، أصله من طبرستان، روى عنه أصحاب الكتب الستة، عدا البخاري، قال الإمام ابن حنبل: هو كبير الكتاب اكتبوا عنه، له: (المسند) في الحديث، مات مرابطا في نواحي الكوفة سنة (٢٤٧هـ)، الأعلام للزركلي: (١/ ٤٠).

والزراعات به، والطهارات، وسقي البساتين، والغسل، وشبهه، ﴿لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ قال عكرمة: هو قولهم في الأنواء: مطرنا بنوء كذا.

قال النحاس: ولا نعلم بين أهل التفسير اختلافاً أن الكفر ههنا قولهم: مطرنا بنوء كذا. وكذا، وأن نظيره فعل النجم كذا، وأن كل من نسب إليه فعلا فهو كافر.

وروي من حديث ابن مسعود عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "ما من سنة بأمطر من أخرى، ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي صرف الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعاً، صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار، وقيل: التصريف راجع إلى الرياح"(١).

٤–الترجيح بالقراءات:

اعتنى الإمام القرطبي بالقراءات عناية كبيرة، والترجيح بالقراءات من أهم وجوه الترجيح، وقد اعتمد القواعد الآتية:

١–"إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة.

٢–اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه.

٣–معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة"(٢).

---

(١) الجامع: (٥٤/٧).

(٢) قواعد الترجيح للحربي (١٠٤/٨٩).

قال الإمام القرطبي: "﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[1] قال ابن عباس: يعني الشمس نظيره، ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[2] وقراءة العامة سراجاً بالتوحيد، وقرأ حمزة[3]، والكسائي سراجاً، يريدون النجوم، العظام، الوقادة.

والقراءة الأولى عند أبي عبيد[4] أولى، لأنه تأول أن السراج النجوم، وأن البروج النجوم، فيجي المعنى نجوما، ونجوما، قال النحاس: ولكن التأويل لهم: أن أبان بن تغلب[5] قال: السرج: النجوم الدراري، قال الثعلبي[6] كالزهرة، والمشتري، وزحل، والسماكين، ونحوهما"[7].

٥-الترجيح بالحديث النبوي:

وهو من أهم قواعد الترجيح التي اعتمد عليها العلماء، ويلزم لذلك معرفة الحديث وأقسامه، وأنواعه، وما يحتج به، وما لا يحتج به، ومعرفة علله في السند، والمتن،

---

(١) الفرقان (٦١).

(٢) نوح (١٦).

(٣) حمزة: هو شعيب بن أبي حمزة دينار الحمصي، الأموي، بالولاء: حافظ للحديث، ثقة، من أهل حمص، كان جيد الخط، ولي الكتابة لهشام بن عبد الملك، بالرصافة، وكتب له كثيراً من الحديث بإملاء الزهريّ، توفي سنة: (١٦٢هـ)، الأعلام للزركلي: (٣/ ١٦٦).

(٤) أبو عبيد: هو علي بن الحسين بن بحرب، الملقب بأبي عبيد، فقيه مجتهد، من القضاة، ولد ببغداد سنة: (٢٣٢هـ)، وقدم مصر سنة: (٢٩٣)، فولي قضاءها، وعزل سنة: (٣١١)، فخرج إلى بغداد، فتوفي فيها سنة: (٣١٩هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ٢٧٧).

(٥) أبان بن تغلب: هو ابن رباح البكري الجريريّ بالولاء، أبو سعيد، قارئ لغويّ، من غلاة الشيعة، من أهل الكوفة، من كتبه: (غريب القرآن)، ولعله أول من صنف في هذا الموضوع، و(القراءات)، و(صفين)، و(الفضائل)، و(معاني القرآن)، توفي سنة: (١٤١هـ)، الأعلام للزركلي: (١/ ٢٦).

(٦) الثعلبي: هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسر، من أهل نيسابور له اشتغال بالتأريخ، من كتبه: (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء، و(الكشف والبيان في تفسير القرآن)، يعرف بتفسير الثعلبي، توفي سنة: (٤٢٧هـ)، الأعلام للزركلي: (١/ ٢١٢).

(٧) الجامع: (٦٢/٧).

ولقد اتبع الإمام القرطبي في ترجيحه بالحديث النبوي الشريف، القواعد الآتية:

١-"إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره.

٢-إذا ثبت الحديث وكان نصـــاً في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"[١].

وكان يذكر الأحاديث بسندها، ويبين الحكم عليها أحيانا، ومن أمثلة ذلك:

قول الإمام القرطبي:

"من التبرج أن تلبس المرأة ثوبين رقيقين يصـــفانها، روي في الصـــحيح عن أبي هريرة [٢] قال: قال رسـول الله -صـلى الله عليه وسـلم-: (صـنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سـياط كأذناب البقر يضـربون بها الناس ونسـاء، كاسـيات عاريات مميلات مائلات رؤوسـهن كأسـنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)[٣].

ثم قال: قلت: هذا أحد التأويلين للعلماء في هذا المعنى.

---

(١) قواعد الترجيح للحربي: (٢٠٦).

(٢) أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة، صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، ولد سنة: (٢١ق هـ)، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله -صلّى الله عليه وسلم- بخيبر، فأسلم سنة: (٧هـ) ولزم صحبة النبي، فروى عنه: ٥٣٧٤ حديثاً، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي، وكان أكثر مقامه في المدينة، وتوفي فيها، سنة: (٥٩هـ)، الأعلام للزركلي: (٣/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه مسلم: في كتاب: اللباس والزينة، باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، بيرم: (٢١٢٨)، (١٦٨٠/٣).

والثاني: أنهن كاســـيات من الثياب، عاريات من لباس التقوى، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[1].

ثم قال: وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري[2] قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وســلم–: (بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضــون عليَّ وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، ومر عمر بن الخطاب، وعليه قميص يجره، قالوا: ماذا أولت ذلك يا رســول الله؟ قال: الدين)[3]، فتأويله –صــلى الله عليه وســلم– القميص بالدين مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[4] والعرب تكني عن الفضــل، والعفاف بالثياب، ثم قال: وقد قال –صــلى الله عليه وســلم– لعثمان: (إن الله ســيلبســك قميصــاً فإن أرادوك أن تخلعه فلا تخلعه)[5]، فعبر عن الخلافة بالقميص، وهي استعارة حسنة معروفة.

قلت: هذا التأويل أصح التأويلين، وهو اللائق بهن في هذه الأزمان"[6].

٦–الترجيح بأسباب النزول:

"القرآن الكريم قسمان: قسم نزل من الله ابتداء، غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة، إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق، وهو كثير ظاهر، لا يحتاج إلى

---

(١) الأعراف: (٢٦).

(٢) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان الخدريّ الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، صحابي، كان من ملازمي النبي –صلى الله عليه وسلّم–، وروى عنه أحاديث كثيرة، غزا اثنتي عشرة غزوة، وله ١١٧٠ حديثاً، ولد سنة: (١٠ق هـ)، وتوفي في المدينة سنة: (٧٤هـ)، الأعلام للزركلي (٣/ ٨٧).

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب: التعبير، باب: القميص في المنام، برقم: (٧٠٠٨)، (٩/٣٥).

(٤) الأعراف: (٢٦).

(٥) فضائل الصحابة: لأحمد بن حنبل، باب فضائل عثمان بن عفان، برقم: (٨١٥)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة / بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، (١/٥٠٠)،

(٦) الجامع: (٦/٥٨٨–٥٩٥).

بحث ولا بيان، وقسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة"[1]، وإذا اختلف العلماء في تفسير آية، فإن أولى الأقوال بالقبول: هو الذي يؤيده سبب نزول صحيح، وصريح، ولذلك اعتنى الإمام القرطبي بأسباب النزول، وطبق القواعد التالية:

١-"إذا صح سبب النزول الصريح، فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير.

٢-إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير"[2].

ومن أمثلة ذلك:

"قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾[3]، المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، ومسطح بن أثاثة وذلك أنه كان ابن بنت خالته، وكان من المهاجرين البدريين المساكين، وهو مسطح بن أثاثة بن عبد المطلب بن عبد مناف، وقيل اسمه عوف، ومسطح لقب، وكان أبو بكر -رضي الله عنه- ينفق عليه، لمسكنته، وقرابته، فلما وقع أمر الإفك، وقال فيه مسطح ما قال، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه، ولا ينفعه بنافعة أبداً، فجاء مسطح فاعتذر، وقال إنما كنت أغشى مجالس حسان[4] فأسمع، ولا أقول، فقال أبو بكر: لقد

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، (١٠٦/١).

(٢) قواعد الترجيح للحربي: (٢٤١).

(٣) النور: (٢٢).

(٤) حسان: هو ابن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، توفي في المدينة، سنة: (٥٤هـ)، وفي (ديوان شعره)، ما بقي محفوظاً منه، وقد انقرض عقب حسان، ومما كتب في سيرته وشعره (أخبار حسان)، للزبير بن بكار، و(حسان بن ثابت)، لحنا نمر، ومثله لخلدون الكناني، ومثله لفؤاد البستاني، الأعلام للزركلي: (٢/ ١٧٥-١٧٦).

ضحكت، وشاركت فيما قيل، ومر على يمينه، فنزلت الآية، قال الضحاك وابن عباس: إن جماعة من المؤمنين، قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك، وقالوا: والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة، فنزلت الآية في جميعهم، والأول أصح"[١].

٧-الترجيح بأقوال السلف:

من المتفق عليه عند العلماء أن أقوال السلف من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، من القرون الأولى، المشهود لهم بالإمامة والدين، مقدمة على قول غيرهم، وهو من وجوه الترجيح المعتمدة طبقاً للقواعد التالية:

١-"تفسير السلف، وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم.

٢-تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"[٢].

"فقول الصحابي الصادر عن رأي واجتهاد يرجح على رأي التابعي ومن بعده؛ لأن الصحابي أقرب إلى إصابة الحق، وأبعد عن الخطأ، وإذا خالف الصحابي صحابياً آخر فيرجح الرأي الذي يقويه دليل"[٣].

وقد كان منهج القرطبي كذلك، وذلك مثل قوله في حادثة الإفك:

---

(١) الجامع: (٦/٥٠٠-٥٨٠-٥٩٦).

(٢) قواعد الترجيح للحربي: (٢٧١).

(٣) روضة الناظر وجنة المناظر: لابن قدامه المقدسي، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (٢/٣٨٠).

"وروي عن عائشة أنه حسان، وأنها قالت: حين عمي لعل العذاب العظيم الذي أوعده الله به: ذهاب بصره، رواه عنها مسروق[١]، وروي عنها: أنه عبد الله بن أبي[٢]، وهو الصحيح، وقاله ابن عباس، وحكى أبو عمر بن عبد البر: أن عائشة برأت حساناً من الفرية، وقالت: إنه لم يقل شيئاً، وقد أنكر حسان أن يكون قال شيئاً من ذلك.

وقد روي أنه لما أنشدها: حصان رزان[٣]، قالت له: لست كذلك، تريد أنك وقعت في القوافل، وهذا تعارض، ويمكن الجمع بأن يقال: إن حسـاناً لم يقل ذلك نصـاً وتصريحاً، ويكون عرض بذلك، وأومأ فنسب ذلك إليه، والله أعلم"[٤].

٨-الترجيح بدلالة الأصل المعتبر أولاً في كلام العرب:

إذا اختلفت أقوال المفسرين في تفسير آية، وأيد تصريف الكلمة، أو أصل اشتقاقها أحد الأقوال، فإن هذا هو أولى الأقوال بتفسير الآية، و"يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ، والضعيف، والمنكر"[٥].

وقد اعتمد الإمام القرطبي ذلك مثل:

---

(١) مسروق: هو ابن الأجدع بن مالك الهَمْداني الوادعي، أبو عائشة، تابعي ثقة، من أهل اليمن، قدم المدينة في أيام أبي بكر، وسكن الكوفة، وشهد حروب عليّ، وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء، توفي سنة: (٦٣هـ)، الأعلام للزركلي: (٧/ ٢١٥).

(٢) عبد الله: هو ابن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بأبن سلول، وسلول جدته لأبيه، من خزاعة، رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية، توفي سنة: (٩هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ٦٥).

(٣) البيت في العقد الفريد: للأندلسي، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، (١٣١/٤)، ونهاية الأرب في فنون الأدب: لشهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، (٤١٦/١٦).

(٤) الجامع: (٤٩٥/٦).

(٥) قواعد الترجيح للحربي: (٣١٣).

"قوله: ﴿وَيَجۡعَل لَّكَ﴾[1] بالرفع، أي: وسيجعل لك في الآخرة قصوراً، قال مجاهد[2]: كانت قريش ترى البيت من حجارة قصوراً، كائناً ما كان.

والقصور في اللغة: الحبس، وسمي القصر قصراً، لأن من فيه مقصور عن أن يوصل إليه.

وقيل: العرب تسمي بيوت الطين: القصور، وما يتخذ من الصوف، والشعر البيت، حكاه القشيري[3]"[4].

٩-الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقها:

يدل تصريف الكلمة، وأصل اشتقاقها على صحة بعض المعاني، لأن إعادة الكلمة إلى أصل اشتقاقها، يبين المعنى الذي أخذت منه، وأريد بها، فيستدل على أقوى الأقوال، وأولاها في تفسير الآية، وهذا الوجه معتمد عند المفسرين. و"القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها، أولى بتفسير الآية"[5]. وقد استعمل الإمام القرطبي هذا الوجه من الترجيح ومن أمثلة ذلك:

قول الإمام القرطبي:

---

(١) الفرقان: (١٠).

(٢) مجاهد: هو بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر من أهل مكة، ولد سنة: (٢١هـ)، أما كتابه في (التفسير)، فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يَسأل أهل الكتاب، يعني النصارى واليهود. ويقال: إنه مات وهو ساجد، سنة: (١٠٤هـ)، الأعلام للزركلي: (٥/ ٢٧٨).

(٣) القشيري: هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير بن كعب، أبو القاسم، ولد سنة: (٣٧٦هـ)، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، زهداً وعلماً بالدين، كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها، سنة: (٤٦٥هـ)، من كتبه: (التيسير في التفسير)، ويقال له: (التفسير الكبير)، وغيرها، الأعلام للزركلي: (٤/ ٥٧-٥٦).

(٤) الجامع: (٧/١٠-٣٣-٦٤).

(٥) قواعد الترجيح للحربي: (٣٢٢).

"قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾[1] تبارك اختلف في معناه، فقال الفراء: هو في العربية (تقدس) واحد، وهما للعظمة، وقال الزجاج[2]: تبارك تفاعل من البركة، قال: ومعنى البركة: الكثرة من كل ذي خير، وقيل: تبارك: تعالى، وقيل: تعالى عطاؤه، أي: زاد، وكثر، وقيل: المعنى: دام، وثبت إنعامه، قال النحاس: وهذا أولاها في اللغة، والاشتقاق من برك الشيءُ، إذا ثبت، ومنه برك الجمل، والطير على الماء، أي: دام وثبت، فأما القول الأول فمخلط، لأن التقديس إنما هو من الطهارة، وليس من ذا في شيء.

قال الثعلبي: ويقال: تبارك الله، ولا يقال: متبارك، ولا مبارك، لأنه يُنْتَهَى في أسمائه، وصفاته إلى حيث ورد التوقيف.

قلت: قد ذكر بعض العلماء في أسمائه الحسنى المبارك، وذكرناه أيضاً في كتابنا، فإن كان وقع اتفاق أنه لا يقال، فيسلم للإجماع، وإن كان وقع فيه اختلاف فكثير من الأسماء اختلف في عده، كالدهر، وغيره"[3].

١٠-الترجيح باللغة والشعر:

اللغة العربية، هي لغة العرب، ولغة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وبها نزل القرآن الكريم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[4].

---

(١) الفرقان: (١).

(٢) الزجاج: هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد، ولد سنة: (٢٤١هـ)، وتوفي سنة: (٣١١هـ)، كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو فعلمه المبرد، من كتبه: (معاني القرآن)، (الاشتقاق)، و(خلق الإنسان)، وغيرها، الأعلام للزركلي: (١/ ٤٠).

(٣) الجامع: (٦/٧).

(٤) إبراهيم: (٤).

لأن من عرف اللغة عرف شرح مفردات الألفاظ، ومدلولاتها، بحسب الوضع كما قال مجاهد: لا يحل لأحد، يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالماً بلغات العرب، "ويجب أن يكون عالماً بالنحو؛ لأن المعنى يختلف، ويتغير باختلاف الإعراب، وتصريف الكلمات، واشتقاقاتها"[1].

ومن أمثلة ذلك: قول الإمام القرطبي:

"مد الله –سبحانه وتعالى– التحريم في دخول بيت، ليس هو بيتك إلى غاية، هي الاستئناس، وهو الاستئذان، قال ابن وهب[2]: قال مالك: الاستئناس فيما نرى –والله أعلم–: الاستئذان، وكذا في قراءة أُبيّ[3]، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾[4]: تستعلموا، أي: تستعلموا من في البيت، قال مجاهد: بالتنحنح، أو بأي وجه أمكن، ويتأنى قدر ما يعلم أنه قد شعر به، ويدخل إثر ذلك، وقال معناه؟ الطبري[5] ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾[6] أي: علمتم، وقال الشاعر:

---

(١) البرهان في علوم القرآن: (٢٩٢/١)، والإتقان في علوم القرآن: (٤٧٧/٢).

(٢) ابن وهب: هو عبد الله بن مسلم، القرشي، بالولاء، الفقيه، المالكي المصري، أبو محمد، ولد في سنة: (١٢٥هـ)، كان أحد أئمة عصره وصحب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهم عشرين سنة، صنف (الموطأ الكبير والموطأ الصغير)، وتوفي بمصر سنة: (١٩٧هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ١٤٤)، والديباج المذهب: (١٣٢/١)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: (٣٦/٣)،

(٣) أبي: هو ابن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، ابو المنذر، صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، ولما أسلم كان من كتاب الوحي، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– وكان يفتي على عهده، وله في الصحيحين وغيرهما ١٦٤ حديثا، وفي الحديث: (أقرأ أمتي أبيّ بن كعب)، مات بالمدينة سنة: (٢١هـ)، الأعلام للزركلي: (١/ ٨٢).

(٤) النور: (٢٧).

(٥) الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، سنة (٢٢٤هـ)، واستوطن بغداد وتوفي بها، سنة: (٣١٠هـ)، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، له: (أخبار الرسل والملوك)، و(جامع البيان في تفسير القرآن)، وغيرها، الأعلام للزركلي: (٦/ ٦٩).

(٦) النساء: (٦).

آنست نبأه وأفزعها القناص ... عصراً وقد دنا الامساء[١].

قلت: وفي سنن ابن ماجة[٢]: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة[٣]، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان[٤] عن واصل بن السائب[٥] عن أبي سورة[٦] عن أبي أيوب الأنصاري[٧]، قال قلنا:" يا رسول الله هذا السلام فما الاستئذان، قال: (يتكلم الرجل بتسبيحة، وتكبيرة، وتحميده، ويتنحنح، ويؤذن أهل البيت)[٨].

قلت: وهذا نص في أن الاســـتئناس غير الاســـتئذان، كما قال مجاهد، ومن وافقه"[٩].

---

(١) البيت للحارث بن حلزة، ونهاية الأرب في فنون الأدب: لشهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، (٢٦٩/١).

(٢) ابن ماجة: هو محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجة، أحد الأئمة في علم الحديث، من أهل قزوين، ولد سنة: (٢٠٩هـ)، رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري، في طلب الحديث، وصنف كتابه: (سنن ابن ماجة) مجلدان، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة، وله: (تفسير القرآن)، توفي سنة: (٢٧٣هـ)، الأعلام للزركلي: (١٤٤/٧).

(٣) أبو بكر: هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم، الكوفي، أبو بكر، ولد سنة: (١٥٩هـ)، وتوفي سنة: (٢٣٥هـ)، حافظ للحديث، له فيه كتب، منها: (المسند) و(المصنف في الأحاديث والآثار)، و(الإيمان)، وكتاب (الزكاة)، وغيرها، الأعلام للزركلي: (١١٨/١١٧/٤).

(٤) عبد الرحيم: هو ابن سليمان، الإمام، الحافظ، المصنف، أبو علي الرازي، نزيل الكوفة، يروي عن عاصم الأحول، وأشعث بن سوار، وسليمان الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، وعدة، توفي سنة: (١٨٧هـ)، سير أعلام النبلاء ط الحديث للذهبي: (٧/ ٣٥٠).

(٥) واصل: هو أبو يحيى واصل بن السائب الرقَاشِي البصري، توفي سنة: (١٤٤هـ)، من السادسة، ضعيف، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري: لأكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن، دار ابن عفان، القاهرة، (٢/ ٦٢١).

(٦) أبو سورة: هو ابن يحيى بن أيوب الأنصاري، ابن اخي أيوب الأنصاري، وكان يحدث عنه، لم تذكر كتب التراجم له تاريخ، في مولده ووفاته، تاريخ دمشق لابن عساكر: تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ -١٩٩٥م، (٥١١/٤١)

(٧) أبو أيوب: هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أَبو أَيُّوب الأَنصاري، من بني النجار: صحابي، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد، وكان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد، توفي سنة: (٥٢هـ)، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٩٥/٢٩٦).

(٨) أخرجه ابن ماجه: في كتاب الآداب، باب: الأستاذان، برقم: (٣٧٠٧)، قال الألباني: ضعيف، (١٢٢١/٢).

(٩) الجامع: (٥٠٦/٦).

الباب الثاني:

الفصل الثالث:

اختيارات الإمام القرطبي في الآيات الكونية من خلال تفسيره (الجامع لأحكام القرآن).

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اختيارات الإمام القرطبي في آيات خلق الأرض والسموات واختلاف الليل والنهار.

المبحث الثاني: اختيارات الإمام القرطبي في آيات نزول المطر لإحياء الأرض وتصريف الرياح والسحاب.

المبحث الثالث: اختيارات الإمام القرطبي في آيات خلق الإنسان، وجلده، واختلاف الكائنات.

المبحث الأول:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات خلق الأرض والسموات واختلاف الليل والنهار.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختياراته في آيات خلق الأرض والسموات.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات خلق الليل، والنهار.

المطلب الأول:

اختياراته في آيات خلق الأرض والسموات.

المسألة الأولى:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

المراد بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

اختار القرطبي أنَّ المراد من قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ أي: أن الله تعالى إنما ذكر هذه الآية للاعتبار، للدلالة على أن الذي قدِر على الإحياء والخلق، لا تبعد منه القدرة على الإعادة بعد الموت، حيث قال: "وقال ابن كيسان[2]: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ أي: من أجلكم، وقيل: المعنى أن جميع ما في الأرض منعم به عليكم، فهو لكم، وقيل: إنه دليل على التوحيد والاعتبار، قلت: وهذا هو الصحيح على ما نبينه، ويجوز أن يكون عني به ما هم إليه محتاجون من جميع الأشياء، واستدل من قال: إن أصل الأشياء التي ينتفع بها الإباحة بهذه الآية وما كان مثلها؛ كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

---

(١) البقرة: (٢٩).

(٢) ابن كيسان: هو محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بابن كيسان: عالم بالعربية، نحواً ولغة، من أهل بغداد. أخذ عن المبرد وثعلب، من كتبه: (المهذب) في النحو، و(غلط أدب الكاتب)، و(غريب الحديث)، و(معاني القرآن)، و(المختار في علل النحو)، توفي سنة: (٢٩٩هـ)، الأعلام للزركلي: (٥/ ٣٠٨)،

لَّآيَٰتٍ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، حتى يقوم الدليل على الحظر... "إلى أن قال: "الصحيح في معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، الاعتبار: يدل عليه ما قبله وما بعده من نصب العبر: الإحياء والإماتة والخلق والاستواء إلى السماء وتسويتها، أي: الذي قدر على إحيائكم وخلقكم وخلق السموات والأرض، لا تبعد منه القدرة على الإعادة، فإن قيل: إن معنى ﴿لَكُم﴾ الانتفاع، أي: لتنتفعوا بجميع ذلك، قلنا: المراد بالانتفاع الاعتبار لما ذكرنا"[2].

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: وهو ما اختاره الإمام القرطبي من أن المراد من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾الاعتبار، واختار هذا القول: ابن عطية[3]، وابن العربي[4]، فقال ابن العربي: "فكأن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾: مقابلة الجملة بالجملة؛ للتنبيه على القدرة المهيئة لها للمنفعة والمصلحة، وأن جميع ما

---

(١) الجاثية: (١٣).

(٢) الجامع: (١/٢٥١-٢٥٢).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، تحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، -١٤٢٢هـ، (١/١١٤)، وابن عطية: هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، مفسر فقيه، أندلسي، ولد سنة: (٤٨١هـ)، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، له: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، قيل في تاريخ وفاته سنة: (٥٤٢ -٥٤٦هـ)، الأعلام للزركلي: (٣/ ٢٨٢).

(٤) احكام القرآن: لأبن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، (١/٢٤).

في الأرض إنما هو لحاجة الخلق، والبارئ تعالى غني عنه، متفضل به[1]، وليس في الإخبار بهذه القدرة عن هذه الجملة ما يقتضي حظراً ولا إباحة ولا وقفاً، وإنما جاء ذكر هذه الآية في معرض الدلالة والتنبيه ليستدل بها على وحدانيته"[2]، وبه قال السمعاني[3]، وذكر الطبري[4] عن قتادة[5] أن معنى: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾، أي: سخر لكم[6].

القول الثاني: أن اللام في: ﴿لَكُم﴾، للتعليل والانتفاع، أي: خلق لأجلكم جميع ما في الأرض، فبعضه للانتفاع، وبعضه للاعتبار، وهو اختيار عامة

---

(١) المرجع نفسه: (٢٤/١).

(٢) الجامع: (٢٥٢/١).

(٣) تفسير السمعاني: تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، (٦٢/١)، والسمعاني: هو أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي من أهل مرو، ولد سنة: (٤٢٦هـ)، توفى سنة: (٤٨٩هـ)، من كتبه: (الانتصار لأصحاب الحديث)، وغيره، المرجع مقدمة كتابه.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، (٤٥٤/١)،

(٥) قتادة: هو بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، وكان يرى القدر، وقد يدلّس في الحديث، ولد سنة: (٦١هـ). مات بواسط في الطاعون، سنة: (١١٨هـ)، الأعلام للزركلي: (٥/ ١٨٩).

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري: تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، (٤٢٧/١).

المفسرين، وبه قال الطبري[١]، والقشيري[٢]، والواحدي[٣]، والبغوي[٤]، وابن الجوزي[٥]، والزمخشري[٦]، والرازي[٧]، والبيضاوي[١]، وابن عاشور[٢]، والسعدي[٣]، وابن عثيمين[٤].

---

(١) جامع البيان: (٤٢٧/١).

(٢) لطائف الإشارات: للقشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ مصر، ط٣، بدون تاريخ، (٧٤/١).

(٣) الوجيز للواحدي: تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية / دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، (٩٨/١)، والواحدي: هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، من مصنفاته: (الوسيط)، و(الوجيز)، وغيرها، توفي سنة: (٤٦٨هـ)، وافيات الأعيان وأنباء الزمان: (٣٠٤/٣).

(٤) إحياء التراث: للبغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ، (١٠١/١)، والبغوي: هو الحسين بن مسعود بن محمد بن الفَرَّاء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنّة، فقيه، محدث، مفسر، نسبته إلى (بَغَا) ولد سنة: (٤٣٦هـ)، له: (شرح السنة)، في الحديث، و(لباب التأويل في معالم التنزيل)، في التفسير، وغير ذلك، توفى بمرو الروذ سنة: (٥١٠هـ)، الأعلام للزركلي:(٢/ ٢٥٩).

(٥) زاد المسير في علم التفسير للجوزي: تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي / بيروت، ط١، – ١٤٢٢هـ، (٣٢١/١)، وابن الجوزي: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ولد سنة: (٥٠٨هـ)، وتوفى سنة: (٥٩٧هـ)، له نحو ثلاث مئة مصنف، منها (تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والأخبار)، و(الأذكياء وأخبارهم) وغيرها، الأعلام للزركلي:(٣/ ٣١٦).

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، دار الكتاب العربي / بيروت، ط٣، –١٤٠٧هـ، (١٢٢/١)، والزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر، سنة: (٤٦٧هـ)، توفى سنة: (٥٣٨هـ)، أشهر كتبه: (الكشاف)، في تفسير القرآن، و(أساس البلاغة)، وغيرها، وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، الأعلام للزركلي: (٧/ ١٧٨).

(٧) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، –١٤٢٠هـ، (٣٧٩/٢)، والرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه. الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة: (٥٤٤هـ)، له تصانيف: (في علم الكلام) و(التفسير الكبير) وغيرها، طبقات المفسرين للسيوطي (ص:١١٥).

قال الطبري:" فأخبرهم جل ذكره أنه خلق لهم ما في الأرض جميعًا، لأنّ الأرضّ وجميعَ ما فيها لبني آدم منافعُ، أما في الدين، فدليلٌ على وحدانية ربهم، وأما في الدنيا فمعاشٌ وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه، فلذلك قال جل ذكره: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾"(٥).

قال الزمخشـــري: "﴿لَكُم﴾لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم، أما الانتفاع الدنيوي فظاهر، وأمّا الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصـــانع القادر الحكيم، وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها،

---

(١) انوار التنزيل واسرار التأويل: للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط١، –١٤١٨هـ، (٦٦/١)، والبيضاوي: هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاضٍ، مفسر، علامة، توفي سنة: (٦٨٥هـ) من تصانيفه: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، يعرف بتفسير البيضاوي، وغيره، الأعلام للزركلي: (٤/ ١١٠).

(٢) التحرير والتنوير: لأبن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ، (٣٧٩/١)، وابن عاشور: هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، ولد سنة: (١٢٥٦هـ)، وتوفي سنة: (١٣٩٣هـ)، له مصنفات من أشهرها: (مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(أصول النظام الإجتماعي في الإسلام)، الأعلام للزركلي: (٦/ ١٧٤).

(٣) التيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م، (٤٨/١)،)، والسعدي: هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي عالم ومفسّر سعودي ولد في القصيم بالمملكة العربية السعودية، سنة: (١٣٠٧هـ) وتوفى سنة: (١٣٧٦هـ)، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨) له نحو ٣٠ كتابا، منها (التيسير)، و(القواعد الحسان في تفسير القرآن) وغيرها، الأعلام للزركلي: (٣/ ٣٤٠).

(٤) تفسير الفاتحة والبقرة: لابن العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، (١٠٩/١)، وابن عثيمين: هو محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، عالم وفقيه سعودي، وأستاذ في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في منطقة القصيم، وعضو هيئة كبار العلماء. ولد سنة: (١٣٤٧هـ) وتوفى سنة: (١٤٢١هـ)، من كتبه: (زاد المستقنع)، و(شرح رياض الصالحين)، نقلا عن: الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن: (٤٢٦/١).

لاشـتماله على أسـباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشـارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسـنة البهية، وعلى أسـباب الوحشـة والمشـقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف"[1].

الترجيح:

يتبين مما سـبق في دراسـة القولين أنَ الراجح هو القول الثاني، وهو أن اللام في ﴿لَكُم﴾ للتعليل والانتفاع، أي: خلق لأجلكم جميع مـا في الأرض، فبعضـــه للانتفاع، وبعضـــه للاعتبار، وهو الذي يترجح، لأنه يشـــمل القولين، ومن المقرر أن القول الـذي تعمـل معـه جميع الأقوال أولى بتفســـير الآيـة، وهو خلاف مـا اختـاره القرطبي، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (١/١٢٢-١٢٣).

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب الإمام القرطبي إلى أن المراد بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾أي: في العدد، وأنها سبع كالسموات سبع حيث قال:" قوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ ذكر تعالى أن السموات سبع، ولم يأت للأرض في التنزيل عدد صريح لا يحتمل التأويل إلا قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾[2]، وقد اختُلِف فيه، فقيل: ومن الأرض مثلهن، أي: في العدد، لأن الكيفية والصفة مختلفة بالمشاهدة والأخبار، فتعين العدد، وقيل: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾أي: في غلظهن وما بينهن، قيل: هي سبع إلا أنه لم يفتق بعضها من بعض، قال الداودي[3]، والصحيح الأول، وأنها سبع كالسموات سبع"[4].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو ما ذهب اليه الإمام القرطبي واختاره من أن المراد بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾، أي: في العدد، وأنها سبع كالسموات سبع، وروي هذا القول

---

(١) البقرة: (٢٩).

(٢) الطلاق: (١٢).

(٣) الجامع: (٢٥٩/١) والداوودي: هو أحمد بن نصر، أبو حفص الداوديّ، فقيه مالكي، له كتاب: (الأموال)، أحكام أموال المغانم والأراضي التي يتغلب عليها المسلمون. في دار الكتب، مصور عن الأسكوريال (١١٦٥م)، توفى سنة: (٣٠٧هـ)، الأعلام للزركلي: (١/ ٢٦٤).

(٤) الجامع: (٢٥٩/١).

عن ابن عباس[1] -رضي الله عنهما-، والمراغي[2]، والثعلبي[3]، والبغوي[4]، والبيضاوي[5]، وابن جزي[6]، والزمخشري[7]، والشوكاني[8] ، والشنقيطي[9]، واستدلوا

---

(١) تفسير المراغي: شركة مكتبة ومطبعة، مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ -١٩٤٦م، (١٥١/٢٨).

(٢) المرجع نفسه: (١٥١/٢٨)، والمراغي: هو أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها، وتوفي بالقاهرة، سنة: (١٣٧١هـ)، له كتب: منها (الحسبة في الإسلام)، رسالة، و(الوجيز في أصول الفقه) مجلدان، الأعلام للزركلي: (١/ ٢٥٨).

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: للثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م، (٣٤٢/٩).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، تحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر / عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ -١٩٩م، (١٥٨/٨).

(٥) أنوار التنزيل: (٢٢٣/٥).

(٦) التسهيل في علوم التنزيل: لابن جزي الكلبي، تحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط٢ -١٤١٦هـ، (٣٨٨/٢)، وابن جزي: هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، ولد سنة: (٦٩٣هـ)، من كتبه: (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية)، بتونس، المتوفى سنة: (٧٤١هـ)، الأعلام للزركلي: (٥/ ٣٢٥).

(٧) فتح البيان: (١٩٦/١٤).

(٨) فتح القدير: للشوكاني دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، ط١-١٤١٤هـ، (٧٢/١)، والشوكاني: هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد سنة: (١١٧٣هـ)، بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ، ومات حاكما بها، سنة: (١٢٥٠هـ)، له ١١٤مصنف، منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار)، ثماني مجلدات، و(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) مجلدان، وغيرها، الأعلام للزركلي: (٦/ ٢٩٨).

(٩) أضواء البيان: للشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ -١٩٩٥م، (٢١٨/٨)، والشنقيطي: هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد سنة: (١٣٢٥هـ)، وتعلم بها، وتوفي بمكة سنة: (١٣٩٣هـ)، له كتب منها: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، و(منع جواز المجاز) وغيرها، الأعلام للزركلي: (٦/ ٤٥).

لذلك بحديث سعيد بن زيد[١] قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (من أخذ شبرا من الأرض ظلما طوقه الله إلى سبع أرضين)[٢]، وعن عائشة رضي الله عنها مثله، إلا أن فيه" من" بدل" إلى"، ومن حديث أبي هريرة: (لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين[٣] [يوم القيامة [٤]]، وروى النسائي[٥] عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به، قال: يا موسى؛ قل: لا إله إلا الله، قال موسى: يا رب كل عبادك يقول هذا، قال: قل: لا إله إلا الله قال: لا إله إلا أنت، إنما أريد شيئا تخصني به، قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله)[٦]،[٧].

---

(١) سعيد بن زيد: هو بن عمرو بن نفيل العدويّ القرشي، أبو الأعور: صحابيّ، من خيارهم، هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا وكان غائبا في مهمة أرسله بها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد العشرة المبشَّرين، مولده بمكة، سنة: (٢٢ق هـ)، ووفاته بالمدينة، سنة: (٥١هـ)، له في كتب الحديث ٤٨ حديثا، الأعلام للزركلي: (٣/ ٩٤).

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب: المساقاة، باب: تحريم الظلم، برقم: (١٦١٠)، كتابة: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للنيسابوري، تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، (١٢٣١/٣).

(٣) اخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم: (١٢٣٠/٣)، برقم: (١٦١٠)

(٤) الزيادة في صحيح مسلم، المرجع نفسه: (١٢٣٠/٣)، (١٦١٠).

(٥) النسائي: هو أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي: صاحب السنن، القاضي الحافظ، شيخ الإسلام. أصله من نسا (بخراسان)ولد سنة: (٢١٥هـ)، توفى ودفن ببيت المقدس، سنة: (٣٠٣هـ)، وقيل: خرج حاجا فمات بمكة له (السنن الكبرى) في الحديث، الأعلام للزركلي (١/ ١٧١).

(٦) أخرجه النسائي في سننه: كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: أفضل اذكر وأفضل الدعاء، برقم: (١٠٦٠٢)، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، كذلك صححه ابن حجر، (٣٠٧/٩).

(٧) الجامع: (٢٥٩/٢٥٨/١).

القول الثاني: وقيل: هي سبع إلا أنه لم يفتق بعضها من بعض، وبه قال الداودي[1]، والضحاك[2]، والماوردي[3].

القول الثالث: وقيل: أي: في غلظهن وما بينهن[4]، ذكره القرطبي، وأبو الطيب[5]، ولم يعثرا على قائله.

الترجيح:

القول الذي اختاره القرطبي ومن معه هو الراجح، كما سبق بيانه من أن الأرضين سبع في العدد كالسموات سبع، وهو قول الجمهور، وهو مقدم على غيره، ولأن سياق الأحاديث الذي ذكرناها تدل على هذا القول، ولم أجد من انتقد هذا القول من المفسرين، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

---

(١) الجامع: (٢٥٩/١).

(٢) المرجع نفسه: (٢٥٩/١)، وفتح البيان في مقاصد القرآن: لابي الطيب، راجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، بَيروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م، (١٧٥/١٨).

(٣) فتح القدير: (٧٢/١)، فتح البيان في مقاصد القرآن: (١٢١/١).

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن: (١٢١/١).

(٥) المرجع نفسه: (١٢١/١)، وأبو الطيب: هو محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لُطْف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيّب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد سنة: (١٢٤٨هـ) وتوفى سنة: (١٣٠٧هـ) له مصنفات كثيره منها، (فتح البيان في مقاصد القرآن) عشرة أجزاء، في التفسير، و(حصول المأمول من علم الأصول)، الأعلام للزركلي: (٦/ ١٦٧).

المسألة الثالثة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي: -رحمه الله-:

القول الذي اختاره القرطبي ورجحه هو أن المراد بقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾، أي: جيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها لخلقي، حيث قال "قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾، أي: جيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها لخلقي، قال ابن عباس[2]: قال الله تعالى للسماء: أطلعي شمسك وقمرك وكواكبك، وأجري رياحك وسحابك، وقال للأرض: شقي أنهارك وأخرجي شجرك وثمارك طائعتين أو كارهتين، ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾، في الكلام حذف أي: أتينا أمرك﴿طَآئِعِينَ﴾، وقيل: معنى هذا الأمر التسخير، أي: كونا فكانتا كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3]، فعلى هذا القول قال ذلك قبل خلقهما، وعلى القول الأول قال ذلك بعد خلقهما، وهو قول الجمهور"[4].

الدراسة:

---

(١) فصلت: (١١).

(٢) الجامع: (١٥/٣٤٣-٣٤٤).

(٣) النحل: (٤٠).

(٤) الجامع: (١٥/٣٤٣-٣٤٤).

في المسألة قولان:

القول الأول: وهو اختيار القرطبي من أن المراد بقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، أي: جيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها لخلقي، وأنه قال ذلك لهما بعد خلقهما، وروي هذا القول عن ابن عباس[1]، ومجاهد[2]، وسليمان بن موسى[3]، وطاؤوس[4]، وذهب إلى ذلك الطبري[5]،

(١) الجامع: (٣٤٣/١٥-٣٤٤)، وجامع البيان: (٤٢٩/٢١)، الهداية الى بلوغ النهاية: لابي بو محمد مكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م، (٦٤٩٢/١٠).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية: (٦٤٩٢/١٠).

(٣) المرجع نفسه: (٦٤٩٢/١٠)، وسليمان: هو بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع: ولد سنة: (٥٦٥هـ)، محدّث الأندلس وبليغها في عصره وصنف كتبا، منها (أخبار البخاري وترجمته)، وكتاب حافل في (معرفة الصحابة والتابعين)، وغيرها، توفى سنة: (٦٣٤هـ)، الأعلام للزركلي: (٣/ ١٣٦).

(٤) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل: لعبد الله الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، (٨٣٥/٦)، وطاووس: هو بن كيسان الخولاني الهمدانيّ، بالولاء، أبو عبد الرحمن: من أكابر التابعين، تفقها في الدين ورواية للحديث، ومولده ومنشأه في اليمن، ولد سنة: (٣٣هـ)، توفي حاجا بالمزدلفة أو بمنى، سنة: (١٠٦هـ)، قال ابن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذر، وطاووس، والثوري، الأعلام للزركلي: (٢٢٤/٣).

(٥) جامع البيان: (٤٣٩/٢١)، ومحاسن التأويل للقاسمي: تحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، - ١٤١٨هـ، (٣٢٨/٨).

والثعلبي[1]، والواحدي[2]، وابن عطيه[3]، والبغوي[4]، واستدلوا لهذا القول بما روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: قال الله تعالى للسماء: أطلعي شمسك وقمرك وكواكبك، وأجري رياحك وسحابك، وقال للأرض: شقي أنهارك وأخرجي شجرك وثمارك طائعتين أو كارهتين ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾

القول الثاني: أنه قال ذلك قبل خلقهما، ويكون معنى هذا الأمر التسخير، أي: كونا فكانتا كما قال تعالى:﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

قاله ابن بحر[5]، وابن أبي زمنين[6]،

---

(١) الكشف والبيان: (٢٨٧/٨).

(٢) الوجيز للواحدي: (٩٥٢/١)، وفتح البيان في مقاصد القرآن: (٣٢/١٢).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبو العباس، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي / القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ، (١٦٤/٥).

(٤) توفيق الرحمن في دروس القرآن: لفيصل النجدي، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٦هـ –١٩٩٦م، (٧٠٤/٣).

(٥) النكت والعيون: للماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان، (١٧٢/٥)، وابن بحر: هو محمد تقي بن السيد رضا بن بحر العلوم الطباطبائي النجفي: من فقهاء الأمامية، من أهل النجف، ولد سنة: (١٢١٩هـ)، له: (القواعد) في أصول الفقه، توفى سنة: (١٢٨٩هـ)، الأعلام للزركلي: (٦/ ٦٣).

(٦) تفسير ابن أبي زمنين: تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة / محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة / مصر/ القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م، (١٤٧/٤)، وابن ابي زمنين: هو محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي، أبو عبد الله، المعروف بابن أبي زمنين: فقيه مالكي، من الوعاظ الأدباء، من أهل البيرة، ولد سنة: (٣٢٤هـ)، سكن قرطبة، ثم عاد إلى البيرة، فتوفي بها سنة: (٣٩٩هـ)، له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ، منها (أصول السنَّة)، و(منتخب الأحكام)، و(تفسير القرآن) وغيرها، الأعلام للزركلي: (٦/ ٢٢٧).

والحسن[1]، وذكره الماوردي[2]، والزجاج[3].

الترجيح:

يتبين ممَا ســـبق في دراســـة القولين أنَّ القول الأول: هو الراجح من أن إتيان الســـماء والأرض، إنما هو بمعنى، جيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصـــالح وأخرجاها لخلقي، وأنه قال ذلك لهما بعد خلقهما، وهو ما اختاره القرطبي، وعليه جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم، وتفسير جمهور السلف مقدم على غيره، مع ثبوت قول ابن عباس لذلك، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

(١) المرجع نفسه: (١٤٧/٤)، والحسن: هو ابن إبراهيم بن علي بن برهون الفارقيّ، أبو علي: فقيه شافعيّ. ولد بميافارقين سنة: (٤٣٣هـ)، وانتقل إلى بغداد، فولي قضاء واسط فتوفي فيها له: (الفوائد على المهذب للشيرازي)، و(الفتاوي)، وكان حسن السيرة في القضاء، توفي سنة: (٥٢٨هـ)، الأعلام للزركلي (٢/ ١٧٨)

(٢) النكت والعيون: (١٧٢/٥).

(٣) فتح البيان: (٢٣٢/١٢).

المطلب الثاني:

اختياراته في آيات اختلاف الليل والنهار.

المسألة الأولى:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1].

المراد بالنهار المذكورة في الآية الكريمة:

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله –:

القول الذي اختاره القرطبي ورجحه هو أن المراد في النهار الجمع نهر وأنهرة، حيث قال" والنهار يجمع نهر وأنهرة، قال أحمد بن يحيى ثعلب[2]: نُهُر جمع نهر، وهو جمع [الجمع][3] للنهار، وقيل النهار اسم مفرد لم يجمع، لأنه بمعنى المصدر،

---

(١) البقرة: (١٦٤).

(٢) ثعلب: هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانيّ بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة، ولد سنة: (٢٠٠هـ)، ومات في بغداد، سنة: (٢٩١هـ)، من كتبه: (الفصيح)، و(قواعد الشعر) رسالة، و(شرح ديوان زهير)، و(مجالس ثعلب) مجلدان، (إعراب القرآن)، وغير ذلك، الأعلام للزركلي (١/ ٢٦٧)،

(٣) زيادة عن اللسان.

كقولك: الضياء، يقع على القليل والكثير، والأول أكثر، قال ابن فارس[١]: النهار معروف، والجمع: نُهُر وأنهار، ويقال: إن النهار يجمع على النهر"[٢].

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: وهو اختيار الإمام القرطبي، على أن النهار يجمع على نهر وأنهرة، وبه قال أحمد بن يحيى ثعلب[٣]، وابن فارس[٤]، وعطاء[٥]، وابن كيسان[٦]، وابن عطية[٧]، والزجاج[٨].

القول لثاني: إن النهار اسم مفرد لم يجمع، لأنه بمعنى المصدر، كقولك الضياء، يقع على القليل والكثير.

ذكر الإمام القرطبي هذا القول في كتابه، ولم يُعثر على قائله[٩].

---

(١) ابن فارس: هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان، مولده سنة: (٣٢٩هـ)، وتوفى سنة: (٣٧٥هـ) من تصانيفه: (مقاييس اللغة)، ستة أجزاء، و(جامع التأويل)، في تفسير القرآن، أربع مجلدات، وغيرها، الأعلام للزركلي (١/ ١٩٣).

(٢) الجامع: (١٩١/٢-١٩٢).

(٣) المرجع نفسه: (١٩٢/٢).

(٤) المرجع نفسه: (١٩١/٢-١٩٢).

(٥) الكشف والبيان: (٣٢/٢)، وعطاء: هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم -وقيل سالم -بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند؛ سنة: (٢٧هـ)، كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، توفي سنة: (١١٤هـ)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦١).

(٦) المرجع نفسه: (٣٢/٢).

(٧) المرجع نفسه: (٣٢/٢).

(٨) الجامع: (١٩٣/٢).

(٩) الجامع: (١٩٢/٢-١٩٣).

الترجيح:

يتبين لنا أن ما ذهب إليه القرطبي ومن معه، في المراد بكلمة النهار، بأن: تجمع نهر وأنهرة، وهذا الذي يتوافق مع قواميس اللغة عند الرجوع اليها، وهو ما نرجحه، والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

القول الذي اختاره القرطبي هو إن أول النهار يكون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، حيث قال: "والنهار: ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، قال النضر بن شميل[2]: أول النهار طلوع الشمس، ولا يعد ما قبل ذلك من النهار، وقال ثعلب: أوله عند العرب طلوع الشمس، استشهد بقول أمية بن أبي الصلت[3]:

والشمس تطلع كل آخر ليلة ... حمراء يصبح لونها يتورد[4].

قال الزجاج في كتاب الأنواء[5]: أول النهار ذرور الشمس[6]، وقسم ابن الأنباري[7] الزمن ثلاثة أقسام: قسماً جعله ليلاً محضاً، وهو من غروب الشمس إلى

---

(١) البقرة: (١٦٤).

(٢) النضر: هو ابن شميل بن خرشه بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة، ولد بمرو سنة: (١٢٢هـ)، (من بلاد خراسان)، وانتقل إلى البصرة مع أبيه (سنة ١٢٨هـ) وأصله منها، وتوفي بمرو، سنة: (٢٠٣هـ)، من كتبه (كتاب السلاح)، و(المعاني)، و(غريب الحديث)، و(الأنواء)، الأعلام للزركلي (٨/ ٣٣)،

(٣) أمية بن أبي الصلت: هو بن أبي ربيعة الصلت الثقفي، شاعر في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، تاريخ دمشق: لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ –١٩٩٥م، (٢٧٨/٩)،

(٤) العقد الفريد: لأبي عمر، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، (١٢٦/٦).

(٥) الأنواء في مواسم العرب، لأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ).

(٦) ذرور الشمس: وهي حينئذ أحسن ما تكون منظرا، المعجم الوسيط: (٧٣٥/٢)،

(٧) ابن الأنباري: هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن، ولد في الأنبار=

طلوع الفجر، وقسماً جعله نهاراً محضاً، وهو من طلوع الشمس إلى غروبها، وقسماً جعله مشتركاً بين النهار والليل، وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، لبقايا ظلمة الليل ومبادئ ضوء النهار قلت: والصحيح أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس"[1].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو اختيار القرطبي أن أول النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وبه قال ابن عطية[2]، والنقاش[3]، والخليل بن أحمد[4]، والطبري[5]،

=سنة (٢٧١هـ) وتوفي ببغداد سنة (٣٢٨هـ)، من كتبه: (الزاهر) في اللغة، (عجائب علوم القرآن)، وغيرها، الأعلام للزركلي: (٦/ ٣٣٤).

(١) الجامع: (١٩٣/٢).

(٢) المحرر الوجيز: لأبن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، (٢٣٣/١)،

(٣) المرجع نفسه: (٢٥٨/١)، والنقاش: هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش: عالم بالقرآن وتفسيره، أصله من الموصل، ومنشأه ببغداد، ولد سنة: (٢٦٦هـ)، وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان فعرف بالنقاش، من تصانيفه: (شفاء الصدور) في التفسير، و(الإشارة) في غريب القرآن، وغيرها، توفي سنة: (٣٥١هـ)، الأعلام للزركلي: (٦/ ٨١).

(٤) المرجع نفسه: (٢٥٨/١)، والخليل بن أحمد: هو ابن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، ولد سنة: (١٠٠هـ) ومات في البصرة، سنة: (١٧٠هـ)، الأعلام للزركلي: (٢/ ٣١٤).

(٥) المرجع نفسه: (٢٥٨/١).

والراغب[١]، وعطاء[٢]، وابن المسيب[٣]، والثعالبي[٤]، وكما رواه ابن فارس في المجمل[٥]، واستدل القرطبي ومن ذهب معه إلى هذا القول، بما ثبت في صحيح مسلم عن عدي بن حاتم[٦] قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[٧]، قال له عدي: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عقالين: عقالاً أبيض وعقالاً أسود، أعرف بهما الليل من النهار، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إن وسادك لعريض، إنما هو سواد الليل، وبياض النهار)[٨]، فهذا

---

(١) الكشف والبيان: (٣٢/٢)، والراغب: هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان)، سكن بغداد، من كتبه: (أخلاق الراغب)، و(جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و(المفردات في غريب القرآن)، توفي سنة: (٥٠٢هـ)، الأعلام للزركلي: (٢/ ٢٥٥)،

(٢) الكشف والبيان: (٣٢/٢). والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي: تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ط١ –١٤١٨هـ، (٣٤٩/١).

(٣) الجواهر الحسان للثعالبي: (٣٤٩/١)، وسعيد: هو ابن المسيّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ولد سنة: (١٣هـ)، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، توفى في المدينة سنة: (٩٤هـ)، الأعلام للزركلي: (٣/ ١٠٢).

(٤) المرجع نفسه: (٣٤٩/١)، والثعالبي: هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد: ولد سنة (٧٨٦هـ)، مفسر، من أعيان الجزائر، من كتبه: (الأنوار) في المعجزات النبويّة، و (روضة الأنوار ونزهة الأخيار) ،مجموع، وغيرها، توفي سنة: (٨٧٥هـ)، الأعلام للزركلي: (٣/ ٣٣١).

(٥) الجامع: (١٩٣/٢).

(٦) المرجع نفسه: (١٩٣/٢)، وعدي بن حاتم: هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أبو وهب وأبو طريف: أمير، صحابي، من الأجواد العقلاء. كان رئيس طي في الجاهلية والإسلام، كان إسلامه سنة ٩ هـ، وهو ابن حاتم الطائي الّذي يضرب بجوده المثل، توفي سنة: (٦٨هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ٢٢٠).

(٧) البقرة: (١٨٧).

(٨) اخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار، كتاب الصيام: باب الوقت الذي يحرم فيه الطعام على الصيام: (٥٣/٢)، برقم: (٣١٦٦) حكم الألباني فيه صحيح، حققه وقدم له: محمد زهري النجار / محمد سيد جاد، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

الحديث يقضي أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهو مقتضى الفقه في الأيمان، وبه ترتبط الأحكام، فمن حلف ألا يكلم فلاناً نهاراً فكلمه قبل طلوع الشمس حنث، وعلى القول الثاني لم يحنث، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– هو الفيصل في ذلك والحكم.

القول الثاني: أول النهار من طلوع الشمس، ولا يعد ما قبل ذلك من النهار، وهذا قول النضر بن شميل[١] وبه قال ثعلب[٢]، وقد استشهدوا بقول أمية بن أبي الصلت:[٣].

والشمس تطلع كل آخر ليلة ... حمراء يصبح لونها يتورد.

القول الثالث: أول النهار: ذُرور الشمس، قاله الزجاج في كتاب الأنواء[٤].

الترجيح:

الذي يظهر بعد عرض الأقوال أنَّ ما ذهب إليه القرطبي ومن وافقه، من أن النهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس، هو الراجح، استناداً إلى القاعدة الترجيحية "إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"[٥]، هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

---

(١) الجامع: (١٩٣/٢).

(٢) المرجع نفسه: (١٩٣/٢).

(٣) المرجع نفسه: (١٩٣/٢).

(٤) المرجع نفسه: (١٩٣/٢).

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي: (٢٠٦/١).

المبحث الثاني:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات نزول المطر لإحياء الأرض وتصريف الرياح والسحاب.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختياراته في آيات نزول المطر لإحياء الأرض.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات تصريف الرياح والسحاب.

المطلب الأول:

اختياراته في آيات نزول المطر لإحياء الأرض.

المسألة الأولى:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

اختار القرطبي أنَّ الماء المنزل من السماء، الذي استودعه الله في الأرض هو ماء الأنهار والعيون وما يستخرج من الآبار، حيث إنه جزم به في بداية المسألة، ثم ذكر قول ابن عباس بصيغة التمريض، واعترض على العموم الذي قال به مجاهد، حيث قال: "والماء المنزل من السماء على قسمين: هذا الذي ذكر الله سبحانه وتعالى وأخبر بأنه استودعه في الأرض، وجعله فيها مختزناً لسقي الناس يجدونه عند الحاجة إليه، وهو ماء الأنهار والعيون وما يستخرج من الآبار، وروي عن ابن عباس وغيره أنه إنما أراد الأنهار الأربعة: سيحان وجيحان ونيل مصر والفرات، وقال مجاهد: ليس في الأرض ماء إلا وهو من السماء، وهذا ليس على إطلاقه، وإلا فالأجاج ثابت في الأرض، فيمكن أن يقيد قوله بالماء العذب، ولا محالة أن الله تعالى قد جعل في الأرض ماء وأنزل من السماء ماء، وقد قيل: إن قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ إشارة إلى الماء العذب، وأن أصله من البحر، رفعه الله تعالى بلطفه وحسن تقديره

---

(١) المؤمنون: (١٨).

من البحر إلى السماء، حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد، ثم أنزله إلى الأرض لينتفع به، ولو كان الأمر إلى ماء البحر لما انتفع به من ملوحته"[١].

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: الذي اختاره القرطبي، إنَّ الماء المنزل من السماء، الذي استودعه الله في الأرض هو ماء الأنهار والعيون وما يستخرج من الآبار، ووافقه، الكلبي[٢]، والسمرقندي[٣]، والزمخشري[٤]، والنسفي[٥]، وأبو حيان[٦]، والنيسابوري[٧]،

---

(١) الجامع: (١١٢/١٢)

(٢) تفسير يحيى بن سلام: تحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، (٣٩٦/١)، والكلبي: هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسابة المفسر، روى عن الشعبي، وجماعة، من كتبه: (ناسخ القرآن ومنسوخه) وغيرها، توفى سنة: (١٤٦هـ)، طبقات المفسرين للداوودي: (١٤٩/٢).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي: (٤٧٧/٢)، والسمرقندي: هو أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، توفى سنة: (٣٧٣هـ) الملقب بإمام الهدى: علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين، له تصانيف نفيسة، منها: (تفسير القرآن)، و(عمدة العقائد)، و(بستان العارفين) وغيرها، الأعلام للزركلي: (٨/ ٢٧).

(٤) الكشاف للزمخشري: (١٧٩/٣).

(٥) مدارك التنزيل: (٤٦٣/٢)، النسفي: هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها سنة: (٧١٠هـ)، نسبته إلى " نسف " ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنفات، منها: (مدارك التنزيل)، في تفسير القرآن، و(كنز الدقائق)، وغيرها، الأعلام للزركلي: (٦٧/٤).

(٦) البحر المحيط: (٥٥٤/٧).

(٧) إيجاز البيان عن معاني القرآن: للنيسابوري، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي / بيروت، ط١، –١٤١٥هـ، (١٨٣/١)، والنيسابوري: هو محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، أبو القاسم، نجم الدين: مفسر لغويّ، قال ياقوت: له تصانيف منها: (إيجاز البيان في معاني القرآن)، و(خلق الإنسان)، وغيرها، المتوفي سنة: (٥٥٠هـ)، الأعلام للزركلي: (٧/ ١٦٧).

وأبو العباس[١]، وابن كثير[٢]، والشـــوكاني[٣]، والألوســـي[٤]، والشـــنقيطي[٥]، والخازن[٦].

القول الثاني: إنَّ الماء المســـتودع في الأرض هو كما روي عن ابن عباس[٧]: أربعة أنهار من الجنة في الدنيا، الفرات، ودجلة، وســـيحان، وجيحان، وهو قول الزجاج[٨]، وذكره الزمخشري[٩]، والرازي[١٠].

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: (٥٦٧/٣)، وأبو العباس: هو أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجينة، الحسني الأنجري: مفسر صوفي مشارك، من أهل المغرب دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان)، ولد سنة: (١١٦٠هـ)، له كتب كثيرة، منها: (أزهار البستان)، و(الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية) وغيرها، توفى سنة: (١٢٢٤هـ)، الأعلام للزركلي: (١/ ٢٤٥).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢٤٣/٣).

(٣) فتح القدير: (٥٦٥/٣)،

(٤) روح المعاني: (١٨/١٨).

(٥) أضواء البيان: (٣٢٧/٥).

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل: ما يعرف بتفسير الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١ –١٤١٥هـ، (٢٦٩/٣)، والخازن: هو علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادي الأصل، ولد ببغداد، سنة: (٦٧٨هـ)، وتوفي بحلب، سنة: (٧٤١هـ)، له تصانيف، منها: (عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام)، الأعلام للزركلي (٥/ ٥).

(٧) الجامع: (١١٢/١٢)، وروح البيان: لإسماعيل أبو الفداء، دار الفكر / بيروت، بدون تاريخ، (٧٤/٦)، والوسيط للواحدي: (٢٨٧/٣).

(٨) معاني القرآن: (١٠/٤)،

(٩) الكشاف للزمخشري: (١٧٩/٣).

(١٠) مفاتيح الغيب: (٢٦٨/٢٣).

القول الثالث: القول بالعموم، إنَّ جميع الماء المستودع في الأرض هو من السماء بما فيها ماء البحر، وهذا القول مروي عن مجاهد، وبه قال أبو حفص[١]، وهو مفهوم من كلام: الطبري[٢]، والثعلبي[٣]، والشوكاني[٤].

القول الرابع: إنَّ الماء المستودع في الأرض هو الماء العذب، وهذ القول لم أجد من المفسرين من قاله أو عتبره قولاً في المسألة إلا ما حكاه القرطبي[٥]، على سبيل التضعيف.

القول الخامس: إنَّ الماء المستودع في الأرض هو ماء المطر، وبه قال: الثعالبي[٦]، وأبو سعود[٧]، والألوسي[٨]، وابن عاشور[٩]، وأبو الطيب[١٠]، واستدلوا بحمل الآية على ظاهرها كما قال الثعالبي: "ظاهر الآية أنه ماء المطر"[١١]، وأنه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب: تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، (١٨٨/١٤)، وأبو حفص: هو أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الأندلسي أبو حفص الكاتب، قال الحميدي مليح الشّعر، بليغ الكتابة، من أهل بيت أدب ورئاسة، له كتب في علم القرآن، منها: (كتاب التحصيل في تفسير القرآن)، و(كتاب التفصيل في تفسيره أيضا)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٦٨).

(٢) جامع البيان للطبري: (٢٠/١٩).

(٣) الكشف والبيان للثعلبي: (٤٣/٧).

(٤) فتح القدير للشوكاني: (٥٦٥/٣).

(٥) الجامع للقرطبي: (١١٢/١٢).

(٦) الجوهر الحسان للثعالبي: (١٤٥/٤).

(٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: المسمى تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي / بيروت، (١٢٧/٦)، وأبو السعود: هو العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)،

(٨) روح البيان: (٢٢٠/٩).

(٩) التحرير والتنوير: (٢٨/١٨).

(١٠) فتحُ البيان في مقاصد القرآن: راجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، / بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ -١٩٩٢م، (١٠٦/٩).

(١١) الجوهر الحسان: (١٤٥/٤).

قول حجة من أهل التفسير، كما قال الألوسي: "هو المطر عند كثير من المفسرين"[1].

الترجيح:

بعد عرض الأقوال ودراستها، يتبين أن الأقوال الواردة في الماء المنزل من السماء الذي استودعه الله في الأرض عديدة، وحقيقة الخلاف في المسألة أن هذه الأقوال منها ما كان اختلافها اختلاف تنوع من قبيل التفسير بالجزاء أو المثال، ومنها ما كان اختلافها اختلاف حقيقي بذكر أقوال مستقلة بذاتها لها أدلتها لكنها مردودة، إما لأنها مفتقرة إلى سند صحيح، وإما لعدم توافقها مع الواقع، وإما لضعف أدلتها، أو لتخصيصها بلا دليل.

كما نجد أن بعض المفسرين ذكر معنى الماء المنزل من السماء، قبل أن يستودعه الله تعالى في الأرض، والبعض الآخر، ذكر معناه بعد أن استودعه الله تعالى في الأرض، وكل المعنيين صحيح، فالقول بأنه ماء الأنهار والعيون والآبار، غير ممتنع؛ لقوة أدلته، أما القول بأنها: الأنهار الأربعة فقط، فدليل تخصيصه بها دون غيرها ضعيف، وأما القول بالعموم، فقد ضعفه بعض العلماء، بأن ماء البحر ثابت في الأرض، وأما القول بأنه: الماء العذب فلا وجه له، وأما القول بأنه: ماء المطر، فهو ظاهر وعليه الأكثرون.

وإذا نظرنا إلى أقوال المفسرين في اختيار الأرجح، وجدنا أن الجمع بين قول من قال: بأنه ماء الأنهار والعيون والآبار، بما فيها الأنهار الأربعة، وقول من قال: إنه ماء المطر هو الغالب، وهو ما ذهب إليه القرطبي ومن وافقه، وهو الأرجح ولا خلاف بين القولين، إذ إن الماء النازل من السماء هو ماء المطر، ثم يتحول إلى

---

(١) روح المعاني: (٩/٢٢٠).

أنهار وعيون وآبار بعد أن يســـتودعه الله تعالى في الأرض، ويؤيد ذلك جملة من القواعد الترجيحية.

١-قاعدة "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك"[١].

٢-قاعدة "لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل"[٢].

٣-قاعدة "تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"[٣].

هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: (٢٨٨/١).

(٢) المرجع نفسه: (١٣٧/١).

(٣) المرجع نفسه: (٣١٢/١).

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي -رحمه الله-:

ذهب القرطبي إلى أن المراد بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يتدبرون هذه الحجج، وقيل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾على إقرارهم بذلك، وقيل: على إنزال الماء وإحياء الأرض"[2].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: اختار الإمام القرطبي أن سبب الحمد على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته، هي ذكر الآيات السابقة.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

(١) العنكبوت: (٦٣).

(٢) الجامع: (١٣/٣٦١-٣٦٢).

ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾[1]، فهذا هو القول الأول، وهو ظاهر كلام البغوي[2]، والزمخشري[3]، والنسفي[4]، والخازن[5]،

القول الثاني: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على إنزال الماء وإحياء الأرض، ذكره الرازي[6]، والنسفي[7]، وأبو الطيب بصيغة [قيل][8].

القول الثالث: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾على إقرارهم بالحجج والبراهين، وفي ذلك حجة عليهم، ذهب الى هذا القول مقاتل[9]، ويحيى بن سلام[10]، والماتريدي[11]،

---

(١) العنكبوت: (٦٠/٦١/٦٢).

(٢) إحياء التراث: (٥٦٧/٣).

(٣) الكشاف للزمخشري: (٤٦٣/٣).

(٤) مدارك التنزيل: (٦٨٥/٢).

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل: (٣٨٥/٣).

(٦) مفاتيح الغيب: (٧٤/٢٥)

(٧) مدارك التنزيل: (٦٨٥/٢).

(٨) فتح البيان: (٢١٥/١٠).

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث / بيروت، ط١، -١٤٢٣هـ، (٣٨٩/٣)، ومقاتل: هو ابن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين، وتوفي بالبصرة سنة: (١٥٠هـ)، من كتبه: (التفسير الكبير)، و (نوادر التفسير) وغيرها، الأعلام للزركلي: (٧/ ٢٨١).

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: (٦٤٠/٢)، وهو: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي: مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين، وروى عنهم، ولد بالكوفة، سنة: (١٢٤هـ)، من كتبه: (تفسير القرآن)، و(اختيارات في الفقه)، وغيرها، توفى سنة: (٢٠٠هـ)، الأعلام للزركلي: (٨/ ١٤٨).

(١١) تأويلات أهل السنة: للماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية / بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، (٢٤٢/٨)، والماتريدي: هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند)، توفى سنة: (٣٣٣هـ)، من كتبه: (التوحيد)، و (تأويلات أهل السنة)، و(تأويلات القرآن) وغيرها، الأعلام للزركلي: (٧/ ١٩).

والســـــمرقندي[١]، وابن أبي زمنين[٢]، والواحدي[٣]، والبغوي[٤]، وابن الجوزي[٥]، وأبو حفص[٦]، الإيجي[٧]، والسعدي[٨].

الترجيح:

وبعد النظر في الأدلة يتبين لنا أنَّ الأقوال جميعها محتملة، فهي من قبيل اختلاف التنوع وذلك لوجوه:

١- عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر[٩].

٢- في القاعدة التفسيرية: "إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها[١٠]"، وإن كان قول من قال: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارهم بالحجج والبراهين وفي ذلك حجة عليهم، أقرب؛ لدلالة السياق وذلك لقاعدة: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التســـليم له"[١١]، فما قبله ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وما بعده ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ ينكرون

---

(١) بحر العلوم: (٦٤٠/٢).

(٢) تفسير ابن ابي زمنين: (٣٥٣/٣).

(٣) الوسيط للواحدي: (٤٢٥/٣).

(٤) إحياء التراث: (٥٦٧/٣).

(٥) زاد المسير: (٤١٣/٣).

(٦) اللباب في علوم الكتاب: (٣٧٥/١٥).

(٧) جامع البيان: (٣١٨/٣).

(٨) تفسير السعدي: (٦٥٠/١).

(٩) مختصر في قواعد التفسير: باب: ضوابط وقواعد عند احتمال اللفظ لمعنيين، لخالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم / دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (٢٩/١)،

(١٠) المرجع نفسه: (٢٩/١).

(١١) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: (١٢٥/١)

التوحيد مع إقرارهم بأنه الخالق لهذه الأشـــياء[1]، ويتفرع عن القاعدة التفســـيرية السـابقة صـورة: أن تكون بعض تلك المعاني المحتملة أرجح من بعض مع إنه لا وجود لمـانع يمنع من حملهـا على الجميع، هذا مـا تبين للبـاحث ترجيحـه، واللـه تعالى أعلم.

(١) معالم التنزيل: (٥/٧٢٨).

المطلب الثاني:

اختياراته في آيات تصريف الرياح والسحاب.

المسألة الأولى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي الى أن المراد بقوله: ﴿الْمُسَخَّرِ﴾أي: المذلل، وتسخيره بعثه من مكان إلى آخر، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ... والمسخر: المذلل، وتسخيره بعثه من مكان إلى آخر، وقيل: تسخيره ثبوته بين السماء والأرض من غير عمد ولا علائق، والأول أظهر، وقد يكون بماء وبعذاب، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة اسقِ حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة[2] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له يا عبد الله لم تسألني عن اسمي، فقال إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسقِ حديقة فلان

---

(١) البقرة: (١٦٤).

(٢) الحرة: أرض ذات أحجار سود، والشرجة: طريق الماء ومسيله.

لاسمك فما تصنع فيها[1]، قال أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه)، (وفي رواية: وأجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل)[2]، وفي التنزيل: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾[3] وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾[4] وهو في التنزيل كثير، وخرج ابن ماجه عن عائشة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان إذا رأى سحاباً مقبلاً من أفق من الآفاق ترك ما هو فيه وإن كان في صلاة حتى يستقبله فيقول: (اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به) فإن أمطر قال: (اللهم سيبا نافعا) مرتين أو ثلاثة، وإن كشفه الله ولم يمطر حمد الله على ذلك[5]، أخرجه مسلم بمعناه عن عائشة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم– قالت: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سر به وذهب عنه ذلك، قالت عائشة: فسألته فقال: (إني خشيت أن يكون عذاباً سلط على أمتي). ويقول إذا رأى المطر: (رحمة)، في رواية فقال: (لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ

(١) الزيادة في صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي / بيروت، (٢٢٨٨/٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة في المساكين برقم: (٢٩٨٤)، (٢٢٨٨/٤).

(٣) فاطر: (٩).

(٤) الأعراف: (٥٧).

(٥) أخرجه بن ماجه في كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب: برقم: (٣٨٨٩)، (١٢٨٠/٢)، وحكم الألباني في هذا الحديث صحيح، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية –فيصل عيسى البابي الحلبي.

مُّمۡطِرُنَا﴾[1])[2]، فهذه الآيات والأحاديث تدل على صحة القول الأول وأن تسخيرها ليس ثبوتها"[3].

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: وهو ما ذهب إليه الإمام القرطبي أن معنى تسخيره أي: بعثه من مكان إلى آخر، وذهب الى هذا القول الطبري[4]، والثعلبي[5]، والبغوي[6]، وابن عطية[7]، والرازي[8]، والنسفي[9]، وابن كثير[10]، والثعالبي[11]، والشوكاني[12]، والصابوني[13].

القول الثاني: تسخيره أي: ثبوته بين السماء والأرض من غير عمد ولا علائق، فإن الثبوت يدل على عدم الانتقال، فإن أريد بالثبوت كونها في الهواء ليست في السماء

---

(١) الأحقاف: (٢٣).

(٢) اخرجه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، برقم: (٨٩٩)، (٦١٦/٢).

(٣) الجامع: (٢٠١/٢٠٠/٢).

(٤) جامع البيان: (١٣/٣).

(٥) الكشف والبيان: (٣٣/٢).

(٦) تفسير البغوي: (١٧٨/١).

(٧) المحرر الوجيز: (٢٣٤/١).

(٨) مفاتح الغيب: (١٧٣/٤).

(٩) مدرار التنزيل: (١٤٧/١).

(١٠) تفسير ابن كثير: (٤٧٥/١).

(١١) الجوهر الحسان: (٣٥١/١).

(١٢) فتح القدير: (١٨٩/١).

(١٣) صفوة التفاسير: للصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ، (٩٨/١). والصابوني: هو محمد بن علي بن محمود، أبو حامد، جمال الدين المحمودي، ابن الصابوني، ولد سنة: (٦٠١هـ)، من حفاظ الحديث، من أهل دمشق، له كتاب: (تكملة إكمال الإكمال)، جعله ذيلا لكتاب ابن نقطة الّذي ذيل به (الإكمال) لابن ما كولا، توفى سنة: (٦٨٠هـ)، الأعلام للزركلي: (٦/ ٢٨٢).

ولا في الأرض فصحيح، لقوله: ﴿بَيْنَ﴾وهي مع ذلك مسخرة محمولة، وذلك أعظم في القدرة، كالطير في الهواء، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾[1] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾[2]. ذكره الماوردي[3]، ووافقه الإيجي[4]، وأبو العباس[5]، والمظهري[6]، والشوكاني[7]، والجرجاني[8]، وبه قال الخازن[9].

---

(١) النحل: (٧٩).

(٢) الملك: (١٩).

(٣) النكت والعيون: (٢١٨/١).

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن: للإيجي، تحقيق: أبو إبراهيم حسانين، دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م، (١١٣/١)، ولإيجي: هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ: مفسر، ولد سنة: (٨٣٢هـ)، من كتبه (جامع البيان في تفسير القرآن)، ورسالة في (بيان المعاد الجسماني والروح)، توفي سنة (٩٠٥هـ)، الأعلام للزركلي: (٦/ ١٩٥).

(٥) البحر المديد: (١٩١/١).

(٦) التفسير المظهري: تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية / الباكستان، الطبعة: ١٤١٢هـ، (١٦١/١)، والمظهري: هو محمد ثناء الله الباني بتي النقشبندي الهندي: فقيه حنفي، مفسر، من أهل الهند، من آثاره (التفسير المظهري)، سبعة أجزاء في مجلد واحد، طبع بالهند، انظر: ال معجم المفسرين: من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت/ لبنان، تحقيق: أبو ياسر الجزائري، ط٣، ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م، (٢/ ٥٠٧).

(٧) فتح القدير: (١٨٩/١).

(٨) درج الدُرر في تفسير الآيات والسور: للجرجاني، تحقيق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، ومحقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر / عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، (٢٧١/١)، والجرجاني: هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان، من كتبه: (أسرار البلاغة)، و(دلائل الإعجاز) وغيرها، توفى سنة: (٤٧١هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ٤٨).

(٩) لباب التأويل في معاني التنزيل: (٩٩/١).

الترجيح:

يتبين ممَا ســـبق في ذكر القولين أنَ الراجح هو القول الأول، من أنَ تســـخير الســـحاب أي: بعثه من مكان الى آخر، وهو اختيار القرطبي ومن معه، ودلل على ذلك ما تقدم من كلامه، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾في الآية الكريمة:

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى أن المراد باللواقح أي ملقحه ولكن لا تلقح إلا وهي في نفسها لاقح، كأن الريح لقحت بخير، حيث قال: "ومعنى (لواقح): حوامل، لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع، قال الأزهري[2]: وجعل الريح لاقحاً لأنها تحمل السحاب، أي: تقله وتصرفه ثم تمريه[3] فتستدره، أي: تنزله، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾[4]، أي: حملت، وناقة لاقح ونوق لواقح إذا حملت الأجنة في بطونها، وقيل: لواقح بمعنى ملقحة، وهو الأصل، ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها لاقح، كأن الرياح لقحت بخير، قيل: ذوات لقح، وكل ذلك صحيح، أي: منها ما يلقح الشجر، كقولهم: عيشة راضية، أي: فيها رضا، وليل نائم، أي: فيه نوم. ومنها ما تأتي بالسحاب"[5].

---

(١) الحجر: (٢٢).

(٢) الجامع: (١٥/١٠).

(٣) مرت الرياح السحاب: إذ أنزلت منه.

(٤) الأعراف: (٥٧).

(٥) الجامع: (١٥/١٠).

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: لواقح بمعنى: ملقحة، وهو الأصـــل، ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها لاقح، كأن الرياح لقحت بخير، فمنها ما يلقح الشجر، ومنها ما تأتي بالسحاب، وهو اختيار القرطبي، وذهب إلى هذا الزجاج[١]، وأبو عبيدة[٢]، والزمخشـــري[٣]، وبه قال الزهري[٤]، والفراء[٥]، وابن قتيبة[٦]، بصيغة قيل.

القول الثاني: معنى (لواقح): حوامل، لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع، وهي ايضـــاً تحمل الذكر من النبات فيتم التلقيح مع الأنثى، وروي هذا القول عن ابن مسعود[٧]، والحسن[٨]، وذكره الماتريدي[٩]، والثعلبي[١٠]، وبه قال الواحدي[١]،

---

(١) معاني القرآن: للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب / بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، (١٧٧/٣).

(٢) النكت والعيون: (١٥٥/٣)، وأحياء التراث: (٥٤/٣).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (٥٧٤/٢).

(٤) فتح البيان: (١٥٩/٧).

(٥) المرجع السابق: (١٥٩/٧).

(٦) المرجع السابق: (١٥٩/٧)، وقتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، أبو محمد: من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد سنة: (٢١٣هـ)، وتوفي ببغداد سنة: (٢٧٦هـ)، من كتبه: (تأويل مختلف الحديث)، و(تفسير غريب القرآن) وغيرها، الأعلام للزركلي: (٤/ ١٣٧).

(٧) الكشف والبيان: (٣٣٦/٥).

(٨) تفسير الطبري: (٤٥/١٤).

(٩) تأويلات اهل السنة: (٤٣٢/٦).

(١٠) الكشف والبيان: (٣٣٦/٥).

الواحدي[١]، والبغوي[٢]، والبيضاوي[٣]، والنسفي[٤]، والإيجي[٥]، والمظهري[٦]، والفراء[٧]، وابن قتيبة[٨]، والقاسمي[٩]، وابن الخطيب[١٠]، ومحيي الدين[١١]، والحجازي[١٢].

---

(١) الوجيز: (٥٩٠/١).

(٢) إحياء التراث: (٥٤/٣).

(٣) أنوار التنزيل: (٢٠٩/٣).

(٤) مدارك التنزيل: (١٧٨/٢).

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن: (٣٠٩/٢).

(٦) تفسير المظهري: (٢٩٦/٥).

(٧) فتح البيان: (١٥٩/٧).

(٨) المرجع السابق: (١٥٩/٧).

(٩) تفسير القاسمي: تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، (٣٣٣/٦)، والقاسمي: هو جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب مولده ووفاته في دمشق، ولد سنة: (١٢٨٣هـ)، كان سلفي العقيدة، له اثنين وسبعين مصنفا، منها: (محاسن التأويل)، و(ديوان خطب)، و(الفتوى في الإسلام)، وغيرها، توفي سنة: (١٣٣٢هـ)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٣٥)

(١٠) أوضح التفاسير: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، رمضان ١٣٨٣هـ / فبراير ١٩٦٤م، (٣١٣/١)، وابن الخطيب: هو محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن الخطيب، ولد في القاهرة سنة: (١٣١٨هـ)، عاش في مصر ولبنان والسعودية، عمل منذ صغره في مطبعة والده (المطبعة المصرية)، التي تخصصت في طباعة القرآن الكريم، مؤلف كتاب: أوضح التفاسير، توفى فيها سنة: (١٤٠٢هـ)، مقدمة كتابه.

(١١) إعراب القرآن وبيانه، تحقيق: ديوان ديك الجن، دار الإرشاد للشئون الجامعية / حمص / سورية، دار اليمامة –دمشق –بيروت، دار ابن كثير –دمشق / بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ، (٢٢٩/٥)، ومحيي الدين: هو بن أحمد مصطفى درويش، ولد في مدينة حمص (سورية) سنة: (١٣٢٦هـ)، عاش في سورية، وتلقى علومه في مدارس حمص، من كتبه: (إعراب القرآن وبيانه)، وتوفى فيها سنة: (١٤٠٣هـ)، مقدمة كتابه.

(١٢) التفسير الواضح: للحجازي، دار الجيل الجديد / بيروت، ط١٠، –١٤١٣هـ، بدون تاريخ، (٢٧٨/٢)، والحجازي: هو محمد محمود، من علماء الأزهر ومدير معهد المنصورة، درس في الأزهر الشريف وتخرج فيه، عين مديرا لمعهد المنصورة، من كتبه: (الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم) وغيره، المرجع مقدمة الكتاب.

قال الأزهري[1]: وجعل الريح لاقحاً لأنها تحمل السحاب، أي: تقله وتصرفه ثم تمريه فتستدره، أي: تنزله، قال الله تعالى:"﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾، أي: حملت.

الترجيح:

يتبين لنا مما سبق في دراسة الأقوال أن القول الثاني هو الراجح، وهو خلاف ما اختاره القرطبي ومن معه، وأن معنى (لواقح) أي: حوامل لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع، وحجتهم قول ابن مسعود: يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمري السحاب فتدرّ كما تدرّ اللقحة ثمّ يمطر، والحقيقة العلمية التي توصل إليها العلم الحديث، من أن الرياح لواقح تنقل اللقاح من ذكور الأشجار إلى إناثها، وقد تعرض لهذه الحقيقة كثير من العلماء وعلى راسهم رئيس جامعة الإيمان الدكتور عبد المجيد الزنداني، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

(١) الجامع: (١٠/١٥).

المبحث الثالث:

خلق الإنسان، وجلده، واختلاف الكائنات.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختياراته في آيات خلق الإنسان وجلده.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات اختلاف الكائنات.

المطلب الأول:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات خلق الإنسان، وجلده.

المسألة الأولى:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾[1].

اخيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى أن معنى: ﴿مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾، أي: التخليق من الخلق، وفيه معنى الكثرة، فما تتابع عليه الأطوار فقد خلق خلقاً بعد خلق، وإذا كان نطفة فهو مخلوق، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾[2]، حيث قال –رحمه الله–: "قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ قال الفراء: (مخلقة): تامة الخلق، (وغير مخلقة): السقط، وقال ابن الأعرابي[3]: (مخلقة): قد بدأ خلقها، (وغير

---

(١) الحج: (٥).

(٢) المؤمنون: (١٤).

(٣) أبن الأعرابي: هو أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم، أبو سعيد ابن الأعرابي: مؤرخ من علماء الحديث، من أهل البصرة، ولد سنة: (٢٤٦هـ)، له: (المعجم)، في أسماء شيوخه، و(طبقات النساك) وغيرها، توفي سنة: (٣٤٠هـ)، الأعلام للزركلي (١/ ٢٠٨).

مخلقة): لم تصور بعد، قال ابن زيد: (المخلقة): التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، و (غير مخلقة): التي لم يخلق فيها شيء، قال ابن العربي: إذا رجعنا إلى أصل الاشتقاق فإن النطفة والعلقة والمضغة مخلقة، لأن الكل خلق الله تعالى، وإن رجعنا إلى التصوير الذي هو منتهى الخلقة كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، فذلك ما قال ابن زيد، قلت: التخليق من الخلق، وفيه معنى الكثرة، فما تتابع عليه الأطوار فقد خلق خلقاً بعد خلق، وإذا كان نطفة فهو مخلوق، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، والله أعلم، وقد قيل: إن قوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، يرجع إلى الولد بعينه لا إلى السقط، أي: منهم من يتم الرب سبحانه مضغته فيخلق له الأعضاء أجمع، ومنهم من يكون خديجاً ناقصاً غير تمام، وقيل: المخلقة: أن تلد المرأة لتمام الوقت، قال ابن عباس: المخلقة: ما كان حيا، وغير المخلقة السقط:"[1].

الدراسة:

في المسألة سبعة أقوال:

القول الأول: وهو الذي اختاره القرطبي، أن معنى﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، أي: التخليق من الخلق، وفيه معنى الكثرة، فما تتابع عليه الأطوار فقد خلق خلقاً بعد خلق، وإذا كان نطفة فهو مخلوق، وبه قال القفال[2].

---

(١) الجامع: (٩/١٢).

(٢) مفاتح الغيب: (٢٠٤/٢٣)، والقفال: هو محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، القفال، أبو بكر، ولد سنة: (٢٩١هـ)، من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب، وعنه انتشر مذهب (الشافعيّ) في بلاده، مولده ووفاته في الشاش (وراء نهر سيحون)، توفى سنة: (٣٦٥هـ)، من كتبه: (أصول الفقه)، و(شرح رسالة الشافعيّ)، الأعلام للزركلي: (٦/ ٢٧٤).

القول الثاني: (مخلقة): تامة الخلق، (وغير مخلقة): السقط، قاله الفراء[١]، وابن قتيبة[٢]، وروي هذا القول عن قتادة[٣]، وابن عباس[٤]، وعكرمة[٥]، واختاره الطبري[٦]، وبه قال السمرقندي[٧]، والعز بن عبد السلام[٨]، والبيضاوي[٩]، وابن رجب[١٠]، والإيجي[١١]، وابن الخطيب[١٢]، والزحيلي[١٣].

---

(١) الجامع: (٩/١٢).

(٢) زاد المسير في علم التفسير: (٢٢٣/٣).

(٣) اللباب في علوم الكتاب: (١٩/١٤).

(٤) المرجع السابق: (١٩/١٤)، وتفسير الوسيط للواحدي: (٢٥٩/٣)، تفسير بن ابي حاتم: تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز / المملكة العربية السعودية، ط٣ –١٤١٩هـ، (٢٤٧٥/٨).

(٥) اللباب في علوم الكتاب: (١٩/١٤)، تفسير ابن ابي حاتم: (٢٤٧٥/٨)، الوسيط: (٢٥٩/٣).

(٦) الهداية الى بلوغ النهاية: (٤٨٤٦/٧).

(٧) بحر العلوم: (٤٤٩/٢).

(٨) تفسير العز بن عبد السلام: تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم / بيروت، ط١، ١٤١٦هـ –١٩٩٦م، (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، (٢٤٤/٢)، والعز بن عبد السلام: هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، ولد سنة: (٥٧٧هـ) وتوفى سنة: (٦٦٠هـ)، نقلا عن الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net.

(٩) انوار التأويل: (٦٥/٤).

(١٠) روائع التفسير: لابن رجب الحنبلي، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة –المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م، (٧٠٩/١)، وابن رجب: هو زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الحافظ، المحدّث، الفقيه، ولد في بغداد سنة: (٧٣٦هـ) وتوفى سنة: (٧٩٥هـ)، نقلا عن الموسوعة العربية العالمية.

(١١) جامع البيان: (٤٣/٣).

(١٢) أوضح التفاسير: (٤٠٠/١).

(١٣) روائع التفسير: لابن رجب الحنبلي، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة –المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م (١٥٨/١٧)، والزحيلي: هو وهبة بن مصطفى الزحيلي، ولد في بلدة دير عطية من نواحي دمشق عام: (١٩٣٢م)، من كتبه: (الوسيط في أصول الفقه الإسلامي)، و(أصول الفقه الإسلامي) وغيرها، الترجمة، من مقدمة كتابه.

القول الثالث: (مخلقة): قد بدأ خلقها، (وغير مخلقة): لم تصور بعد، قاله ابن الأعرابي[١]، ومجاهد[٢]، والحسن[٣]، وأبو العباس[٤].

القول الرابع: المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، و (غير مخلقة) التي لم يخلق فيها شيء، قاله ابن زيد[٥]، وبه قال الماتريدي[٦].

القول الخامس: وقد قيل: إن قوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، يرجع إلى الولد بعينه لا إلى السقط، أي: منهم من يتم الرب سبحانه مضغته فيخلق له الأعضاء أجمع، ومنهم من يكون خديجاً ناقصاً غير تمام، قاله القرطبي، بصيغة قيل، وبه قال الشعبي[٧]، وهي رواية عن قتادة[٨]، والضحاك[٩]، وذكره الخازن[١٠].

---

(١) الجامع: (٩/١٢)، روائع التفسير: (٢٥٩/٣).

(٢) النكت والعيون: (٧/٤).

(٣) زاد المسير في علم التفسير: (٢٢٣/٣).

(٤) البحر المديد في تفسير القران المجيد: (٥١٢/٣).

(٥) الجامع: (٩/١٢)، وابن زيد: هو عبد العزيز بن جمعة بن زيد، توفى سنة: (٦٩٤هـ)، نحوي، له، (شرح الكافية)، الأعلام للزركلي: (٤/ ١٦).

(٦) تأويلات أهل السنة: (٣٩١/٧).

(٧) اللباب في علوم الكتاب: (١٩/١٤) والشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، ابو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد سنة: (١٩هـ)، ونشأ ومات فجأة بالكوفة سنة: (١٠٣هـ)، وهو من رجال الحديث الثقات، وكان فقيها، الأعلام للزركلي: (٣/ ٢٥١).

(٨) المرجع نفسه: (١٩/١٤).

(٩) المرجع نفسه: (١٩/١٤).

(١٠) درج الدرر: (١٢٤٨/٣).

القول السادس: وقيل: المخلقة أن تلد المرأة لتمام الوقت، أيضاً قاله القرطبي، وبه قال الضحاك[١]، والسمعاني[٢]، والبغوي[٣]، والعز بن عبد السلام[٤]، وأبو حفص[٥]، والمظهري[٦]، والخازن[٧]، بصيغة قيل.

القول السابع: المخلقة ما كان حياً، وغير المخلقة السقط، قاله ابن عباس[٨]، وبه قال الطبري[٩]، وابن مسعود[١٠]، ورواية عن عطاء[١١]، وعكرمة[١٢]، والكلبي[١٣]، وابن ابي حاتم[١٤]، والبغوي[١٥].

الترجيح:

من سياق الأقوال يتبين لنا أنَ الراجح هو القول السابع، أنَ المُخلقة ما كان حياً، وغير المُخلقة السقط، وهو خلاف اختيار القرطبي ومن معه، والقائلون بهذا

---

(١) النكت والعيون: (٧/٤).

(٢) تفسير السمعاني: (٤١٩/٣)

(٣) إحياء التراث: (٣٢٤/٣).

(٤) تفسير العز بن عبد السلام: (٣٤٤/٢).

(٥) اللباب في علوم الكتاب: (١٩/١٤)،

(٦) تفسير المظهري: (٢٥٤/٦).

(٧) درج الدرر: (١٢٤٨/٣).

(٨) الجامع: (٩/١٢)، وتفسير ابن ابي حاتم: (٢٤٧٥/٨) والكشف والبيان: (٨/٧).

(٩) جامع البيان: (٥٦٧/١٨).

(١٠) الكشف والبيان: (٨/٧)، وابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، أول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، توفى سنة: (٣٢هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ١٣٧).

(١١) الوسيط للواحدي: (٢٥٩/٣).

(١٢) المرجع نفسه: (٢٥٩/٣).

(١٣) المرجع نفسه: (٢٥٩/٣)،

(١٤) الدر المنثور: السيوطي، دار الفكر / بيروت، بدون تاريخ، (١٠/٦).

(١٥) تفسير المظهري: (٢٥٤/٦).

القول استدلوا بما ورد عن ابن مسعود قال: إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله عز وجل ملكاً فقال: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة مجتها الأرحام دما وإن قال: مخلقة قال: يا رب فما صفة هذه النطفة؟ أذكر أم أنثى؟ ما رزقها؟ ما أجلها؟ أشقي أم سعيد؟ فيقال له: انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة، فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

اختار الإمام القرطبي أنَ المراد بـــ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، في الآية: آدم عليه الصلاة والسلام، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الإنسان هنا آدم عليه الصلاة والسلام، قاله قتادة وغيره، لأنه استل من الطين، ويجيء الضمير في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ عائداً على ابن آدم، وإن كان لم يذكر لشهرة الأمر، فإن المعنى لا يصلح إلا له، نظير ذلك"[2]: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾[3].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنَ المراد بـــ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم عليه الصلاة والسلام، وهو اختيار الإمام القرطبي، وروي هذا القول عن ابن عباس[4]، وقتادة[5]، ومقاتل بن سليمان[6]،

---

(١) المؤمنون: (١٢-١٣).

(٢) الجامع: (١٠٩/١٢).

(٣) ص: (٣٢).

(٤) المرجع نفسه: (١٠٩/١٢).

(٥) المرجع نفسه: (١٠٩/١٢)، وجامع البيان: (٧/١٨).

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: (٥٣/٣).

وابن أبي زمنين[١]، ووافقه النسفي[٢]، وابن كثير[٣]، والبيضاوي[٤]، والسعدي[٥]، والشنقيطي[٦].

القول الثاني: إنَ المراد بـ ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ هو ولد آدم، "لأنه يرجع إلى آدم الذي خلق من سلالة من طين" ذكره الماوردي[٧]، وهو قول: ابن جرير الطبري[٨]، والنحاس[٩]، والثعلبي[١٠]، والواحدي[١١]، والسمعاني[١٢]، والبغوي[١٣]، والفخر الرازي[١٤]، ووافقهم النيسابوري[١٥]، والخازن[١٦].

---

(١) تفسير القرآن: لابن أبي زمنين: (١٩٦/٣).

(٢) مدارك التنزيل: (١٤٨/٤).

(٣) مختصر تفسير ابن كثير: (٥٦٠/٢).

(٤) أنوار التنزيل: (٨٣/٤).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٤٨٠/١)

(٦) أضواء البيان: (٣٢٢/٥).

(٧) النكت والعيون: (١٣٢/٣).

(٨) جامع البيان: (١٤/١٩).

(٩) معاني القرآن: لأبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى / مكة الكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ، (٤٤٦/٤-٤٤٧).

(١٠) الكشف والبيان: (٤٢/٧).

(١١) الوجيز: (٧٤٤/١).

(١٢) تفسير السمعاني: (٤٦٦/٣).

(١٣) إحياء التراث: (٣٦١/٣).

(١٤) مفاتح الغيب: (٢٦٤/٢٣-٢٦٥).

(١٥) غرائب القرآن: للنيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١ -١٤١٦هـ، (١١٢/٥)، والنيسابوري: هو نظام الدين حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المعروف بنظام الأعرج، إمام المفسرين وعصام المتبحرين نظام الملة والدين، من كتبة: (شرح شافية الامام ابن الحاجب)، و(غرائب القرآن)، توفى سنة: (٨٥٠هـ)، معجم المطبوعات العربية والمعربة (٢/ ١٥٢٧).

(١٦) لباب التأويل في معاني التنزيل: (٢٦٩/٣).

القول الثالث: وذهب أبو الليث السمرقندي[١]، والثعالبي[٢]، والماوردي[٣]، وابن عطية الأندلسي[٤]، وابن الجوزي[٥]، والعز بن عبد السلام[٦]، وأبو حيان[٧]، وابن عاشور[٨]، إلى ذكر القولين السابقين من غير ترجيح بينهما.

وقال الثعالبي "وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ اختلف في قوله تعالى: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ فقال قتاده وغيره: أراد آدم عليه السلام، لأنه استل من الطين، وقال ابن عباس وغيره المراد ابن آدم"[٩].

الترجيح:

يتبين لنا ممَا سبق في دراسة الأقوال، أن القول الراجح هو القول الأول وهو الذي اختاره القرطبي، أن المراد بـ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو آدم عليه الصلاة والسلام، لأنه استل من الطين، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

---

(١) بحر العلوم: (٤٧٥/٢).

(٢) الجواهر الحسان: (١٤٤/٤).

(٣) النكت والعيون: (٤٧/٤).

(٤) المحرر الوجيز: (١٣٧/٤).

(٥) زاد المسير: (٢٥٧/٣).

(٦) تفسير العز بن عبد السلام: (٣٧٠/٢).

(٧) البحر المحيط: (٥٥٠/٧)،

(٨) التحرير والتنوير: (٢٥/١٨).

(٩) الجواهر الحسان: (١٤٤/٤).

المسألة الثالثة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

اختار القرطبي حمل معنى الآية: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ على العموم، حيث قال "اختلف الناس في الخلق الآخر، فقال ابن عباس والشعبي وأبو العالية والضحاك وابن زيد: هو نفخ الروح فيه بعد أن كان جماداً، وعن ابن عباس: خروجه إلى الدنيا، وقال قتادة عن فرقة: نبات شعره، وقال الضحاك: خروج الأسنان ونبات الشعر، وقال مجاهد: كمال شبابه، وروي عن ابن عمر، والصحيح أنه عام في هذا وفي غيره من النطق والإدراك وحسن المحاولة وتحصيل المعقولات إلى أن يموت"[2].

الدراسة:

في المسألة ستة اقوال:

القول الأول: اختيار القرطبي، حمل الآية الكريمة على العموم، ووافقه الثعالبي[3]، وابن عطية[4]، وابي حيان[5]، والشوكاني[6]، وهو ظاهر عبارة

---

(١) المؤمنون: (١٤).

(٢) الجامع: (١١٠/١٢).

(٣) الجوهر الحسان: (١٤٤/٤).

(٤) المحرر الوجيز: (١٣٨/٤).

(٥) البحر المحيط: (٥٥١/٧).

(٦) فتح القدير: (٥٦٥/٣).

الزمخشري[١]، والرازي[٢]، ووافقه: النسفي[٣]، وابن كثير[٤]، والبقاعي[٥]، والألوسي[٦]، وابن عاشور[٧]، والشنقيطي[٨].

قال الثعالبي "وهذا التخصيص كله لا وجه له، وإنما هو عام في هذا وغيره: من وجوه النطق، والإدراك، وحسن المحاولة"[٩].

القول الثاني: وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن معنى: ﴿ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ يعني الروح، ينفخ فيه بعد خلقه[١٠]، وهو قول آخر لعبد الله بن عباس[١١]،

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (١٧٨/٣).

(٢) التفسير الكبير: (٢٦٥/٢٣).

(٣) مدارك التنزيل: (٤٦٢/٢).

(٤) تفسير ابن كثير: (٤٦٧/٥).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، (١١٦/١٣)، والبقاعي: هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: ولد سنة: (٨٠٩هـ)، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وتوفي بدمشق، سنة: (٨٨٥هـ)، له كتب كثيره: منها (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران)، و(نظم الدرر) وغيرها، الأعلام للزركلي: (١/ ٥٦).

(٦) روح المعاني: (٢١٧/٦).

(٧) التحرير والتنوير: (٢٤/١٨).

(٨) أضواء البيان: (٣٢٤/٥).

(٩) الجوهر الحسان: (١٤٤/٤).

(١٠) اخرج قول علي بن أبي طالب السيوطي في الدر المنثور: (٩٣/٦)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(١١) الكشف والبيان: (٤٢/٧).

وكذا قال مجاهد[١]، وعكرمة[٢]، والضحاك[٣]، والحسن[٤]، وقتادة[٥]، والسدي[٦]، وابن زيد[٧]، والشعبي[٨]، وأبو العالية[٩]، وإليه ذهب: ابن جرير الطبري [١٠]، وانحاس[١١]، وابن كثير[١٢]، والألوسي[١٣]، والسعدي[١٤]،

قال ابن جرير الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقاً آخر إنساناً، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه، يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنساناً، وخلقاً آخر غير الطين الذي خلق منه"[١٥].

---

(١) المرجع نفسه: (٤٢/٧) وجامع البيان: (١٧/١٩).

(٢) المرجع نفسه: (٤٢/٧). المرجع نفسه: (١٧/١٩).

(٣) المرجع نفسه: (٤٢/٧). ومعاني القرآن للنحاس: (٤٤٨/٤).

(٤) المرجع نفسه: (٤٤٨/٤).

(٥) المرجع نفسه: (٤٤٨/٤).

(٦) تفسير ابن كثير: (٤٦٧/٥).

(٧) جامع البيان: (١٧/١٩)، والكشف والبيان: (٤٢/٧).

(٨) المرجع نفسه: (١٧/١٩)، المرجع نفسه: (٤٢/٧).

(٩) المرجع نفسه: (١٧/١٩)، المرجع نفسه: (٤٢/٧)، وأبو العالية: هو رفيع بن مهران أبو العالية الرّياحيّ، والتحتانيّة البصريّ المقرئ الفقيه، مولى امرأة من بني رياح بطن من تميم، رأى أبا بكر، وقرأ القرآن علي أُبيّ وغيره، طبقات المفسرين للداوودي: (١/ ١٧٨).

(١٠) المرجع نفسه: (١٧/١٩).

(١١) معاني القرآن: (٤٤٧/٤).

(١٢) تفسير ابن كثير: (٤٦٧/٥).

(١٣) روح المعاني: (٢١٧/٩).

(١٤) تيسير للسعدي: (٥٤٨/١).

(١٥) جامع البيان: (١٨/١٩).

القول الثالث: أن المعنى ﴿ خَلۡقًا ءَاخَرَ ﴾ أي: خروجه من الدنيا، وهو مروي ايضاً عن ابن عباس[١].

القول الرابع: أن المعنى: ﴿ خَلۡقًا ءَاخَرَ ﴾هو: نبات الشعر، روي هذا القول عن قتادة[٢]، وهو أحد أقوال الضحاك[٣].

القول الخامس: أن المعنى: ﴿ خَلۡقًا ءَاخَرَ ﴾ نبت الأسنان، روي هذا القول عن الضحاك [٤]، وهو أحد أقوال قتادة [٥]، وابن عباس [٦].

القول السادس: أن المعنى: ﴿ خَلۡقًا ءَاخَرَ ﴾ أي: كمال شبابه، وهذا القول مروي عن مجاهد[٧]، وقاله ابن عمر[٨].

الترجيح:

عند التأمل في الأقوال التي ذكرت، يظهر أن بعض المفسرين وعلى رأسهم ابن عباس وقتادة والضحاك، كان لهم أكثر من قول في معنى الآية، ومعروف أن "تفسير

---

(١) الجامع: (١١٠/١٢).

(٢) الجامع: (١١٠/١٢)، وتفسير الصنعاني: (٤١٤/٢)، وجامع البيان: (١٨/١٩)، والكشف والبيان: (٤٢/٧).

(٣) معاني القرآن: (٤٤٩/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي: (٢٥٧/٣)، وأضواء البيان: (٣٢٤/٥).

(٤) الجامع: (١١٠/١٢)، ومعاني القرآن: (٤٤٩/٤)، المرجع السابق: (٢٥٧/٣)، وأضواء البيان: (٣٢٤/٥).

(٥) الكشف والبيان: (٤٢/٧)،

(٦) فتح القدير: (٥٦٧/٣).

(٧) الجامع: (١١٠/١٢)، وتفسير مجاهد: (٤٨٤/١)، جامع البيان: (١٨/١٩)، بحر العلوم: (٤٧٥/٢)، الكشف والبيان: (٤٢/٧)، إحياء التراث: (٣٦١/٣)، البحر المحيط لابن حيان: (٥٥١/٧)، فتح القدير: (٥٦٧/٣)، أضواء البيان: (٣٢٤/٥).

(٨) الكشف والبيان: (٤٢/٧)، المرجع السابق: (٣٢٤/٥)، زاد المسير لابن الجوزي: (٢٥٧/٣).

الســـلف وفهمهم لنصـــوص الوحي حجةً على من بعدهم"[١]، وبالتالي لا يمكن رد أقوالهم، وإعمال الأقوال الأخرى.

إذا تقرر هذا فإن قول القرطبي ومن وافقه على حمل الآية الكريمة على العموم هو الراجح، للأمور التالية:

١) أن المقرر عند العلماء: "يجب حمل نصوص الوحي على العموم، ما لم يرد نص بالتخصيص"[٢]، ولا دليل هنا على التخصيص.
٢) أن العموم هو اختيار كثير من المفسرين، بالتنصيص على انه القول الراجح، كما صرح بذلك الثعالبي، وابن عطية الأندلسي، وأبو حيان، والشوكاني، وابن كثير[٣]، ومن المعلوم أن "تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"[٤].
٣) أن القول بالعموم هو الأقرب إلى ذهن الســـامع، وأن المعنى الأول الذي يتبادر إلى الذهن من أقوى المرجحات، يؤيد ذلك قاعدة "يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشـــاذ والضـــعيف والمنكر"[٥]، فخلق الأعضـــاء والأجهزة والذكورة والأنوثة والعقل وغيرها تعتبر خلقاً آخر، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي: (٢/٢٧١).
(٢) المرجع نفسه: (٢/٢٨٨).
(٣) جواهر الحسان: (٤/١٤٤)، والمحرر الوجيز: (٤/١٣٧)، والبحر المحيط: (٧/٥٥١)، وفتح القدير: (٣/٥٦٥)، وتفسير ابن كثير: (٥/٤٦٧).
(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٢٨٨).
(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٣٦٩).

المسألة الرابعة:

قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾[1].

المراد بقوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾.

اختيار القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى أن المراد بالظلمات الثلاث: هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وقال ابن جبير[2]: ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل، والقول الأول أصح، وقيل: ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم، وهذا مذهب أبي عبيدة، أي: لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين"[3].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

---

(١) الزمر: (٦).

(٢) ابن جبير: هو سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعيّ، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدا، ولد سنة: (٤٥هـ)، وتوفي سنة: (٩٥هـ)، الأعلام للزركلي (٣/ ٩٣).

(٣) الجامع: (٢٣٦/١٥).

القول الأول: وهو اختيار القرطبي أن المراد بالظلمات الثلاث: هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، قاله ابن عباس[١]، وعكرمة[٢]، ومجاهد[٣]، وقتادة[٤]، والضحاك[٥]، وبه قال: مقاتل بن سليمان[٦]، والطبري[٧]، والزجاج[٨]، والسمرقندي[٩]، وابن ابي زمنين[١٠]، والزجاج[١١]، والواحدي[١٢]، والزمخشري[١٣]، والثعلبي[١٤]، وابن زيد[١٥]، والرازي[١٦]، والبيضاوي[١٧]، والايجي[١٨]، والسيوطي[١٩]، وأبو العباس[٢٠]،

---

(١) المرجع نفسه: (٢٣٦/١٥)، جامع البيان: (٢٥٨/٢١)، تفسير السمعاني: (٤٥٩/٤)، إحياء التراث: (٨٠/٤)،

(٢) المرجع نفسه: (٢٣٦/١٥)، المرجع نفسه: (٢٥٨/٢١)،

(٣) المرجع نفسه: (٢٣٦/١٥)، المرجع نفسه: (٢٥٨/٢١)، المحرر الوجيز: (٥٢٠/٤).

(٤) الجامع: (٢٣٦/١٥)، المحرر الوجيز: (٥٢٠/٤)،

(٥) المصدر نفسه: (٢٣٦/١٥)،

(٦) تفسير مقاتل: (٦٧١/٣).

(٧) جامع البيان: (٢٥٨/٢١).

(٨) معاني القرآن وإعرابه: (٣٤٥/٤).

(٩) بحر العلوم: (١٧٨/٣).

(١٠) تفسير القرآن لابن ابي زمنين: (١٠٤/٤)

(١١) معاني القرآن: (٣٤٥/٤).

(١٢) الوسيط للواحدي: (٥٧١/٣).

(١٣) الكشاف للزمخشري: (١١٣/٤).

(١٤) الكشف والبيان: (٢٢٢/٨).

(١٥) زاد المسير: (٨/٤)،

(١٦) مفاتيح الغيب: (٤٢٤/٢٦).

(١٧) أنوار التنزيل: (٣٧/٥).

(١٨) جامع البيان في تفسير القرآن: (٤٩٣/٣).

(١٩) الدر المنثور: (٢١٢/٧).

(٢٠) البحر المديد: (٥٣/٥).

والقاسمي[١]، وذكره الماتريدي[٢]، والنسفي[٣]، وابن جزي[٤]. والبغوي[٥]، والشوكاني[٦].

القول الثاني: ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل، قاله ابن جبير[٧]، وذكره الماوردي[٨].

القول الثالث: ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم، وهذا مذهب أبي عبيدة[٩]، وذكره السمعاني[١٠]، والزمخشري[١١]، والرازي[١٢]، ابن جزي[١٣]، بصيغة قيل، وبه قال: ابن عطية[١٤]، والبيضاوي[١٥]، والنسفي[١٦]، والمظهري[١٧]، وابن الخطيب[١٨].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي: (٢٨٠/٨).

(٢) تأويلات أهل السنة: (٦٦٠/٨).

(٣) مدارك التنزيل: (١٧٠/٣).

(٤) المرجع نفسه: (١٧٠/٣).

(٥) إحياء التراث: (٨٠/٤).

(٦) فتح القدير: (٥١٧/٤).

(٧) الجامع: (٢٣٦/١٥)، فتح القدير: (٥١٧/٤).

(٨) النكت والعيون: (١١٥/٥).

(٩) الجامع: (٢٣٦/١٥)، فتح القدير: (٥١٧/٤). وزاد المسير: (٨/٤).

(١٠) تفسير السمعاني: (٤٥٩/٤).

(١١) الكشاف للزمخشري: (١١٣/٤).

(١٢) مفاتيح الغيب: (٤٢٤/٢٦).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل: (٢١٧/٢).

(١٤) المحرر الوجيز: (٥٢٠/٤).

(١٥) أنوار التنزيل: (٣٧/٥).

(١٦) مدارك التنزيل: (١٧٠/٣).

(١٧) تفسير المظهري: (١٩٧/٨).

(١٨) أوضح التفاسير لابن الخطيب: (٥٦١/١).

الترجيح:

يتبين ممَا ســـبق في دراســـة الأقوال أنَ القول الأول هو الراجح، وهو اختيار القرطبي ومن معه أن المراد بالظلمات الثلاث: هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وعليه جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم، ويؤيد هذا القول القاعدتان الترجيحية التالية:

١) "تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"[١].

٢) "حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك"[٢]، وقد اكتشف العلم الحديث أن للرحم ثلاث طبقات تحمي الجنين حماية كاملة حتى اكتماله وخروجه، وما كان أحد من الخلق يعلم بهذه الظلمات الثلاث في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، وســـبق القرآن الكريم بالإشـــارة إليها، فهو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله –صلى الله عليه وسلم– وحفظه بعهده في لغة وحيه نفسها (اللغة العربية) حتى يبقى حجة على الناس كافة إلى يوم الدين، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: (٢٨٨/١).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: (٢٥١/١).

جلد الإنسان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي الى أنَّ الجلود كلما نضجت تبدل الجلود جلوداً أخر، حيث قال: "والمعنى في الآية: تبدل الجلود جلوداً أخر، فإن قال من يطعن في القرآن من الزنادقة: كيف جاز أن يعذب جلداً لم يعصه؟ قيل له: ليس الجلد بمعذب ولا معاقب، وإنما الألم واقع على النفوس، لأنها هي التي تحس وتعرف فتبديل الجلود زيادة في عذاب النفوس، يدل عليه قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾[2]، فالمقصود تعذيب الأبدان وإيلام الأرواح، ولو أراد الجلود لقال: ليذقن العذاب، قال مقاتل: تأكله النار كل يوم سبع مرات، وقال الحسن: سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فعادوا كما كانوا، وقال ابن عمر: إذا احترقوا بدلت لهم جلود بيض كالقراطيس، وقيل: عنى بالجلود السرابيل، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ﴾[3]، سميت جلوداً للزومها جلودهم على المجاورة، كما يقال للشيء الخاص بالإنسان: هو جلدة ما بين عينيه، وأنشد ابن عمر رضي الله عنه:

---

(١) النساء: (٥٦).

(٢) الأسراء: (٩٧).

(٣) إبراهيم: (٤٩-٥٠).

يلومونني في سالم وألومهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم[1].

فكلما احترقت السرابيل أعيدت.

وقيل: المعنى أعدنا الجلد الأول جديداً، كما تقول للصائغ: صغ لي من هذا الخاتم خاتماً غيره، فيكسره ويصوغ لك منه خاتماً، فالخاتم المصوغ هو الأول إلا أن الصياغة تغيرت والفضة واحدة، وهذا كالنفس إذا صارت تراباً وصارت لا شيء ثم أحياها الله تعالى"[2].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: عنى بالجلود السرابيل، فكلما احترقت السرابيل أعيدت، ذكره ابن عطية عن فرقة من المفسرين[3]، وبه قال العز بن عبد السلام[4].

القول الثاني: قال ابن عمر[5]: إذا احترقوا بدلت لهم جلود بيض كالقراطيس، وبه قال ابن عباس[6]، والحسن[7].

القول الثالث: وهو اختيار القرطبي أي تبدل الجلود جلوداً أُخر، لأنها هي التي تحس وتعرف، فتبديل الجلود زيادة في عذاب النفوس، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾، وبه قال

---

(١) العقد الفريد: (١٣٧/٦).

(٢) الجامع للقرطبي: (٥/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٣) المحرر الوجيز: (٦٩/٢).

(٤) تفسير العز بن عبد السلام: (٣٢٩/١).

(٥) الجامع: (٢٥٤/٥)، والهداية الى بلوغ النهاية: (١٣٦٣/٢)، وتفسير ابن كثير: (٣٣٧/٢).

(٦) الكشف والبيان: (٣٣١/٣) والوسيط للواحدي: (٦٨/٢). وإحياء التراث: (٦٤٨/١).

(٧) الكشاف للزمخشري: (٥٢٢/١).

مقاتل[١]، والأخفش[٢]، والزجاج[٣]، والسمرقندي[٤]، والماوردي[٥]، والسمعاني[٦]، والبيضاوي[٧]، والشوكاني[٨].

الترجيح:

من خلال دراسة الأقوال والنظر في أدلتها يتبين لنا، أن الراجح هو القول الثالث من أنَّ المراد بتبدل الجلود جلوداً أُخر، وهو اختيار القرطبي ومن معه، لقوة ما استدلوا به كما سبق في كلام القرطبي، وذلك أولى، هذا ما ظهر للباحث، والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٨٠/١).

(٢) معاني القرآن للأخفش: تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، (٢٦٠/١)، والأخفش: هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي، عالم باللغة والأدب، وأخذ العربية عن سيبويه. وصنف كتبا، منها (تفسير معاني القرآن)، و(شرح أبيات المعاني) وغيرها، توفى سنة: (٢١٥هـ)، الأعلام للزركلي (٣/ ١٠١).

(٣) معاني القرآن واعرابه: (٦٥/٢).

(٤) بحر العلوم: (٣١١/١).

(٥) النكت والعيون: (٤٩٧/١).

(٦) تفسير السمعاني: (٤٣٨/١).

(٧) أنوار التنزيل: (٧٩/٢).

(٨) فتح القدير: (٥٥٤/١).

المطلب الثاني:

اختياراته في آيات اختلاف الكائنات.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾[1].

المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾في الآية الكريمة.

اختيار الإمام القرطبي -رحمه الله-:

القول الذي اختاره القرطبي ورجحه هو أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾أي: في كونها مخلوقة دالة على الصانع محتاجة إليه مرزوقة من جهته، كما أن رزقكم على الله، حيث قال "قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾أي: هم جماعات مثلكم في أن الله عز وجل خلقهم، وتكفل بأرزاقهم، وعدل عليهم، فلا ينبغي أن تظلموهم، ولا تجاوزوا فيهم ما أمرتم به، وقيل: هي أمثال لنا في التسبيح والدلالة، والمعنى: وما من دابة ولا طائر إلا وهو يسبح الله تعالى، ويدل على وحدانيته لو تأمل الكفار، وقال أبو هريرة: هي أمثال لنا على معنى أنه يحشر البهائم غداً ويقتص للجماء من القرناء، ثم يقول الله لها: كوني تراباً، وهذا اختيار الزجاج فإنه قال: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾في الخلق والرزق والموت والبعث والاقتصاص، وقد دخل فيه معنى القول الأول أيضاً، وقال سفيان بن عيينة[2]، أي: ما من صنف من الدواب

---

(١) الأنعام: (٣٨).

(٢) سفيان بن عيينة: هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدّث الحرم المكيّ. من الموالي، ولد بالكوفة سنة: (١٠٧هـ)، وسكن مكة وتوفي بها سنة: (١٩٨هـ)، كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، له: (الجامع)، في الحديث، وكتاب في (التفسير)، الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٥).

والطير إلا في الناس شبه منه، فمنهم من يعدو كالأسد، ومنهم من يشره كالخنزير، ومنهم من يعوي كالكلب، ومنهم من يزهو كالطاووس، فهذا معنى المماثلة، واستحسن الخطابي هذا وقال: فإنك تعاشر البهائم والسباع فخذ حذرك، وقال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ قال: أصناف لهن أسماء تعرف بها كما تعرفون، وقيل غير هذا مما لا يصح من أنها مثلنا في المعرفة، وأنها تحشر وتنعم في الجنة، وتعوض من الآلام التي حلت بها في الدنيا وأن أهل الجنة يستأنسون بصورهم، والصحيح ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾في كونها مخلوقة دالة على الصانع محتاجة إليه مرزوقة من جهته، كما أن رزقكم على الله، وقول سفيان أيضاً حسن، فإنه تشبيه واقع في الوجود"[1].

الدراسة:

في المسألة ثمانية أقوال:

القول الأول: وهو اختيار القرطبي أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ أي: في كونها مخلوقة دالة على الصانع محتاجة إليه مرزوقة من جهته، كما أن رزقكم على الله، وبه قال قتيبة[2]، والبيضاوي[3]، والقاسمي[4].

(١) الجامع: (٦/٤١٩-٤٢٠).

(٢) زاد المسير: (٢/٢٦).

(٣) أنوار التنزيل: (٢/١٦١).

(٤) محاسن التأويل: (٤/٤١).

القول الثاني: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾أي: هم جماعات مثلكم في أن الله عز وجل خلقهم، وتكفل بأرزاقهم، وعدل عليهم، وبه قال الثعلبي[١] بصيغة قيل، والماوردي[٢]، والشوكاني[٣]، وذكره ابن الجوزي[٤].

القول الثالث: وقيل: هي أمثال لنا في التسبيح والدلالة، ونقل الواحدي[٥]، عن ابن عباس[٦]، أن المراد بالمماثلة أنها تعرف الله وتوحده وتسبحه وتحمده كما يفعل المؤمنون منا.

القول الرابع: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ أي: في الحشر هي أمثال لنا على معنى أنه يحشر البهائم غداً ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول الله لها: كوني ترابا، وهو قول أبي هريرة[٧]، واختاره الزجاج[٨]، وذكره عبد الرزاق[٩]، والطبري[١٠]، والماتريدي[١١]، والنيسابوري بصيغة قيل[١٢]، ورجحه أبو العباس[١٣].

---

(١) الكشف والبيان: (١٤٦/٤).

(٢) النكت والعيون: (١١١/٢).

(٣) فتح القدير: (١٣٠/٢).

(٤) زاد المسير: (٢٦/٢).

(٥) تفسير المنار: لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م، (٣٢٨/٧).

(٦) المرجع نفسه: (٣٢٨/٧).

(٧) الجامع: (٤٢٠/٦) وتفسير عبد الرزاق: (٤٦/٢)، وجامع البيان: (٣٤٧/١١)، وتأويلات اهل السنة: (٧٩/٤).

(٨) المرجع نفسه: (٤٢٠/٦).

(٩) تفسير عبد الرزاق: (٤٦/٢).

(١٠) جامع البيان: (٣٤٧/١١).

(١١) تأويلات أهل السنة: (٧٩/٤).

(١٢) غرائب القرآن للنيسابوري: (٧٥/٣).

(١٣) البحر المديد لأبو عباس: (١١٥/٢).

القول الخامس: وقال الزجاج[١]: ﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ﴾ أي: في الخلق والرزق والموت والبعث والاقتصاص، وقد دخل فيه معنى القول الثاني أيضاً، وبه قال السدي[٢]، والسمرقندي[٣]، والبغوي بصيغة قيل[٤]، والزمخشري[٥]، والنسفي[٦]، والقاضي[٧]، والثعالبي[٨]، والمظهري[٩].

القول السادس: أي ما من صنف من الدواب والطير إلا في الناس شبه منه، وهذه هي معنى المماثلة، وهذا هو قول سفيان بن عيينة[١٠]، واستحسنه الخطابي[١١]، وبه قال السمعاني[١٢].

---

(١) الجامع: (٤٢٠/٦)، ومعاني القرآن واعرابه: (٢٤٥/٢)، والوسيط للواحدي: (٢٦٧/٢)، زاد المسير: (٢٦/٢) والتفسير المنير للزحيلي: (١٩٥/٧).

(٢) جامع البيان: (٣٤٥/١١)، وتفسير ابن أبي حاتم: (١٢٨٦/٤)، تفسير ابن كثير: (٢٥٣/٣)، والسدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، قال فيه ابن تغري بردي: صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، توفى سنة: (١٢٨هـ)، الأعلام للزركلي: (١/ ٣١٧).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي: (٤٤٦/١).

(٤) إحياء التراث: (١٢٢/٢).

(٥) الكشاف عن حقائق للزمخشري: (٢١/٢).

(٦) مدارك التنزيل: (٥٠٢/١).

(٧) اللباب في علوم الكتاب: (١٢٤/٨) والقاضي: هو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي النسوي، أبو عمرو: قاض، فقيه. له كتب في (الفقه)، و(التفسير)، وله شعر ومعرفة بالأدب، ولد في نسا (بخراسان) سنة: (٣٧٨هـ) ورحل إلى العراق ومصر والشام ومكة، توفى سنة: (٤٧٨هـ)، الأعلام للزركلي (٦/ ١٩١).

(٨) الجواهر الحسان: (٤٦٢/٢).

(٩) تفسير المظهري: (٢٣٤/٣).

(١٠) الجامع: (٤٢٠/٤)، غرائب القرآن للنيسابوري: (٨٢/٣)، فتح القدير: (١٣٠/٢)، وفتح البيان: (١٣٥/٤).

(١١) المرجع نفسه: (٤٢٠/٤).

(١٢) تفسير السمعاني: (١٠١/٢).

القول السابع: وقال مجاهد[١] في قوله عز وجل: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ أي: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها، وبه قال مقاتل بن سليمان[٢]، والما تريدي[٣]، وابن جرير[٤]، وذكره ابن أبي حاتم[٥]، وابن أبي زمنين[٦]، والواحدي[٧]، والبغوي[٨]، والسيوطي[٩]، والخازن[١٠].

القول الثامن: وقيل غير هذا مما لا يصـــح من أنها مثلنا في المعرفة، وأنها تحشـر وتنعم في الجنة، وتعوض من الآلام التي حلت بها في الدنيا وأن أهل الجنة يستأنسون بصورهم.

الترجيح:

يتبين مما ســـبق أن الراجح هو ما ذهب اليه الزجاج ومن معه من أن المراد بقوله: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ أي في الخلق والرزق والموت والبعث والاقتصـاص، فهذا القول أخذ بعموم الاقوال، كما أنه ليس هناك دليل قطعيً يقول بالعموم، "فيجب حمل نصـــوص الوحي على العموم مالم يرد نصٌ بالتخصـــيص"[١١] والقاعدة الترجيحية

---

(١) الجامع: (٤٢٠/٦)، وجامع البيان: (٣٤٥/١١)، وتفسير ابن أبي حاتم: (١٢٨٥/٤)، الوسيط للواحدي: (٢٦٧/٢)، إحياء التراث: (١٢٢/٢)، اللباب في علوم الكتاب: (١٢٤/٨).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: (٥٦٠/١).

(٣) تأويلات أهل السنة: (٧٩/٤).

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية: (٢٠١٣/٣).

(٥) تفسير ابن ابي حاتم: (١٢٨٥/٤).

(٦) تفسير القرآن العزيز: (٦٧/٢).

(٧) الوجيز: للواحدي (٣٥٢/١).

(٨) إحياء التراث: (١٢٢/٢).

(٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٢٦٧/٣).

(١٠) لباب التأويل في معاني التنزيل: (١١٠/٢).

(١١) قواعد الترجيح عند المفسرين: للحربي، (٥٢٧/٢).

الثانية تقول: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[1]، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين: للحربي، (٢/٥٤٥).

الفصل الرابع:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات التحريم، والفلك، والتأمل.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اختيارات الإمام القرطبي في آيات تحريم الميتة، والدم ولحم الخنزير.

المبحث الثاني: اختيارات الإمام القرطبي في آيات ضرب الأمثال للناس، ونزول النعم، وحمل نوح وذريته في الفلك.

المبحث الثاني: اختيارات الإمام القرطبي في آيات ضرب الأمثال للناس، ونزول النعم، وحمل نوح وذريته في الفلك.

المبحث الأول:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات تحريم الميتة، والدم ولحم الخنزير.

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: **اختياراته في آيات تحريم الميتة، والدم.**

المطلب الثاني: اختياراته في آيات تحريم لحم الخنزير.

المطلب الثالث: اختياراته في آيات تحريم المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع.

تمهيد:

قد يتبادر إلى الذهن أن آيات تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ليست آيات كونية، ولكن بعد إطلاع الباحث حول من كتب عن هذه الآيات توصل إلى أنها آيات كونية، وقد أثبتها مجموعة من العلماء ومنهم، د. زغلول النجار، حيث قال: "من الإشارات الكونية في سورة النحل: تحريم أكل كل من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، والبحوث العلمية أثبتت أخطار كل ذلك على صحة الإنسان"(١).

من الدلالات العلمية للآية الكريمة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

أولاً: في تحريم أكل الميتة.

إن موت الحيوان قبل تذكيته قد يكون بسبب مرض من الأمراض العضوية أو الفيروسية التي ألمت به، أو بسبب شيخوخة أصابته، وهذا سبب كافٍ لتحريم أكل لحمه، فإذا أضفنا إلى ذلك ما يؤدي إليه الموت دون تذكية (أي دون إراقة دمه) إلى احتباس كل دمه في جسده اتضحت لنا حكمة تحريم أكل لحم الميتة، وذلك لأن الدم هو حامل فضلات الجسم المختلفة من مثل ثاني أكسيد الكربون، واليوريا، وحمض البوريك، وجراثيم الجسم وطفيلياته، ونواتج عمليات تمثيل الطعام في جسم الحيوان (عمليات الأيض) والتي تنقل عبر الأوردة وتفرعاتها المختلفة، أو عبر الشريين

---

(١) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم: للنجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م، (١٣٧/١).

(٢) النحل: (١١٥).

وتفرعاتها العديدة في جسم الحيوان، وأغلبها مواد قابلة للتعفن والتحلل إذا حبست في الجسد الميت للحيوان، خاصة إذا كان قد انقضى على موته وقت يسمح ببدء تحلل جسده وفساد لحمه، ومن هنا تتضح الحكمة الإلهية من تحريم أكل لحوم الميتة"[١].

ثانياً: تحريم أكل الدم المسفوح كطعام.

"الدم هو هذا السائل الأحمر القاني الذي يتكلون من أخلاط عديدة منها الخلايا الحمراء الممتلئة بمادة الهيموجلوبين التي تقوم بنقل الأكسجين إلى مختلف خلايا الجسم، والخلايا البيضاء التي تدافع عن الجسم ضد غزو حاملات الأمراض من الجراثيم والطفيليات، والصفائح التي تتحطم حول نزيف الدم من أجل تجلطه..."[٢].

وانطلاقاً مما سبق نرى أن الدم المسفوح بمكوناته الأساسية، وبما يحمله من نواتج عملية التمثيل الغذائي، ومن عوادم وفضلات متجمعة فيه إذا حبس بداخل جسم الحيوان الميت (أي الذي لم يذك) فإنه سرعان ما يبدأ في التجلط على ما فيه من سموم كانت في طريقها إلى الأجهزة المختلفة التي تخلص الجسم منها، ثم في التحلل والتعفن مما ينتج كماً من السموم المعقدة، والمركبات الكيميائية الأخرى الضارة بصحة الإنسان، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الدم عادة ما يحمل كماً آخر من الفيروسات والجراثيم والطفيليات، وما تفرزه من سموم ونفايات علمنا أن الدم هو حامل فضلات الجسم وجراثيمه وطفيلياته، ومن هنا كانت الحكمة الإلهية في تحريم أكل الدم المسفوح كغذاء"[٣].

ثالثاً: تحريم أكل لحم الخنزير وشحمه.

---

(١) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم: للنجار، (٥٣٧/١).

(٢) المرجع نفسه: (٥٣٨/١).

(٣) المرجع نفسه: (٥٣٨/١-٥٣٩).

"الخنزير وصـــفه القرآن الكريم في أكثر من مقام بأنه رجس، (البقرة/ ١٧٣، المائدة/ ٣، والأنعام/ ١٤٥، والنحل/ ١١٥) وهذه كلمة جامعة لكل معاني القذارة والقبح، والنجاســة، والإثم؛ وذلك لأن الخنزير حيوان كســول، وجشــع، وقذر، ورمام، يأكل النبات والحيوان والجيف، والقمامة، كما يأكل فضــلاته هو وفضــلات غيره من الحيوانات، وهذا من أســـباب قيامه بدور كبير في نقل العديد من الأمراض الخطيرة للإنسان.

ونظراً لطبيعته الرمامة، وقذارته الواضحة، وأكله كلاً من النباتات واللحوم والجيف والنفايات وغير ذلك من المستقذرات فإن الخنزير معرض للإصابة بالعديد من الأمراض... وهذه الأمراض لا يمكن القضاء عليها بمجرد طهو لحمه أو إدخاله في النار، ومن هنا كانت الحكمة الإلهية في تحريم أكل لحم الخنزير"[١].

(١) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم: (١/٥٣٩-٥٤٢).

المطلب الأول:

اختياراته في آيات تحريم الميتة، والدم.

المسألة الأولى:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى أن المراد بالميت هو الموت الحقيقي، حيث قال" فلا أبلغ في الهجاء من أنه أراد الميت حقيقة، وقد ذهب بعض الناس إلى أنه أراد من شارف الموت، والأول أشهر، الثالثة – الميتة: ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح، وما ليس بمأكول فذكاته كموته، كالسباع وغيرها"[2].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه أراد الميت حقيقة، وهو اختيار القرطبي، وبه قال ابن عطية[3]، وحكاه أبو معاذ عن النحويين [4].

---

(١) البقرة: (١٧٣).

(٢) الجامع: (٢١٧/٢).

(٣) المحرر الوجيز: (٢٣٩/١).

(٤) الكشف والبيان: (٤٤/٢)، وأبو معاذ: هو الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي، من أهل مرو، روي عنه ابن المبارك وعبيد بن سليمان، مات سنة: (٢١١هـ)، سير اعلام النبلاء: (٢١٥/٦)، والثقات لابن حبان: تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن– الهند، ط١، ١٣٩٣هـ –١٩٧٣م، (٥/٩).

القول الثاني: أنه أراد من شارف الموت، ذكره القرطبي[١] وابن عطية[٢].

القول الثالث: أن الميت هو ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح، قاله القرطبي[٣]، والثعلبي[٤]، والماوردي[٥]، والواحدي[٦]، والسمعاني[٧]، والبغوي[٨]، والجوزي[٩]، والبيضاوي[١٠]، والنسفي[١١]، وابن عرفة[١٢]، والايجي[١٣]، والشوكاني[١٤]، وأبو الطيب[١٥]، السعدي[١٦]، والعثيمين[١٧].

الترجيح:

يتبين مما سبق أن الراجح هو خلاف ما اختاره القرطبي وأن المراد بقوله: ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ أي: هي ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح، فلفظ الميتة عموم

---

(١) الجامع: (٢/٢١٧).
(٢) المحرر الوجيز: (١/٢٣٩).
(٣) الجامع: (٢/٢١٧).
(٤) الكشف والبيان: (٢/٤٤).
(٥) النكت والعيون: (١/٢٢٢).
(٦) الوسيط للواحدي: (١/١٥٧).
(٧) تفسير السمعاني: (١/١٦٩).
(٨) إحياء التراث: (١/٢٠٠).
(٩) زاد المسير: (١/١٣٣).
(١٠) أنوار التنزيل: (١/١١٩).
(١١) مدارك التنزيل: (١/١٥١).
(١٢) تفسير ابن عرفة: تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط١، ١٩٨٦م، (٢/٥٠٦)، وابن عرفه: هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، ولد سنة: (٧١٦هـ)، وتوفى سنة: (٨٠٣هـ)، من كتبه: (المختصر الكبير)، في فقه المالكية، و(المختصر الشامل)، في التوحيد، وغيرها، الأعلام للزركلي: (٧/ ٤٣).
(١٣) جامع البيان: (١/١١٨).
(١٤) فتح القدير: (١/١٩٥).
(١٥) فتح البيان: (١/٣٤١).
(١٦) التيسير لسعدي: (١/٨١).
(١٧) تفسير ابن عثيمين الفاتحة والبقرة: (٢/٢٥٠).

والمعنى مخصص؛ لأن الحوت والجراد لم يدخل قط في هذا العموم، والدليل "قوله – عليه الصلاة والسلام–: (أحلت لكم ميتتان ودمان، فأما الميتتان، فالحوت والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال)[1]، وكذلك حديث جابر في العنبر[2] يخصص عموم القرآن بصحة سنده، خرجه البخاري ومسلم[3]، وأكثر أهل العلم على جواز أكل جميع دواب البحر حيها وميتها، وهو مذهب مالك، وتوقف أن يجيب في خنزير الماء وقال: أنتم تقولون خنزيراً! قال ابن القاسم[4]: وأنا أتقيه ولا أراه حراماً، وقد اختلف الناس في تخصيص كتاب الله تعالى بالسنة، ومع اختلافهم في ذلك اتفقوا على أنه لا يجوز تخصيصه بحديث ضعيف، قاله ابن العربي، وقد يستدل على تخصيص هذه الآية أيضاً بما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: (غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات كنا نأكل الجراد معه)[5]، وظاهره أكله كيف ما مات بعلاج أو حتف أنفه"[6]، هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، برقم: (٣٣١٤)، قال الألباني: صحيح، (١١٠٢/٢)

(٢) العنبر: هي سمكة كبيرة بحرية تتخذ من جلدها ألاتراس، ويقال للترس: عنبر، وسمي هذا الحوت بالعنبر لوجوده في جوفه، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: للقسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ، باب غزوة سيف البحر، وهم يتلقون عير قريش، (٤٢٧/٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب قوله تعالى: (أحل لكم صيد البحر)، برقم: (٥٤٩٣)، (٩٠/٧)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة ميتات البحر: برقم: (١٩٣٥)، (١٥٣٦/٣).

(٤) ابن القاسم: هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقيّ المصري، أبو عبد الله، ويعرف بابن القاسم: فقيه، جمع بين الزهد والعلم. وتفقه بالإمام مالك ونظرائه ولد سنة: (١٣٢هـ)، ووفاته بمصر سنة: (١٩١هـ)، له (المدونة) ستة عشر جزءا، وهي من أجلّ كتب المالكية، رواها عن الإمام مالك، الأعلام للزركلي (٣/ ٣٢٣).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب اباحة الجراد، برقم: (١٩٥٢)، (١٥٤٦/٣)، والبخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب أكل الجراد، برقم: (٥٤٩٥)، (٩٠/٧).

(٦) الجامع: (٢١٧/٢).

المسألة الثانية:

هل يقيد تحريم (الدم) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **بأن يكون مسفوحا**[1] **؟:**

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى تقييد تحريم الدم بالدم المسفوح، ونقل الإجماع على ذلك، حيث قال "قوله تعالى: ﴿وَالدَّمَ﴾اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به، قال ابن خويز منداد:[2] وأما الدم فمحرم ما لم تعم به البلوى، ومعفوٌ عما تعم به البلوى، والذي تعم به البلوى هو الدم في اللحم وعروقه، ويسيره في البدن والثوب يصلى فيه، وإنما قلنا ذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾[3] وقال في موضع آخر: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾[4]، فحرم المسفوح من الدم، وقد روت عائشة –رضي الله عنها– قالت: (كنا نطبخ البرمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلوها الصفرة من الدم فنأكل ولا ننكره)[5]؛لأن التحفظ من هذا إصرٌ وفيه مشقة، والإصر والمشقة في الدين موضوع، وهذا أصل في الشرع، أنَّ كلما حرجت الأمة في أداء

---

(١) الدم المسفوح: هو الدم الجاري من الحيوان يذبح أو جرح، بحر العلوم: (٤٩١/١) والنكت والعيون: (١٨١/٢).

(٢) ابن خويز: هو ابن خويز منداد: محمد بن أحمد بن عبد الله، الإمام العلامة شيخ المالكية أبو بكر البغدادي، له مصنفات في الفقه والأصول، توفي سنة: (٣٩٠)، ديوان الإسلام: لشمس الدين أبو المعالي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط١، ١٤١١هـ –١٩٩٠م، (٢٤٣/٢).

(٣) المائدة: (٣).

(٤) الأنعام: (١٤٥).

(٥) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: لصهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ١٥ –٨ – ٢٠١٤م، الكتاب غير مطبوع، (٣٩٩/٢٢).

العبادة فيه، وثقل عليها، سقطت العبادة عنها فيه، ألا ترى أن المضطر يأكل الميتة، وأن المريض يفطر ويتيمم في نحو ذلك، قلت: ذكر الله سبحانه وتعالى الدم هاهنا مطلقاً، وقيده في الأنعام بقوله: ﴿مَّسۡفُوحًا﴾وحمل العلماء هاهنا المطلق على المقيد إجماعاً، فالدم هنا يراد به المسفوح؛ لأن ما خالط اللحم فغير محرم بالإجماع، وكذلك الكبد والطحال مجمع عليه"[1].

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: ما حكاه الماوردي أن الدم غير المسفوح أنه إن كان ذا عروق يجمد عليها كالكبد والطحال فهو حلال، لقول -عليه الصلاة والسلام-: (أحلت لنا ميتتان ودمان) الحديث[2]، وإن كان غير ذي عروق يجمد عليها، وإنما هو مع اللحم ففي تحريمه قولان: أحدهما أنه حرام؛ لأنه من جملة المسفوح أو بعضه، وإنما ذكر المسفوح لاستثناء الكبد والطحال منه، والثاني أنه لا يحرم؛ لتخصيص التحريم بالمسفوح[3]، وبه قال ابن خويز[4]، أما "الشافعي -رحمه الله- فحرم جميع الدماء سواءً كان مسفوحاً، أو غير مسفوح وقال أبو حنيفة: دم السمك ليس بمحرم، أما الشافعي فإنه تمسك بظاهر هذه الآية، وهو قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ﴾، وهذا دم فوجب أن يحرم، وأبو حنيفة تمسك بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾، فصرح بأنه لم يجد شيئاً من المحرمات إلا هذه الأمور، فالدم الذي لا

---

(١) الجامع: (٢٢٢/٢).

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، برقم: (٣٣١٤)، قال الألباني: صحيح، (١١٠٢/٢)،

(٣) الجامع: (١٢٤/٧)، النكت والعيون: (١٠/٢).

(٤) المرجع نفسه: (١٢٤/٧).

يكون مسفوحاً وجب أن لا يكون محرماً بمقتضى هذه الآية إذاً هذه الآية خاصة وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾، عام والخاص مقدم على العام، أجاب الشافعي -رحمه الله- بأن قوله: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ليس فيه دلالة على تحليل غير هذه الأشياء المذكورة في هذه الآية، بل أنه تعالى ما بين له إلا تحريم هذه الأشياء، وهذا لا ينافي أن يبين له بعد ذلك تحريم ما عداها، فلعل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾نزلت بعد ذلك، فكان ذلك بياناً لتحريم الدم سواءً كان مسفوحاً أو غير مسفوح، إذا ثبت هذا وجب الحكم بحرمة جميع الدماء ونجاستها فتجب إزالة الدم عن اللحم"[1].

القول الثاني: ما اختاره القرطبي من تقييد تحريم الدم بأن يكون مسفوحاً، هو الصحيح، وهو قول عامة المفسرين[2]، وقد حكى الإجماع على ذلك: الطبري[3]، والواحدي[4]، وابن عطية[5]، وأبو حيان[6]، والشوكاني[7]، والسمرقندي[8]، و ابن أبي زمنين[9]، وغيرهم.

قال الطبري: "وأما (الدم)، فإنه الدم المسفوح، دون ما كان منه غير مسفوح؛ لأن الله جل ثناؤه قال: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ

---

(١) مفاتح الغيب للرازي: (١٩٩/٥).
(٢) الجامع: (٢٢٢/٢).
(٣) جامع البيان: (٤٩٢/٩).
(٤) الوسيط للواحدي: (٢٥٧/١).
(٥) المحرر الوجيز: (٣٥٥/٢).
(٦) البحر المحيط: (٦٧٣/٤).
(٧) فتح القدير: (١٩٥/١).
(٨) بحر العلوم: (١١٤/١).
(٩) تفسير القرآن لأبي أبي زمنين: (١٠٤/٢).

مَيْتَةً أَوْدَمًا مَّسْفُوحًا أَوْلَحْمَ خِنزِيرٍ﴾[1]، فأما ما كان قد صار في معنى اللحم، كالكبد والطحال، وما كان في اللحم غير منسفح، فإن ذلك غير حرام؛ لإجماع الجميع على ذلك"[2].

الترجيح:

يتبين لنا مما سبق في دراسة القولين أنَّ الراجح هو ما اختاره القرطبي ومن معه، من أن الدم المحرم لا يكون إلا مسفوحاً وعليه عامة المفسرين، وقد أطلق كلمة الدم في (البقرة) و (النحل) وقيدها بالمسفوح في (الأنعام) فيحمل المطلق على المقيد.

قال أبو بكر الجصاص[3]: "قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ وقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾فلو لم يرد في تحريمه غير هاتين الآيتين لاقتضى ذلك تحريم سائر الدماء قليلها وكثيرها فلما قال في آية أخرى ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْدَمًا مَّسْفُوحًا﴾دل ذلك على أن المحرم من الدم هو المسفوح دون غيره، فإن قال قائل قوله: ﴿أَوْدَمًا مَّسْفُوحًا﴾ خاص فيما كان منه على هذه الصفة، وقوله في الآيتين الأخريتين عام في سائر الدماء فوجب إجراؤه على عمومه، إذ ليس في الآية ما يخصه، قيل قوله﴿أَوْدَمًا مَّسْفُوحًا﴾ جاء فيه نفي لتحريم سائر الدماء إلا ما كان منه بهذا الوصف؛ لأنه قا ل: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْدَمًا

---

(١) الأنعام: (١٤٥).

(٢) جامع البيان للطبري: (٤٩٣/٩)

(٣) أبو بكر الجصاص: هو أحمد بن علي الرَّازي، أبو بكر الجصاص: فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع، وألف كتاب (أحكام القرآن) وكتابا في (أصول الفقه)، الأعلام للزركلي (١/ ١٧١).

مَّسۡفُوحًا﴾، وإذا كان ذلك على ما وصفنا لم يخل من أن يكون قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ متأخراً عن قوله: ﴿أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا﴾، أو أن يكونا نزلا معاً فلما عدمنا تاريخ نزول الآيتين وجب الحكم بنزولهما معاً فلا يثبت حينئذٍ تحريم الدم إلا معقوداً بهذه الصفة وهو أن يكون مسفوحاً"(١).

وقال الشنقيطي: " قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ الآية، هذه الآية تدل بظاهرها على أن جميع أنواع الدم حرام، ومثلها قوله تعالى في سورة (النحل): ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ الآية، وقوله في سورة (المائدة): ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾الآية، وقد ذكر في آية أخرى ما يدل على أن الدم لا يحرم إلا إذا كان مسفوحاً، وهي قوله تعالى في سورة (الأنعام): ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا﴾ الآية، والجواب: أن هذه المسألة من مسائل تعارض المطلق والمقيد، والجاري على أصول مالك والشافعي وأحمد حمل المطلق على المقيد لا سيما مع اتحاد الحكم والسبب، كما هنا، وسواءً عندهم تأخر المطلق عن المقيد كما هنا أو تقدم، وإنما قلنا هنا إن المطلق متأخر عن المقيد...، وعلى هذا فالدم إذا كان غير مسفوح كالحمرة التي تظهر في القدر من أثر تقطيع اللحم فهو ليس بحرام لحمل المطلق على المقيد"(٢).

وقال قتادة في قوله: ﴿أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا﴾ قال: (حرم الله الدم ما كان مسفوحاً، فأما لحم يخالطه دم فلا بأس به)(٣).

---

(١) أحكام القرآن: للجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي / بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ، (١/١٥١-١٥٢).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: للشنقيطي، مكتبة ابن تيمية / القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م، (١/٢٧-٢٦).

(٣) تفسير عبد الرزاق: (٢/٧٠).

ويترجح هذا القول بما تقرَّر أن "القول الذي تُؤيدهُ آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك"[1]، هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: (٢٩٩/١).

مسألة: هل يؤخذ من قول تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **عدم إباحة المحرمات للمسافر سفر المعصية حتى وإن اضطر لذلك؟:**

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى أنه يجوز للمضطر الأكل من المحرمات من الأطعمة حتى وإن كان في سفر معصية، حيث قال: "واختلف العلماء إذا اقترن بضرورته معصية، بقطع طريق وإخافة سبيل، فحظرها عليه مالك والشافعي في أحد قوليه لأجل معصيته، لأن الله سبحانه أباح ذلك عوناً، والعاصي لا يحل أن يعان، فإن أراد الأكل فليتب وليأكل، وأباحها له أبو حنيفة والشافعي في القول الآخر له، وسويا في استباحته بين طاعته ومعصيته، قال ابن العربي: "وعجباً ممن يبيح له ذلك مع التمادي على المعصية، وما أظن أحدا يقوله، فإن قاله فهو مخطئ قطعاً"(١)، قلت: الصحيح خلاف هذا، فإن إتلاف المرء نفسه في سفر المعصية أشد معصية مما هو فيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾(٢) وهذا عام، ولعله يتوب في ثاني حال فتمحو التوبة عنه ما كان"(٣).

الدراسة:

في المسألة قولان:

---

(١) أحكام القران: (٨٥/١).

(٢) النساء: (٢٩).

(٣) الجامع: (٢٣٢/٢).

القول الأول: أن المسافر سفر المعصية، لا تباح له رخص السفر، وهذا القول مروي عن علي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم، وهو مذهب المالكية، والشافعية والحنابلة، وقال ابن قدامة أنه قول أكثر أهل العلم(١).

واستدل أصحاب هذا القول بالأدلة الآتية:

١-قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ألا يكون باغياً، والمسافر على وجه الحرابة أو القطع، أو في قطع رحم أو طالب إثم باغ ومعتد، فلم توجد فيه شروط الإباحة(٢).

٢- قالوا: إنَّ الترخص شرع للإعانة على تحصيل المقصد المباح، توصلاً إلى المصلحة، فلو شرع هاهنا لشرع إعانة على المحرم، تحصيلاً للمفسدة، والشرع منزه عن هذا(٣).

٣-وقالوا: إنَّ النصوص وردت في حق الصحابة، وكانت أسفارهم مباحة، فلا يثبت الحكم في من سفره مخالف لسفرهم، ويتعين حمله على ذلك جمعاً بين النصين، وقياس المعصية على الطاعة بعيد؛ لتضادهما(٤).

القول الثاني: أن المسافر سفر معصية يباح له من رخص السفر ما يباح للمطيع سواء، وهو اختيار القرطبي، وروي هذا القول عن الثوري والأوزاعي وبه قال أبو حنيفة(٥)، وهو أحد أقوال الشافعي(٦).

واستدل أصحاب هذا القول بالأدلة الآتية:

---

(١) المغني: لأبن قدامه، مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م، (١٩٢/٢).
(٢) الجامع: (٢٣٣/٢-٢٣٤).
(٣) المغني لأبن قدامة: (١٩٤/٢).
(٤) المرجع نفسه: (١٩٤/٢).
(٥) المرجع نفسه: (١٩٣/٢).
(٦) الجامع: (٢٣٢/٢).

١-إنَّ أدلة رخص السفر مطلقة كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، ووقت النبي -صلى الله عليه وسلم- في المسح للمقيم يوم وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها[١]، ولم يفرق في ذلك بين سفر معصية وسفر طاعة، وزيادة قيد في ذلك حكم بغير دليل[٢].

٢-أنَّ نفس السفر ليس معصية، إذ هو عبارة عن خروج وإنما المعصية فيما يصاحبه أو يؤول إليه فالجهة منفكه[٣].

وذهب الطبري إلى أن الأولى في حق العاصي هو التوبة ثم أكل الميتة والممتنع من ذلك إنما يزداد إلى أثمه إثماً: "فالواجب على قطاع الطريق والبغاة على الأئمة العادلة، الأوبة إلى طاعة الله، والرجوع إلى ما ألزمهما الله الرجوع إليه، والتوبة من معاصي الله لا قتل أنفسهما بالمجاعة، فيزدادان إلى إثمهما إثماً، وإلى خلافهما أمر الله خلافاً"[٤].

الترجيح:

يتبين مما سبق في دراسة القولين أن الراجح هو ما ذهب اليه القرطبي من القول بجواز هذه المحظورات للباغي والعادي ومن في معناهما، وأن امتناعهما من أكل الميتة عند الضرورة وقتلهم لأنفسهم بذلك الامتناع أعظم وزراً مما ارتكباه من البغي والعدوان، فيكون أكل الميتة وما في معناها من المحظورات، هو الواجب في حقهم ارتكاباً لأخف الضررين، واجتناباً لأعظم الوزرين، وإن كانوا يزدادون بذلك إثماً الى إثمهم إلا أنَّ الآثام تتفاوت، ولا شك أنَّ أثم قتل النفس أعظم من إثم تناول الميتة وما في معناها من المحظورات التي تبيحها الضرورة، والفرق بين العاصي والمطيع حينئذ

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين، برقم: (٢٧٦)، (٢٣٢/١).

(٢) المغني لأبن قدامة: (١٩٣/٢).

(٣) المرجع نفسه: (١٩٣/٢).

(٤) جامع البيان: (٣٢٥/٣).

إنما هو في ارتفاع الإثم عن المضـطر غير العاصـي دون من ألجأته معصـيته إلى تلك الضـرورة، وإن كان كل منهما مطالباً بإحياء نفسـه بتناول ما اضـطر إليه من ذلك، هذ ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني:

اختياراته في آيات تحريم لحم الخنزير.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

هل يؤخذ من هذه الآية تحريم لحم الخنزير؟

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي الى تحريم جميع أجزاء الخنزير، وأن المقصود من ذكر اللحم؛ ليدل على تحريم عينه، وليس اختصاصه بالتحريم من بين أعضاء الخنزير، حيث قال –حين تعداده لمسائل هذه الآية–:

"الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾خص الله تعالى ذكر اللحم من الخنزير ليدل على تحريم عينه ذكي أو لم يذك، وليعم الشحم وما هنالك من الغضاريف[1] وغيرها، السادسة عشرة: أجمعت الأمة على تحريم شحم الخنزير... السابعة عشرة: لا خلاف أن جملة الخنزير محرمة إلا الشعر فإنه يجوز الخرازة[2] الخرازة به، وقد روي أن رجلا سأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الخرازة(بشعر الخنزير، فقال: (لا بأس بذلك) ذكره ابن خويز منداد، قال: ولأن الخرازة على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كانت، وبعده موجودة ظاهرة، لا نعلم

(١) الغضروف والغرضوف: كل عظم لين رخص في أي موضع كان، الجامع: (٢/٢٢٢).

(٢) الخرازة: هي حرفة الخراز، وهو صانع الخرز ومن حرفته خياطة الجلد، المعجم الوسيط: (١/٢٢٦).

أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنكرها ولا أحد من الأئمة بعده، وما أجازه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كابتداء الشرع منه"[١].

الدراسة:

في المسألة قولان.

القول الأول: تحريم جميع أجزاء الخنزير وهو ما اختاره القرطبي، وبه قال جماعة من أهل العلم: كالماتريدي[٢]، السمرقندي[٣]، وابن حزم[٤]، والأصفهاني[٥]، وابن كثير[٦]، وابن رشد[٧]، والرازي[٨]، والحدادي[٩]، ووافقهم الشوكاني[١٠]، وأبو الطيب[١١]، على خلاف بينهم في دليل الإجماع، هل هو قياس على اللحم؟ – كما يقول جمهور المفسرين–، أو هو كون الضمير عائداً على الخنزير في قوله: ﴿أَوَ

---

(١) الجامع: (٢/٢٢١–٢٢٢).

(٢) تأويلات أهل السنة: (٤/٣٠٠).

(٣) بحر العلوم: (١/١١٤).

(٤) المحلى بالآثار: لابن حزم، دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون، (٦/٥٧).

(٥) تفسير الراغب: (٤/٢٦٢).

(٦) تفسير ابن كثير: (٣/١٦).

(٧) بداية المجتهد: لابن رشد، دار الحديث – القاهرة الطبعة: تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م، (٣/١٩)، وابن رشد: هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ض الأندلسي، أبو الوليد، الفيلسوف، من أهل قرطبة، ولد سنة: (٥٢٠هـ) يسميه الإفرنج (Averroes) عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، صنف نحو خمسين كتابا، منها: (فلسفة ابن رشد)، توفى سنة: (٥٩٥هـ)، الأعلام للزركلي: (٥/ ٣١٨)، وشذرات الذهب: (٦/١٠٢).

(٨) مفاتح الغيب: (٥/١٩٢).

(٩) روح البيان: (٣/١١٤)، والحدادي: هو عبد العليم بن محمد أبي حجاب الشافعيّ الحدادي: فاضل مصري. له: (سلم الوصول إلى علم الأصول) توفى سنة: (١٣٦١هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ٣١).

(١٠) فتح القدير: (١/١٩٦).

(١١) فتح البيان: (١/٣٤٢).

لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾وإذا كان رجساً كله، فهو محرم شحمه ولحمه وما سوى ذلك، وهذا رأي ابن حزم[1].

قال الجصاص: "نص في هذه الآيات على تحريم لحم الخنزير، والأمةُ علقت من تأويله ومعناه مثل ما علقت من تنزيله، واللحم وأن كان مخصوصاً بالذكر، فإن المراد جميع أجزائه، وإنما خص اللحم بالذكر، لأنه أعظم منفقته، وما يبتغى منه"[2].

القول الثاني: وهو قول داود الظاهري[3]، خلاف القول الأول، فإنه أخذ بظاهر الآية، ولأجل ذلك استنكر أبو حيان ما ذكره ابن عطية من الإجماع[4].

والحق أن قول دواد شاذ لا يعول عليه، فلم يوافقه أحد من الأئمة سلفاً وخلفاً.

الترجيح:

يتبين لنا مما سبق أن الراجح هو قول القرطبي في القول بتحريم جميع أجزاء الخنزير كالشحم ونحوه، وذلك لنقل الإجماع عليه، ولأن "تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"[5]، هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

---

(١) المحلى بالآثار لأبن حزم: (٦/٥٧-٥٨)،

(٢) أحكام القرآن للجصاص: (١/١٥٣).

(٣) البحر المحيط: (٢/١١٣)، وروح المعاني: (١/٤٣٩).

(٤) روح المعاني للألوسي: (٤/٢٧٨).

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: (١/٢٨٨).

المطلب الثالث:

اختياراته في آيات تحريم المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع.

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى أن الموقوذة التي تصاد بالبندق والحجر والمعراض تسمى وقيذه، والوقيذ لم يجزه إلا ما أدرك ذكاته، حيث قال "اختلف العلماء قديماً وحديثاً في الصيد بالبندق والحجر والمعراض، فمن ذهب إلى أنه وقيذ لم يجزه إلا ما أدرك ذكاته، على ما روي عن ابن عمر، وهو قول مالك وأبي حنيفة وأصحابه والثوري والشافعي، وخالفهم الشاميون في ذلك، قال الأوزاعي في المعراض كله خزق أو لم يخزق، فقد كان أبو الدرداء، وفضالة بن عبيد[2]، وعبد الله بن عمر[3]، ومكحول، لا يرون به بأساً، قال أبو عمر: هكذا ذكر الأوزاعي عن عبد الله بن عمر، والمعروف عن ابن عمر ما ذكره مالك عن نافع عنه، والأصل في هذا الباب والذي عليه العمل

---

(١) المائدة: (٣).

(٢) فضالة بن عبيد: هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، أبو محمد: صحابي، ممن بايع تحت الشجرة، شهد أحدا وما بعدها، وشهد فتح الشام ومصر، وسكن الشام، وولي الغزو والبحر بمصر، ثم ولاه معاوية قضاء دمشق، وتوفي فيها، سنة: (٥٣هـ) له ٥٠ حديثا، الأعلام للزركلي: (٥/ ١٤٦).

(٣) عبد الله بن عمر: هو ابن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئا جهيرا، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ولد سنة: (١٠ق. هـ) أفتى الناس في الإسلام ستين سنة، ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى، توفي سنة: (٧٣هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/١٠٨).

وفيه الحجة لمن لجأ إليه حديث عدي بن حاتم وفيه (وما أصاب بعرضه فلا تأكله فإنما هو وقيذ)[١]"[٢].

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: هو ما اختاره القرطبي ومن معه أن الموقوذة التي ترمى بالبندق والحجر وغيرها ولم تخزق لا يجوز أكله ألا ما ذُكيً، وهو مروي عن ابن عمر، وهو قول مالك، وأبي حنيفة وأصحابه، والثوري، والشافعي[٣]، وبه قال الشوكاني[٤]، وأبو الطيب[٥].

وقال الزجاج: "والموقوذة المضروبة حتى تموت ولم تذكَّ، هي التي تقتل ضرباً، يقال: وقذتها أقذها وقذا"[٦].

وقال القاضي أبو محمد:[٧] "وعند مالك وغيره من الفقهاء في الصيد ما حكمه حكم الوقيذ وهو نص في قول النبي –صلى الله عليه وسلم–، في المعراض (وإذا أصاب بعرضه فلا تأكل فإنه وقيذ)"[٨].

---

(١) أخرجه البخاري: في كتاب: الذبائح والصيد، باب: التسمية على الصيد، برقم: (٥٤٧٥)، (٨٥/٧)، ومسلم: في كتاب: الصيد والذبائح وما يأكل من الحيوان، باب: الصيد بالكلاب المعلمة، برقم: (١٩٢٩)، (١٥٣٠/٣).

(٢) الجامع: (٤٧/٦-٤٨).

(٣) الجامع: (٤٧/٦).

(٤) فتح القدير: (١١/٢-١٢).

(٥) فتح البيان: (٣٣٤/٣).

(٦) الوسيط للواحدي: (١٥١/٢).

(٧) القاضي أبو محمد: هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله القرشي العبشمي الكريزي، أبو محمد: قاض فقيه، من أهل بغداد، ولي قضاء مصر سنة ٣١٢هـ فأقام سنة وأياما، وتوفي بحلب سنة: (٣١٧هـ)، الأعلام للزركلي (١/ ٦٠)، والجواهر المضية: لمحيي الدين الحنفي، مير محمد كتب خانه / كراتشي، (٤٦/١).

(٨) المحرر الوجيز: (١٥١/٢).

قال الشـوكاني: وأما البنادق المعروفة الآن: وهي بنادق الحديد التي يجعل فيها البارود والرصـــاص ويرمى بها، فلم يتكلم عليها أهل العلم؛ لتأخر حدوثها، فإنها لم تصل إلى الديار اليمنية إلا في المائة العاشرة من الهجرة، وقد سألني جماعة من أهل العلم عن الصيد بها إذا مات ولم يتمكن الصائد من تذكيته حياً، والذي يظهر لي أنه حلال لأنها تخزق وتدخل في الغالب من جانب منه وتخرج من الجانب الآخر، وقد قال –صـلى الله عليه وسـلم– في الحديث الصـحيح السـابق: (إذا رميت بالمعراض فخزق فكله) فاعتبر الخزق في تحليل الصيد"[١].

القول الثاني: وهو جواز أكل الموقوذة المرمية بالبندق أو حجر سواءً خزق أو لم يخزق، وهو قول الشاميين في ذلك، وبه قال الأوزاعي، وأبو الدرداء، وفضالة بن عبيد[٢]، وعبد الله بن عمر[٣] ومكحول[٤].

الترجيح:

يتبين مما سبق في دراسة القولين أنَّ الراجح هو القول الأول وهو اختيار القرطبي ومن معه من أن الموقوذة التي ترمى بالبندق والحجر وغيرها ولم تخزك لا يجوز أكله ألا ما ذُكيّ، لقوة ما استدلوا به كما سبق في كلام القرطبي، وذلك أولى، هذا ما ظهر للباحث، والله تعالى أعلم.

---

(١) فتح القدير: (١٢/٢).

(٢) الجامع: (٤٧/٦-٤٨).

(٣) المرجع نفسه: (٤٧/٦-٤٨).

(٤) المرجع نفسه: (٤٧/٦-٤٨)

المبحث الثاني:

اختيارات الإمام القرطبي في آيات ضرب الأمثال للناس، ونزول النعم، وحمل نوح وذريته في الفلك.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اختياراته في آيات ضرب الأمثال للناس.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات نزول النعم.

المطلب الثالث: اختياراته في آيات حمل ذرية نوح في الفلك.

المطلب الأول:

اختياراته في آيات ضرب الأمثال للناس.

المسألة الأولى:

معنى الاستحياء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾(١).

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى أن معنى استحياء الله تعالى ينبغي أن يؤول؛ لأن أصل الحياء في اللغة: الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً مِن مواقعه القبيح، حيث قال: "... واختلف المتأولون في معنى ﴿يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ في هذه الآية فقيل: لا يخشى، ورجحه الطبري، وفي التنزيل: ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾(٢)، بمعنى تستحي، وقال غيره: لا يترك، وقيل: لا يمتنع، وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً٣٣ من مواقعة القبيح، وهذا محال على الله تعالى"(٣).

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: وهو قول القرطبي: إن الحياء تغيرٌ وانكسارٌ يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويندم، وإذا ثبت هذا استحال الحياء على الله تعالى لأنه تغيُرٌ يلحقُ البدن، ولكنه واردٌ في الأحاديث، كما روى سلمان عن رسول الله صلى الله

---

(١) البقرة: (٢٦).

(٢) الأحزاب: (٣٧).

(٣) الجامع: (٢٤٤/١).

عليه وسلم أنه قال: (إن الله تعالى حييٌ كريم يستحيي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا)[1] وإذا كان كذلك وجب تأويله.

وينسب أبو حيان هذا القول لأكثر أهل العلم[2]، ومنهم مقاتل[3]، والرازي[4]، والألوسي[5]، البيضاوي[6]، وابن القيم[7]، وابن باز[8].

القول الثاني: وقيل: أن معنى ﴿لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ أي لا يخشى، وسميت الخشية حياءً لأنها من ثمراته، قاله: الطبري[9]، والماوردي[10]، وابن كثير بصيغة قيل[11].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: كرم الله في استجابة دعاء عباده، برقم: (٣٥٥٦)، (٥٥٦/٥)، وقال: (حديث حسن غريب)، وقال الألباني: صحيح، وابن ماجة في سننه، كتاب: الدعاء، باب: رفع اليد في الدعاء، برقم: (٣٨٦٥)، (١٢٧١/٢)، قال الألباني: صحيح.

(٢) البحر المحيط: (١٩٠/١)،

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: (٩٥/١).

(٤) مفاتيح الغيب: (٣٦٠/٢).

(٥) روح المعاني: (٢٠٨/١).

(٦) أنوار التنزيل: (٦٢/١).

(٧) مدارج السالكين: لأبن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي / بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م، (٢٥٠/٢)، وابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، ولد سنة: (٦٩١هـ)، وتوفي سنة: (٧٥١هـ)، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، له تصانيف كثيرة منها: (زاد المعاد)، و(مدارج السالكين)، الأعلام للزركلي (٦/ ٥٦).

(٨) فتح الباري: لأبن حجر، دار المعرفة / بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج: محب الدين الخطيب، تعليقات العلامة: ابن باز(٢٢٩/١)، وابن باز: هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز، علامة مجدد، وإمام ورع ومحقق، سهل التوى، لين الجانب، توفي سنة: (١٤٢٠هـ)، جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز.

(٩) جامع البيان: (٤٠٢/١)، والمحرر الوجيز: (١١٠/١).

(١٠) النكت والعيون: (٨٧/١).

(١١) تفسير ابن كثير: (٢٠٧/١).

القول الثالث: قيل: معناه لا يترك، ولا يمتنع، لأن الترك مِن ثمرات الحيا، ورجح هذ القول ابن عطية[١]، وبه قال: الماوردي[٢]، والقشيري[٣]، والواحدي[٤]، والسمعاني[٥]، والبغوي[٦]، الزمخشري[٧]، والخازن[٨]، وابن عثيمين[٩]،

القول الرابع: قيل: معناه، لا يستنكف، ورجح هذا المعنى ابن كثير[١٠]، وبه قال: الإيجي[١١].

القول الخامس: وقال آخرون: إنَ الاستحياء في هذه الآية منفيٌ عن أنَ يكون وصفاً لله تعالى، فلا يحتاج إلى تأويلٍ في صحةِ اسناده إلى الله، والتعلل لذلك بأن نفي الوصف يستلزم صحة الاتصاف تَعَلُلاً غير مُسَلم[١٢].

الترجيح:

يتبين مما سبق في دراسة الأقوال أنَ الصحيح هو إثبات صفة الحياء لله تعالى، على وجه يليق بجلاله وعظمته، من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تشبيه لها أحدٍ من الخلق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقد استدلوا لذلك بما يلي:

---

(١) المحرر الوجيز: (١١٠/١).
(٢) النكت والعيون: (٨٧/١).
(٣) لطائف الإشارات: (٧٠/١).
(٤) الوسيط للواحدي: (١٠٨/١).
(٥) تفسير السمعاني: (٦١/١).
(٦) إحياء التراث: (١٠٠/١).
(٧) الكشاف: (١١٣/١).
(٨) لباب التأويل: (٣٣/١).
(٩) تفسير العثيمين، الفاتحة والبقرة: (٩٦/١).
(١٠) تفسير ابن كثير: (٢٠٧/١).
(١١) جامع البيان: (٣٥/١).
(١٢) التحرير والتنوير: (٣٦١/١).

١-أن الآية تشعر بصحة نسبة الحياء إليه تعالى؛ لأنه من العرف لا يُسلب الحياء إلا عمن هو شأنه، والنفي داخلٌ على كلام فيه قيدٌ، فيرجع إلى القيد فيفيد ثبوت الفعل أو إمكانه لا أقل، لأنَ نفي الوصف يستلزم صحة الاتصاف[١].

وقد اعترض ابن عاشور على هذا بقوله: "والاستحياء هنا منفيٌ عن أن يكون وصفاً لله تعالى، فلا يحتاج إلى تأويل في صحة إسناده إلى الله، والتعلل لذلك بأن نفي الوصف يستلزم صحة الاتصاف تعلل غير مسلم"[٢]، ويُرد على اعتراض ابن عاشور "هذا" بما ورد في السنة من إثبات هذه الصفة لله تعالى، كما سيأتي.

٢- فقد صرحت الأحاديث بنسبة هذه الصفة لله تعالى[٣].

فمن ذلك ما جاء في الحديث أنَ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرا).

قال ابن القيم: "وأما حياء الرب تعالى من عده، فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كريمٍ وبِرَ وجودٍ وجلال"[٤].

قال الألوسي عن أصحاب هذا القول: "وبعضٌ -وأنا والحمد لله منهم[٥] - لا يقول بالتأويل، بل يمر هذا وأمثاله مما جاء عنه سبحانه، في الآيات والأحاديث على ما جاءت، ويكل علمها بعد التنزيه عما في الشاهد إلى عالم الغيب والشهادة"[٦].

---

(١) روح المعاني: (٢٨٠/١).
(٢) التحرير والتنوير: (٣٦١/١).
(٣) روح المعاني: (٢٨٠/١).
(٤) مدارج السالكين: (٢/ ٢٥٠).
(٥) الكلام هنا للألوسي.
(٦) روح المعاني: (٢٨١/١).

وقد رد الشيخ ابن باز، على من أول هذه الصفة، فقال: "الصواب أنه لا حاجة للتأويل مطلقاً، فإن الله يوصف بالحياء الذي يليق به، ولا يشابه فيه خلقه، كسائر صفاته، وقد ورد وصفه بذلك في نصوص كثيرةٍ، فوجب إثباته له على الوجه الذي يليق به، وهذا هو قول أهل السنة في جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة، وهو طريق أهل النجاة، فتنبه وحذر، والله أعلم"(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: عند تفسير هذه الآية: "من فوائد الآية: إثبات الحياء لله عز وجل؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا﴾.

ووجه الدلالة: أن نفي الاستحياء عن الله في هذا الحال دليل على ثبوته فيما يقابلها، وقد جاء ذلك صريحاً في السنة، كما في قول النبي –صلى الله عليه وسلم– : (إن ربكم حييٌ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا)، والحياء الثابت لله تعالى ليس كحياء المخلوق؛ لأن حياء المخلوق انكسار لما يدهم الإنسان ويعجز عن مقاومته، فتجده ينكسر، ولا يتكلم، أو لا يفعل الشيء الذي يستحيا منه، وهو وصفة صعب ونقص إذا حصل في محله"(٢)، هذا متبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

---

(١) فتح الباري: (٢٢٩/١).

(٢) تفسير ابن عثيمين الفاتحة والبقرة: (٩٨/١).

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1].

اختيار الأمام القرطبي -رحمه الله-:

ذهب القرطبي إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ خبرٌ من الله تعالى، وليست من قول الكافرين، كما قال قبل ذلك: ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾، قيل: هو من قول الكافرين، أي ما مراد الله بهذا المثل الذي يفرق به الناس إلى ضلالة وإلى هدى، وقيل: بل هو خبر من الله عز وجل، وهو أشبه، لأنهم يقرون بالهدى أنه من عنده، فالمعنى: قل يضل الله به كثيرا ويهدي به كثيرا، أي يوفق ويخذل، وعليه فيكون فيه رد على المعتزلة وغيرهم في قولهم: إن الله لا يخلق الضلال ولا الهدى، قالوا: ومعنى ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ التسمية هنا، أي: يسميه ضالاً، كما يقال: فسقت فلانا، يعني سميته فاسقا، لأن الله تعالى لا يضل أحداً، هذا طريقهم في الإضلال، وهو خلاف أقاويل المفسرين، وهو غير محتمل في اللغة، لأنه يقال: ضلله إذا سماه ضالاً، ولا يقال: أضله إذا سماه ضالاً، ولكن معناه ما ذكره المفسرون أهل التأويل من الحق أنه يخذل به كثيرا من الناس مجازاة لكفرهم، ولا خلاف أن قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أنه من قول الله تعالى"[2].

---

(١) البقرة: (٢٦).

(٢) الجامع: (١/٢٤٤).

الدراسة:

اختلف المفســـرون في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ﴾، هل هو من تمام قول الذين قالوا: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، أم هو مبتدأ من كلام الله عز وجل؟، على قولين[١]:

القول الأول: أنه من تمام الكلام الذي قبله، فهو من قول الكفار، واختاره الفراء[٢]، وابن قتيبة[٣]، فقال الفراء: "كأنهم قالوا: ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كلُ أحد، يضل به هذا، ويهدي به هذا؟، ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله فقال الله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾"[٤].

القول الثاني: أنه مبتدأ من قول الله، قاله الســـدي[٥]، ومقاتل[٦]، والطبري[٧]، والبغوي[٨]، وأبو حيان[٩]، والشـوكاني[١٠]، والألوسـي[١١]، وهذا القول هو الذي اختاره القرطبي.

---

(١) زاد المسير: (٤٧/١).

(٢) معاني القرآن: للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١، (٢٣/١).

(٣) المرجع نفسه: (٢٣/١).

(٤) المرجع نفسه: (٢٣/١).

(٥) زاد المسير: (٤٧/١).

(٦) المرجع نفسه: (٤٧/١).

(٧) جامع البيان: (٤٠٨/١).

(٨) معالم التنزيل: مختصر تفسير البغوي، لعبد الله بن محمد زيد، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، (٢٣/١).

(٩) البحر المحيط: (٢٠٢/١).

(١٠) فتح القدير: (٦٨/١).

(١١) روح المعاني: (٢١١/١).

ومعنى الكلام: "أن الله يضل بالمثل الذي يضربه كثيراً من أهل النفاق والكفر، فيزيد هؤلاء ضلالةً إلى ضلالهم، لتكذيبهم بما قد عملوه حقاً يقيناً، من المثل الذي ضربه الله بما ضربه لهم، وأن هذا المثل موافقٌ لما ضرب له، فذلك إضلال الله إياهم به، ﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ﴾ يعني بالمثل كثيراً من أهل الإيمان والتصديق، فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيماناً إلى إيمانهم، لتصديقهم بما قد عملوه حقاً يقيناً أنه موافق ما ضربه الله له مثلاً وإقرارهم به، وذلك هداية من الله به"(١).

الترجيح:

يتبين لنا مما سبق في دراسة القولين بأنَّ الراجح هو القول الثاني، وهو ما اختاره القرطبي وغيره، أن قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾، مبتدأ من قول الله جل جلاله، وليس حكايةٌ عما قاله الكفار، ويدل لذلك مضمون النصوص التالية من أقوال المفسرين.

١-قول الطبري مستدلاً لهذا القول: "وفيما في سورة المدثر، من قول الله: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾(٢)، ما يُنبئ عن أنه في سورة البقرة كذلك، مبتدأ، أعني قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾(٣)، وقد عُلم أنَّ "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك"(٤).

---

(١) جامع البيان: (٤٠٨/١).

(٢) المدثر: (٣١).

(٣) جامع البيان: (٤٠٨/١)

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٩٩/١).

٢-قول أبي حيان: مستبعداً القول الأول القائل بأن هذه الجملة من كلام الكفار، فيقول: "وهذا الوجه ليس بظاهر؛ لأن الذي ذُكر أن الله لا يستحيي منه هو ضربُ مثلٍ ما، أي مثلٍ كان، بعوضة، أو ما فوقها، والذين كفروا إنما سألوا سؤال استهزاء وليسوا معترفين بأن هذا المثل: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[١].

٣-وقال الشوكاني بعد حكايته القول الأول أيضاً: "وليس هذا بصحيح، فإن الكافرين لا يُقرون بأن في القرآن شيئاً من الهداية، ولا يعترفون على أنفسهم بشيء من الضلالة"[٢].

تقول القاعدة الترجيحية: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلاً بدليلٍ يجب التسليم له"[٣]، هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

---

(١) البحر المحيط: (٢٠٢/١).

(٢) فتح القدير: (٦٨/١).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٢٥/١).

المسألة الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

اختيار الأمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي أن معنى قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾، عامٌ في كل من أوتي القرآن فلم يعمل به، حيث قال: "قال السدي: كان بلعام بن باعوراء، بعد ذلك يلهث كما يلهث الكلب، وهذا المثل في قول كثير من أهل العلم بالتأويل عام في كل من أوتي القرآن فلم يعمل به، وقيل: هو في كل منافق، والأول أصح، قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾، أي إن تحمل عليه بدابتك أو برجلك يلهث أو تتركه يلهث، وكذلك من يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه"[2].

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: قيل: هو في كل المنافق، قاله الحسن[3]، وعكرمة[4]، وابن كيسان[5].

---

(١) الأعراف: (١٧٦).

(٢) الجامع: (٣٢٣/٧).

(٣) جامع البيان: (٢٨٣/١٣)، والكشف والبيان: (٣٠٩/٤)، إحياء التراث: (٢٥١/٢).

(٤) النكت والعيون: (٢٧٩/٢).

(٥) إحياء التراث: (٢٥١/٢).

القول الثاني: أن الآية عامة في كل من أوتي القرآن فلم يعمل به، وهو اختيار القرطبي، وبه قال: مجاهد[١]، السمرقندي[٢]، وابن عطية[٣]، والرازي[٤]، وأبو الطيب[٥]، والسعدي[٦]، والطنطاوي[٧].

الترجيح:

يتبين ممًا سبق في دراسة القولين أنَّ القول الثاني هو الراجح، وهو اختيار القرطبي وعليه أكثر أهل العلم، من أن الآية عامه في كل من أوتي القرآن فلم يعمل به، ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية: "يجب حمل نصوص الوحي على العموم"[٨]، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

---

(١) الكشف والبيان: (٣٠٩/٤)، زاد المسير: (١٧٠/٢).

(٢) بحر العلوم: (٥٦٦/١).

(٣) المحرر الوجيز: (٤٧٨/٢).

(٤) مفاتيح الغيب: (٤٠٥/١٥).

(٥) فتح البيان: (٧٩/٥).

(٦) تيسير الكريم الرحمن: (٣٠٨/١).

(٧) التفسير الوسيط: لطنطاوي، (٤٣٥/٥).

(٨) قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).

المطلب الثاني:

اختياراته في آيات نزول النعم ومنها، مائدة بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

المعنى في كلمة ﴿ وَالسَّلْوَىٰ ﴾

اختيار الأمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي عدم صحة ما ادعاه ابن عطية من إجماع المفسرين على أن السلوى طيرٌ، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ اختلف في السلوى فقيل هو السمانى[2] بعينه قاله الضحاك، قال ابن عطية: السلوى طيرٌ بإجماع المفسرين وقد غلط الهذلي[3] فقال:

وقاسَمَها بالله جَهْدًا لأنتمُ ... أَلَذُّ مِن السَّلْوَى إذا ما نَشُورُها[4].

---

(١) الأعراف: (١٦٠).

(٢) السُماني: بضم السين وفتح النون على وزن (حبارى): اسم لطائر يلبد بالأرض ولا يكاد يطير إلا أن يطار، ويسمى قتيل الرعد؛ لأنه إذا سمع الرعد مات، ويقال: إن فرخه عندما يخرج من البيض يطير من ساعته، ومن عجيب أمره أنه يسكت في الشتاء، فإذا أقبل الربيع يصيح ويغتذي، حياة الحيوان الكبرى: لكمال الدين الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ، (٢/ ٣٦).

(٣) الهذلي: هو مالك بن خالد الهذلي، الزهري، تهذيب اللغة: للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (١٩٨/٤).

(٤) البيت في ديوان الهذليين: للشعراء الهذليون، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة / عام النشر: ١٣٨٥هـ –١٩٦٥م، (١٥٨/١)، وتهذيب اللغة: (٤٩/١٣)، ونَشُورُها: نأخذها والشَّوْر: أخذُ العَسلِ من موضعها.

ظن السلوى العسل[١]، قلت: ما ادعاه من الإجماع لا يصح وقد قال المؤرج[٢] أحد علماء اللغة والتفسير: إنه العسل واستدل ببيت الهذلي وذكر أنه كذلك بلغة كنانة[٣]، سمي به لأنه يسلى به ومنه عين السلوان[٤]، وأنشد:

لو أَشْرَبُ السُّلْوانَ مَا سَلِيتُ... ما بي غنى عَنْك وإنْ غَنِيت[٥].

وقال الجوهري: والسلوى العسل[٦] وذكر بيت الهذلي:

وقاسَمَها بالله جَهْدًا لأنتمُ ... أَلَذُّ مِن السَّلْوَى إذا ما نَشُورُها.

ولم يذكر غلطا... "[٧].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة اقوال:

القول الأول: في معنى ﴿ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾، وهو أن معناه: العسل، فقد ذكر أهل اللغة: أن السلوى تطلق على العسل عند العرب، وممن ذكر ذلك: أبو بكر بن

---

(١) المحرر الوجيز: (١٤٩/١).

(٢) الجامع: (٤٠٧/١)، والمؤرج: هو مؤرج بن عمرو بن الحارث، من بني سدوس بن شيبان، أبو فيد: عالم بالعربية والأنساب، من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد، من أهل البصرة، من كتبه: (جماهير القبائل)، و(غريب القرآن)، و(الأمثال)، توفي سنة: (١٩٥هـ)، الأعلام للزركلي: (٧/ ٣١٨).

(٣) كنانة: هي قبيلة عظيمة، من القبائل العدنانية، وهم: بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وديارهم بجهات مكة، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: للأندلسي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، (١٨٧/١)، ومعجم قبائل العرب: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، (٤٣/١).

(٤) عين السلوان: هو عين نضاخة يتبرك بها ويستشفى منها بالبيت المقدس. (عن معجم ياقوت).

(٥) البيت لرؤبة: تهذيب اللغة: لأبن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (٤٨/١٣).

(٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين / بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م، (٢٣٨١/٦).

(٧) الجامع: (٤٠٧/١).

الأنباري،[1]، وأبو علي الفارسي[2]، والأزهري[3]، والجوهري[4]، ومؤرج السدوسي[5]، وغيرهم.

القول الثاني: بأن ﴿ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾ طيرٌ قال به جمعٌ من الصحابة والتابعين، وروي عن ابن عباس[6]، والشعبي[7]، والضحاك[8]، والحسن[9]، وعكرمة[10]، ومجاهد،[11]، وقتادة[12]، والربيع بن أنس[13]، والرازي[14]، وغيرهم، وعلى اختلافٍ بينهم في بيان نوعه هذا الطير، قال عكرمة: "أما السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور، وقال قتادة: السلوى من طير إلى الحمرة، تحشرها عليهم الريح

---

(١) زاد المسير: (٦٨/١).

(٢) تاج العروس: للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٢٩٦/٣٨)، والفارسي: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان، أبو علي الفارسي، النحوي، إمام زمانه في النحو، صاحب التصانيف، كان في اعتزال، توفي سنة: (٣٧٧هـ)، ببغداد، إنباه الرواة: لجمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي / القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية / بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٢م، (٣٠٨/١).

(٣) تهذيب اللغة: (٤٩/١٣)، والأزهري: هو أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي، العلامة اللغوي الشافعي، ولد سنة: (٢٨٢هـ) صاحب كتاب: (تهذيب اللغة)، المشهور، توفي سنة: (٣٧٠هـ)، طبقات الشافعية: للسبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ، (٦٣/٣).

(٤) فتح القدير: (١٠٤/١).

(٥) البحر المحيط: (٣٢٢/١).

(٦) المحرر الوجيز: (١٤٩/١)، وجامع البيان: (٩٧/٢).

(٧) تفسير ابن كثير: (٢٧١/١).

(٨) جامع البيان: (٩٧/٢).

(٩) تفسير ابن كثير: (٢٧١/١).

(١٠) تفسير ابن أبي حاتم: (١١٥/١).

(١١) المحرر الوجيز: (١٤٩/١).

(١٢) المرجع نفسه: (١٤٩/١)، وتفسير ابن أبي حاتم: (١١٥/١).

(١٣) المرجع نفسه: (١٤٩/١)، والربيع بن أنس: هو ابن زياد البكري أو الحنفي، البصري ثم الخرساني، نزيل خرسان، صدوق له أوهام، توفي سنة: (١٤٠هـ)، تهذيب الكمال: لأبي محمد القضاعي تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة / بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م، (٦٠/٩).

(١٤) مفاتح الغيب: (٥٢٢/٣).

الجنوب، وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدى فسد ولم يبق عنده، حتى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه؛ لأنه كان يوم عبادة لا يشخص فيه لشيء ولا يطلبه"[١].

القول الثالث: وممن ذكر القولين السابقين دون ترجيح بينهما، من المفسرين: البغوي[٢]، وابن الجوزي[٣]، وأبو حيان[٤].

وبهذا يتبين خطأ الإمام ابن عطية –رحمه الله– في دعوى الإجماع على المعنى الأول؛ إذ إن القول الثاني قال به طائفةٌ من العلماء كما تقدم.

وقد أنكر المفسرون على ابن عطية دعواه الإجماع على هذا المعنى، وممن أنكر عليه ذلك "غير القرطبي" ابن عادل الحنبلي[٥]، الذي قال: "وادَّعى (ابن عطية) الإجماع على أن السلوى: طائر، وهذا غير مرض"[٦].

وكذلك الألوسي؛ حيث قال: "وذكر السدوسي أن السلوى: هو العسل، بلغة كنانة، ويؤيده قول الهذلي:...، وقول ابن عطية إنه غلط غلط"[٧].

ونقل ابن كثير والشوكاني إنكار القرطبي لقول ابن عطية[٨]، ولم يتعقباه إقراراً منهما لهذا الإنكار.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢٧١/١).
(٢) إحياء التراث: (١٢٠/١).
(٣) زاد المسير: (٦٨/١).
(٤) البحر المحيط: (٣٣٢/١).
(٥) الحنبلي: هو أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ، نسبته إلى نعمان، وهي قرية بمصر، من كتبه: (اللباب في علوم الكتاب)، توفي سنة: (٧٧٥هـ)، الأعلام للزركلي (٦٨/٤).
(٦) اللباب في علوم الكتاب: (٨٩/٢).
(٧) روح المعاني: (٢٦٤/١).
(٨) تفسير ابن كثير: (٢٧٢/١)، وفتح القدير: (١٠٣/١).

الترجيح:

بهذه الدراسة يتبين لنا أن الراجح هو قول القرطبي ومن معه بعدم التسليم لمن ادَّعى الإجماع على أنَّ السلوى طيرٌ، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث:

اختياراته في آيات حمل ذرية نوح في الفلك.

قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[1].

إلى من يرجع الضمير في قوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى أن الذرية: الآباء والأجداد، حيث قال: "﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾من أشكل ما في السورة، لأنهم هم المحمولون، فقيل المعنى وآية لأهل مكة أنا حملنا ذرية القرون الماضية ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾، فالضميران مختلفان، وقيل: الضميران جميعا لأهل مكة على أن يكون ذرياتهم أولادهم وضعفاءهم، فالفلك على القول الأول سفينة نوح، وعلى الثاني يكون اسماً للجنس، أخبر جل وعز بلطفه وامتنانه أنه خلق السفن يحمل فيها من يحمل فيها من يصعب عليه المشي والركوب من الذمة والضعفاء، فيكون الضميران على هذا متفقين، وقيل: الذرية الآباء والأجداد، حملهم الله تعالى في سفينة نوح –عليه السلام–، فالآباء ذرية والأبناء ذرية، بدليل هذه الآية، قاله أبو عثمان، وسمي الآباء ذرية؛ لأن منهم ذرأ الأبناء، وقول رابع: أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيها بالفلك المشحون، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذكره الماوردي"[2].

الدراسة:

---

(١) يس: (٤١).

(٢) الجامع: (٣٤/١٥).

امتن الله تعالى على عباده بنعم كثيرة، منها حملهم في الفلك المشحون[١]، واختلف العلماء في معنى: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، إلى من يرجع الضمير؟ على ثلاثة أقوال هي:

القول الأول: معنى ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ آية لأهل مكة أنا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون، فالضميران مختلفان، قاله الفراء[٢]، والزجاج[٣]، والنحاس[٤]، وابن أبي زمنين[٥]، والسمين الحلبي[٦].

القول الثاني: الضميران جميعاً لأهل مكة، والمعنى: أن الله حمل ذريتهم من أولادهم وضعفائهم على الفلك، ذكره أبو حيان[٧]، والزمخشري[٨]، والبيضاوي[٩]،

---

(١) فتح القدير: (٤/٤٢٦).

(٢) معاني القرآن: (٢/٣٨٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه: (٤/٢٨٨).

(٤) إعراب القرآن: (٣/٢٦٧).

(٥) تفسير ابن أبي زمنين: (٤/٤٦).

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون طبعه، (٢/١٠٣)، والحلبي: هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي، شهاب الدين المقرئ، النحوي، ولد سنة: (٦٩٧هـ)، نزيل القاهرة، المعروف بالسمين، سمع الحديث، وتلقى القراءات، درس بجامع طولون، توفي سنه: (٧٥٦هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية / لبنان / صيدا، (١/٢٧٥).

(٧) البحر المحيط: (٩/٧٠).

(٨) الكشاف: (٤/١٨).

(٩) أنوار التنزيل: (٤/٢٦٩).

والنسفي[١]، وأبو السعود[٢]، والشوكاني[٣]، والألوسي[٤]، والقنوجي[٥]، والقاسمي[٦]، والمراغي[٧]، والخازن[٨].

القول الثالث: الذرية: الآباء والأجداد، وهو اختيار القرطبي، وقال به السمرقندي[٩]، والواحدي[١٠]، والسمعاني[١١]، والبغوي[١٢]، وابن الجوزي[١٣]، والرازي[١٤]، والعز بن عبد السلام[١٥]، والنسفي[١٦]، وابن جزي[١٧]، وابن كثير[١٨].

الترجيح:

يتبين مما سبق في دراسة الأقوال، أن القول الثاني هو الراجح وهو أن الضميران جميعاً لأهل مكة، والمعنى: أن الله حمل ذريتهم من أولادهم وضعفائهم على الفلك.

---

(١) مدارك التنزيل: (١٠٥/٢).
(٢) ارشاد العقل السليم: لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي / بيروت، بدون طبعه، (١٦٨/٧).
(٣) فتح القدير: (٤٢٦/٤).
(٤) روح المعاني: (٢٦/١٢).
(٥) فتح القدير: (٤٢٦/٢).
(٦) محاسن التأويل: (١٨٦/٨).
(٧) تفسير المراغي: (١٥/٢٣).
(٨) لباب التأويل: (٨/٤).
(٩) بحر العلوم: (١٢٤/٣).
(١٠) الوجيز: (٩٠٠/١).
(١١) تفسير السمعاني: (٣٨٠/٤).
(١٢) معالم التنزيل: (١٢٢/١).
(١٣) زاد المسير: (٥٢٥/٣).
(١٤) مفاتح الغيب: (٢٨٢/٢٦).
(١٥) تفسير العز بن عبد السلام: (٤٠/٣).
(١٦) مدارك التنزيل: (١٠٥/٣).
(١٧) التسهيل لعلوم التنزيل: (١٨٣/٢).
(١٨) تفسير ابن كثير: (٥٧٩/٦).

فإطلاق الذُرِّية[1] على الآباء لا يعرف في اللغة[2]، والضمير في قوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، عائد على الموجودين باعتبار الجنس، فالمعنى أن خلقنا ذريتهم، أي: ذرية جنسهم، وهو نوح عليه السلام[3]، حملت ذريته في الفلك المشحون.

فالمراد بالذرية هنا: كفار مكة ونحوهم[4]، لأن الخطاب لهم، فالله تعالى يمتن عليهم بهذا النعمة العظيمة، هذا ما ترجح للباحث، والله تعالى أعلم.

(١) الذرية: اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر وأنثى، الهداية الى بلوغ النهاية: (٦٠٤٠/٩).
(٢) المحرر الوجيز: (٤٥٥/٤).
(٣) تفسير ابن كثير: (٥٧٩/٦).
(٤) فتح القدير: (٤٢٦/٤).

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (١).

في المراد بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى أن المراد بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، أنه للسفن، حيث قال: "وفي معناه ثلاثة أقوال: مذهب مجاهد وقتادة وجماعة من أهل التفسير، وروي عن ابن عباس أن معنى ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ للإبل، خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر، والعرب تشبه الإبل بالسفن، قال طرفة:(٢).

كأن حدوج المالكية غدوة ... وخلايا سفين بالنواصف من دد(٣)، (٤).

جمع خلية وهي السفينة العظيمة، والقول الثاني أنه للإبل والدواب وكل ما يركب، والقول الثالث أنه للسفن.

---

(١) يس: (٤٢-٤٣)

(٢) طرفة: هو عمرو بن العبد بن سفيان بن سعيد بن مالك، من أشعر الشعراء بعد امرئ القيس، كان ذكي في صغره، مات أبوه وهو صغير، توفي سنة: (٧٠ق هـ)، شرح المعلقات العشر: لأبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، (٣٨/١).

(٣) الحدوج: حدج وهو مركب من مراكب النساء، والمالكية منسوبة إلى مالك بن سعد بن ضبيعة، والتواصف: جمع ناصفة وهي الرحبة الواسعة تكون في الوادي، ودد: موضع، الجامع: (٣٥/١٥).

(٤) رجال المعلقات العشر: باب طرفة بن العبد، (٤٠/١).

ثم قال: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾أي في البحر فترجع الكناية إلى أصحاب الذرية، أو إلى الجميع، وهذا يدل على صـــحت قول ابن عباس ومن قال إن المراد ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، السفن لا الإبل"[1].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن معنى ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ الإبل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾[2]، وممن ذكر هذا القول جماعة من المفســـرين، منهم الطبري[3]، والنحـــاس[4]، وابن أبي زمنين[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، والثعالبي[8]، قال ابن عطية: "ويقال: الإبل مراكب البر"[9].

القول الثاني: قال مجاهد -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾: الإبل والدواب، وكل ما يركب[10].

---

(١) الجامع: (٣٤/١٥-٤٥).
(٢) الزخرف: (١٢).
(٣) الجامع البيان: (٥٢٤/٢٠).
(٤) إعراب القرآن: (٢٦٨/٣).
(٥) تفسير ابن أبي زمنين: (٤٦/٤).
(٦) معالم التنزيل: (٧٨٦/٥).
(٧) الكشاف: (١٨/٤).
(٨) جواهر الحسان: (١٤/٥).
(٩) المحرر الوجيز: (٤٥٥/٤)، وفتح القدير: (٤٢٨/٤).
(١٠) تفسير مجاهد: (٥٦٠/١).

قال تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، وقد ذكر هذا القول الطبري[2]، والنحاس[3]، وابن كثير[4]، والشوكاني[5].

القول الثالث: السفن وهذ القول هو الذي اختاره القرطبي، موافقاً في ذلك جمهور المفسرين، ومنهم: الفراء[6]، والزجاج[7]، وابن جرير[8]، والواحدي[9]، والسمرقندي[10]، وابن الجوزي[11]، والرازي[12]، والعز بن عبد السلام[13]، وابن جزي[14]، وابن كثير[15]، غيرهم.

الترجيح:

يتبين لنا مما سبق في دراسة الأقوال أنَّ الراجح هو القول الثالث وهو اختيار القرطبي وعليه جمهور المفسرين، وحجتهم في ذلك:

---

(١) النحل: (٨).
(٢) جامع البيان: (٥٢٤/٢٠).
(٣) إعراب القرآن: (٣٦٨/٣).
(٤) تفسير ابن كثير: (٥٧٩/٦).
(٥) فتح القدير: (٤٢٦/٤).
(٦) معاني القرآن للفراء: (٣٧٨/٢).
(٧) معاني القرآن للزجاج: (٢٨٨/٤).
(٨) جامع البيان: (٥٢٤/٢٠).
(٩) الوجيز: (٩٠١/١).
(١٠) بحر العلوم: (١٢٥/٣).
(١١) زاد المسير: (٥٢٥/٣).
(١٢) مفاتح الغيب: (٢٨٥/٢٦).
(١٣) تفسير العز بن عبد السلام: (٤٠/٣).
(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل: (١٨٣/٢).
(١٥) تفسير ابن كثير: (٥٨٠/٦).

١-الأثر الذي ورد عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: "تدرون ما ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾؟ قلنا: لا، قال: هي السفن، جعلت لهم من بعد سفينة نوح عليه السلام على مثلها"[١].

٢- دلالة سياق: قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ جاءت عقب الآية ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾، ومن قواعد المفسرين: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما"[٢].

٣-ومن المعلوم أن الفرق يكون في الماء[٣].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وأبعد من قال: إن المثل ههنا هو سفن البر، وهي الإبل؛ لوجهين:

أحدهما: أنها لا تسمى مثلاً للسفن، لا لغةً، ولا حقيقة، فإن المثلين ما سد أحدهما مسدً الآخر، وحقيقة المماثلة أن يكون بين فلكٍ وفلك لا بين جملٍ وفلك.

الثاني: أن قوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ عقب ذلك دليلٌ على أن المراد الفلك التي إذا ركبوها قدرنا على إغراقهم[٤]، هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع ابيان: (٥٢٣/٢٠)، وابن أبي حاتم: (٣١٩٦/١٠).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٢٥/١).

(٣) جامع البيان: (٥٢٥/٢٠).

(٤) الضوء المنير: لأبن القيم، جمعه علي أحمد الصالحي، مؤسسة النور، مكتبة دار السلام، بدون تاريخ، (١١٧/٥).

المبحث الثالث:

نداء الفطرة عند الشدة، والتأمل في آيات الله.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختياراته في آيات نداء الفطرة عند الشدة.

المطلب الثاني: اختياراته في آيات التأمل في آيات الله.

المطلب الأول:

اختياراته في آيات نداء الفطرة عند الشدة.

المسألة الأولى:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

اختار القرطبي أنَّ معنى الدعاء المذكور في قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، العبادة؛ حيث قال: "قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أي: أقبل عبادة من عبدني، فالدعاء بمعنى: العبادة، والإجابة بمعنى: القبول، دليله ما رواه أبو داود عن النعمان بن بشير، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (الدعاء هو: العبادة، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]،[3] فسمي الدعاء عبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[4] أي: دعائي"[5].

الدراسة:

في المسألة قولان:

---

(١) البقرة: (١٨٦).

(٢) غافر: (٦٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: تفريع أبواب الوتر، باب: الدعاء، برقم: (١٤٧٩)، قال الألباني: صحيح، (٧٦/٢).

(٤) غافر: (٦٠).

(٥) الجامع: (٣٠٨/٢-٣٠٩).

القول الأول: وهو اختيار القرطبي أن يكون المراد من الدعاء: العبادة؛ ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]، فظهر أنَّ الدعاء ههنا هو العباد، قاله: الطبري[2]، والرازي[3]، وأبو القاسم[4]، والعز بن عبد السلام[5]، وأبو حيان[6]، وأبو حفص[7]، والنيسابوري[8]، والشوكاني[9]، والسعدي[10].

القول الثاني: أن يكون المراد من الدعاء: دعاء المسألة؛ كما هو ظاهر روايات سبب نزول هذه الآية[11].

وقد استنبط بعض العلماء من ورود هذه الآية بعد الأمر بصيام رمضان، أنَّ المقصود بالدعاء هنا دعاء المسألة، وأن الصائم مرجو الإجابة.

---

(١) غافر: (٦٠).

(٢) جامع البيان: (٤٨٥/٣).

(٣) مفاتح الغيب: (٢٦٦/٥).

(٤) غرائب القرآن وعجائب التأويل: لابي القاسم برهان الدين الكرماني، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية / جدة، بدون تاريخ، (١٩٩/١)، وأبو القاسم: هو محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء توفي سنة: (٥٠٥هـ)، عالم بالقراءات، نقل في (التفسير) آراء مستنكرة، في معرض التحذير منها، كان الأولى إهمالها، أثنى عليه الجزري وذكر بعض كتبه، ومنها: (لباب التفاسير)، و(العجائب والغرائب)، غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ، ج. برجستراسر، (٢٩١/٢).

(٥) تفسير العز بن عبد السلام: (١٩١/١).

(٦) البحر المحيط: (٢٠٨/٢).

(٧) اللباب في علوم الكتاب: (٢٩٩/٣).

(٨) غرائب القرآن: (٤٢/٦).

(٩) فتح القدير: (٢١٢/١).

(١٠) تفسير السعدي: (٨٧/١).

(١١) جامع البيان: (٤٨٥/٣)، وتفسير ابن أبي حاتم: (٣١٤/١)، وتفسير ابن كثير: (٥٠٨/١).

قال الطاهر بن عاشـــور: "وفي هذه الآية إيماءٌ إلى أنَّ الصـــائم مرجو الإجابة، وإلى أن شـــهر رمضـــان مرجوَّةٌ دعواتُه وإلى مشـــروعية الدعاء عند كل يوم من رمضان"[١]، وممن قال بهذا القول: الزجاج[٢]، والثعلبي[٣]، والسمعاني[٤]، والبغوي[٥]، وابن كثير[٦]، الإيجي[٧]، والمظهري[٨]، والقاسمي[٩]، والجزائري[١٠].

الترجيح:

يتبين لنا من خلال دراســة القولين أنَّه لا يمتنع إرادة القولين؛ فيكون المراد نوعي الدعاء؛ دعاء العبادة ودعاء المســألة، وهذا خلاف ما رجحه القرطبي، من أنَّ المراد دعاء العبادة فحسب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فكل دعاء عبادةٍ مستلزمٌ لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألةٍ متضمنٌ لدعاء العبادة؛ فقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية، قيل: أُعطيه إذا سألني، وقيل: أُثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان"[١١].

---

(١) التحرير والتنوير: (١٨٧/٢).
(٢) معاني القرآن: (٢٥٥/١).
(٣) الكشف والبيان: (٧٤/٢).
(٤) تفسير السمعاني: (١٨٥/١).
(٥) إحياء التراث: (٢٢٦/١).
(٦) تفسير ابن كثير: (٥٠٨/١).
(٧) جامع البيان: (١٢٩/١).
(٨) تفسير المظهري: (٢٠١/١).
(٩) محاسن التأويل: (٣٠/٢).
(١٠) أيسر التفاسير: (١٦٤/١).
(١١) مجموع الفتاوى: لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، (١١/١٥).

ومن القواعد التي قررها كثير من العلماء أنه إذا احتمل اللفظ عدة معانٍ ولم يمتنع إرادةٌ الجميع حمل عليها[1]، هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/ ٢٥٢).

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي -رحمه الله-:

ذهب القرطبي أنَّ معنى الإجابة في قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: القبول؛ حيث قال: "قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أي: أقبل عبادة من عبدني، فالدعاء بمعنى العبادة، والإجابة بمعنى القبول، دليله ما رواه أبو داود، عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدعاء: هو العبادة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فسمي الدعاء عبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2] أي: دعائي" [3].

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: أنَّ يكون المراد من إجابة الله تعالى للدعاء عبارةٌ عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب؛ كما قال: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[4]، وهذا القول هو اختيار القرطبي، ووافقه

---

(١) البقرة: (١٨٦).

(٢) غافر: (٦٠).

(٣) الجامع: (٣٠٨/٢).

(٤) الشورى: (٢٦).

الرازي[١]، وأبو حفص[٢]، والثعلبي[٣]، والقشـــيري[٤]، والبغوي[٥]، وأبو حيــان[٦]، والشوكاني[٧].

القول الثـاني: أن يكون المراد من الإجـابـة من اللـه تعـالى هي تحقيق مطلوب الداعي؛ كما هو ظاهر روايات سـبب نزول هذه الآية –في سـورت البقرة–[٨]، وممن قال بهذا القول: الماتريدي[٩]، والواحدي[١٠]، والسمعاني[١١]، البيضاوي[١٢].

الترجيح:

يتبين مما ســبق في دراســة القولين، أن الراجح هو القول الثاني، وهو خلاف ما اختاره القرطبي، ومن معه، أما قول من قال: أنَّه يرى كثيرٌ من البشر يدعون الله فلا يجاب لهم دعاء؛ فقد أجاب العلماء عنه بأجوبة؛ منها:

١–أن معنى قوله: ﴿أُجِيبُ﴾، أي: أســمع، ويقال: ليس في الآية أكثر من اســتجابة الدعوة، فأما إعطاء المسـألة فليس بمذكور فيها، وقد يجيب السـيد عبده، والوالد ولده، ثم لا يعطيه سؤله؛ فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة [١٣].

---

(١) مفاتح الغيب: (٢٦٦/٥).
(٢) اللباب في علوم الكتاب: (٢٩٨/٣).
(٣) الكشف والبيان: (٧٤/٢).
(٤) لطائف الإشارات: للقشيري، (١٥٦/١).
(٥) إحياء التراث: (٢٢٦/١).
(٦) البحر المحيط: (٢٠٥/٢).
(٧) فتح القدير: (٢١٢/١).
(٨) جامع البيان: (٤٨٥/٣)، وتفسير ابن أبي حاتم: (٣١٤/١)، ومعالم التنزيل: (٦٧/١)، وتفسير ابن كثير: (٥٠٨/١).
(٩) تأويلات أهل السنة: (٤٩/٢).
(١٠) الوسيط للواحدي: (٢٨٤/١).
(١١) تفسير السمعاني: (١٨٥/١).
(١٢) أنوار التنزيل: (١٢٥/١).
(١٣) معالم التنزيل: (٦٨/١).

٢- أن معناه: أنَّه لا يجيب دعاءه فإن قدر له ما سـأل أعطاه وإن لم يقدره له ادَّخر له الثواب في الآخرة، أو كف عنه به سوءاً[١].

وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين من فوائد هذه الآية: "أن الله تعالى يجيب دعوة الداعِ إذا دعاه؛ ولا يلزم من ذلك أن يجيب مسألته؛ لأنه تعالى قد يؤخرُ إجابة المسألة ليزداد الداعي تضرعاً إلى الله، وإلحاحاً في الدعاء؛ فيقوى بذلك إيمانه، ويزداد ثوابه؛ أو يدَّخِره له يوم القيامة؛ أو يدفع عنه من السوء ما هو أعظم فائدةً للداعي"[٢].

هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

---

(١) المرجع نفسه: (٦٨/١).

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة، (٣٤٥/٢).

المطلب الثاني:

اختياراته في آيات التأمل في آيات الله.

المسألة الأولى:

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾[1].

اختيار الإمام القرطبي –رحمه الله–:

اختار القرطبي أن المراد بـــ ﴿أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، هي أرض الشام[2]، حيث قال: قوله تعالى: "﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، يعني أرض الشام، قال عكرمة: بأذرعات[3]، وهي ما بين بلاد العرب والشام، وقيل: إن قيصر كان بعث رجلاً يدعى يحنس، وبعث كسرى شهر بزان، فالتقيا بأذرعات وبصرى[4]،

---

(١) الروم: (١-٢-٣).

(٢) الشام: مهموز الألف، وقد لا يهمز، وهو البلد المعروف، قيل: إنّه سمّى بشامات هناك حمر وسود، معجم ما استعجم: للبكري، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، (٧٧٣/٣).

(٣) أذرعات: هو بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعُمان، معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، (١٣٠/١).

(٤) بصرى: بالضم والقصر، بالشام من أعمال دمشق، معجم البلدان: (٤٤١/١).

وهي أدنى بلاد الشام إلى أرض العرب والعجم، قال مجاهد: بالجزيرة[1]، وهو موضع بين العراق والشام، قال مقاتل: بالأردن وفلسطين[2]، و ﴿أَدۡنَىٰ﴾ معناه: أقرب[3].

الدراسة:

وفي اسم هذا المكان الذي وقع فيه اللقاء بين الفريقين أربعة أقوال:

القول الأول: ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، أي: الجزيرة، وهي أقرب أرض الروم إلى فارس، وقاله مجاهد[4]، والماوردي[5]، وبه قال الواحدي[6]، والبغوي[7].

القول الثاني: أذرعات وكسكر[8] من أرض الشام، ويكون المعنى: أدنى أرض الروم إلى أرض العرب، وهذا القول اختاره القرطبي، وهو مروي عن ابن عباس[9]، وقتادة[10]، وعكرمة[11]، وبه قال الجمهور[12]، وقاله ابن زيد[13]، وعطاء

---

(١) جزيرة أقور: بالقاف: وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر، وديار بكر، سميت الجزيرة، لأنها بين دجلة والفرات، وهما يقبلان من بلاد الروم، وينحطّان متسامتين حتى يلتقيا قرب البصرة ثم يصبان في البحر، معجم البلدان: (١٣٤/٢).

(٢) تفسير مقاتل: (٤٠٦/٣)، والأردن: اسم البلد، وهي: أحد أجناد الشام الخمسة، وهي كورة واسعة منها: الغور، وطبرية، وصور، عكا، معجم البلدان: (١٤٧/١). وفلسطين: هي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها البيت المقدس ومن مشهور مدنها: عسقلان، والرملة، وغزة، معجم البلدان: (٢٧٤/٤).

(٣) الجامع: (٤/١٤).

(٤) معاني القرآن: (٢٤١/٥)، والكشف والبيان: (٢٩٤/٧).

(٥) النكت والعيون: (٢٩٨/٤).

(٦) الوسيط: (٤٢٧/٣).

(٧) معالم التنزيل: (٧٢٦/٥).

(٨) كَسْكر: هي بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده كاف مفتوحة، وراء مهملة، وهو بلد بالعراق معروف، معجم البلدان، (٤٦١/٤)، ومعجم ما استعجم: (١١٢٨/٤).

(٩) جامع البيان: (٧٤/٢٠)، ومعاني القرآن: (٢٤٤/٥)، والكشف والبيان: (٢٩٤/٧)، وسنده حسن عند الطبري.

(١٠) جامع البيان: (٧١/٢٠)، تفسير ابن أبي حاتم: (٣٠٨٧/٩).

(١١) جامع البيان: (٩٦/٢٠)، والكشف والبيان: (٢٩٤/٧)، ومعالم التنزيل: (٢٦١/٦).

(١٢) النكت والعيون: (٢٩٨/٤).

(١٣) جامع البيان: (٧٢/٢٠).

الخرســـاني[١]، ومال إليه ابن كثير[٢]، قال ابن عاشـــور: "أي: أدنى بلاد الروم إلى بلاد العرب، فالتعريف في ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾للعهد، أي: أرض الروم المتحدث عنهم، أو اللام عوض عن المضـــاف اليه، أي: في أدنى أرضـــهم، أو أدنى أرض الله وحذف متعلق﴿أَدۡنَى﴾ لظهور أن تقديره: من أرضـــكم، أي أقرب بلاد الروم من أرض العرب، فإن بلاد الشـــام تابعة يومئذ للروم وهي أقرب مملكة للروم من بلاد العرب، وكانت هذه الهزيمة هزيمة كبرى للروم"[٣].

وإن خـالف الرازي في المراد بـالأرض في قولـه: "قولـه تعـالى: ﴿فِيٓ أَدۡنَى﴾ أي: أرض العرب، لأن الألف واللام للتعريف والمعهود عندهم أرضـــهم"[٤]، إلا أن الجمع بينهمـا أقرب مكـان من أرض الروم للعرب، وأقرب مكـان من أرض العرب للروم، ووافق الرازي على هذا القول: البيضاوي[٥]، وأبو سعود[٦]، والشوكاني[٧].

القول الثـالـث: الأردن وفلســـطين، قـالـه مقـاتـل[٨]، والســـدي[٩]، وهو قول السمرقندي[١٠]، وأما الألوسي[١١] فقد ذكر الأقوال ولم يرجح.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣٠٠/٦).
(٢) المرجع نفسه: (٣٠٠/٦).
(٣) التحرير والتنوير: (٤٣/٢١).
(٤) مفاتح الغيب: (٨٠/٢٥).
(٥) أنوار التنزيل: (٢٠١/٤).
(٦) تفسير أبي سعود: (٤٩/٧).
(٧) فتح القدير: (٢٤٧/٤).
(٨) تفسير مقاتل: (٤٠٦/٣)، والجامع: (٤/١٤)، والكشف والبيان: (٢٩٤/٧).
(٩) زاد المسير: (٤١٦/٣).
(١٠) بحر العلوم: (٣/٣).
(١١) روح المعاني: (١٩/١١).

القول الرابع: الجمع بين الأقوال وهو قول ابن عطية، وأبو حيان[1]، فقالا: "﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، معناه: أقرب الأرض، فإن كانت الواقعة في أذرعات فهي من ﴿أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، بالقياس إلى مكة وهي التي ذكر امرؤ القيس[2] في قوله:

تنورتُها مِنْ أذرُعَاتَ وَأهْلُهَا ... بيَثْرِبَ أدْنى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ[3].

وإن كانت الواقعة بالجزيرة فهي ﴿أَدۡنَى﴾ بالقياس إلى أرض كسرى، وإن كانت بالأردن فهي﴿أَدۡنَى﴾ إلى أرض الروم"[4].

الترجيح:

يتبين مما سبق في دراسة الأقوال أنَّ الراجح هو القول الثاني، أذرعات وكسكر من أرض الشام، وهي: أدنى أرض العرب لأرض الروم أو العكس، وذلك للوجوه التالية:

---

(١) البحر المحيط: (٣٧٤/٨).

(٢) امرؤ القيس: هو ابن حجر بن عمرو الكندي، شاعر جاهلي، وهو من أهل نجد، من الطبقة الأولى، توفي سنه: (٨ ق. هـ)، الشعر والشعراء: لابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣هـ، (١٠٧/١)، وطبقات فحول الشعراء: لأبي عبد الله الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني –جدة، بدون تاريخ، (٥١/١).

(٣) ديوان امرِئ القيس: اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م، (١٣٦/١).

(٤) لمحرر الوجيز: (٣٢٧/٤).

أولاً: أنه ورد حديث عن ابن عباس بسند حسن.

ثانياً: أنه قول جمهور السلف.

ثالثاً: كلام ابن عاشور السابق.

هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥﴾[1].

المراد بـ﴿مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾.

اختيار الأمام القرطبي –رحمه الله–:

ذهب القرطبي إلى أن المراد من قبل هذه الغلبة ومن بعدها، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ أي: من قبل هذه الغلبة، ومن بعدها، وقيل: من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء[2].

الدراسة:

في السألة قولان.

القول الأول: أي: من قبل هذه الغلبة ومن بعدها، قال ابن جرير: ﴿مِن قَبْلُ﴾ دولة فارس على الروم، ﴿وَمِن بَعْدُ﴾ دولة الروم على فارس[3]، ومثله عن

---

(١) الروم: (٤-٥).

(٢) الجامع: (٧/١٤).

(٣) جامع البيان: (٦٦/٢٠).

مقاتل[١]، وهو قول السمرقندي[٢]، والنحاس[٣]، والبغوي[٤]، وابن عطية[٥]، والرازي[٦]، وأبي حيان[٧]، وابن كثير[٨]، والألوسي[٩]، وابن عاشور[١٠]، وهو اختيار القرطبي.

القول الثاني: من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء، قاله النحاس[١١].

الترجيح:

الأمور كلها لله، يدبر الأمور ويقضي ما يشاء؛ ولكن المراد بالآية المعنى الأول: من قبل هذه الغلبة ومن بعدها، وذلك للوجوه التالية:

أولاً: سياق الآيات تتحدث عن غلبة الروم للفرس.

ثانياً: قول جمهور المفسرين.

هذا ما تبين للباحث ترجيحه، والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير مقاتل: (٤٠٦/٣).
(٢) بحر العلوم: (٤/٣).
(٣) معاني القرآن: (٢٤٤/٥).
(٤) معالم التنزيل: (٧٣٠/٥).
(٥) المحرر الوجيز: (٣٢٨/٤).
(٦) مفاتح الغيب: (٨٠/٢٥).
(٧) البحر المحيط: (٣٧٥/٨).
(٨) تفسير ابن كثير: (٣٠٣/٦).
(٩) روح المعاني: (٢٢/١١).
(١٠) التحرير والتنوير: (٤٦/٢١).
(١١) معاني القرآن: (٢٤٤/٥).

الخاتمة

النتائج:

الحمد لله أولا وآخرًا على ما من به عليَّ من إنجاز هذا العمل الذي أحسب أني بذلت فيه جهدي، واستنفذت فيه طاقتي.

فقد عشت فترةً من الزمن مع اختيارات الإمام القرطبي –رحمه الله– في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) وحللت أقواله بأقوال كثيرٍ من المفسرين وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى نتائج، من أهمها ما يلي:

١–سعة علم القرطبي –رحمه الله– وتبحرِهِ في كثير من العلوم كالتفسير، والفقه، والأصول، واللغة، وغيرها.

٢–اهتمامه بأفضل وأصح أنواع التفسير، وهو تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين.

٣–تميزه في استخدام ألفاظ الاختيار، فيستخدم عند كل اختيار اللفظ المناسب الذي يعطي اختياره قوة ومكانة.

٤–قصده اختيار الأصوب، وعدم تعصبه لمذهب أو شخص معين، فالمعتمد عنده صحة الدليل، وقوة الاستدلال به.

٥–اهتمامه بالقراءات المتواترة والشاذة فيها، وطريقة عرضه للمسائل جيدة خاصة في المسائل الفقهية؛ حيث يرتبها على شكل مسائل؛ ليسهل على القارئ فهمها.

٦–إذا كانت هناك مسألة تناولها القرطبي بالبحث فيما سبق من السور، فإنه غالباً ما يحيل القارئ إليها، دون أن يعيد القول فيها، وهذا كثير في كتابه الجامع.

٧-إن الوصـول إلى القول الصـواب في المسـألة ليس بالجهد اليسـير، فقد احتاج مني إلى صـبر ومعاناة، وسـؤال أهل العلم بعد الاسـتعانة بالله تعالى على فهم المسألة.

التوصيات:

١-أوصـي الباحثين والمعنيين بالدراسـات القرآنية بالاهتمام بدراسـة اختيارات المفسـرين واسـتيعابها، ففيها ثروة عليمة تفسـيرية كبيرة، وتقوية لملكة التفسـير والموازنة والاختيار لدى الباحث، والاطلاع الشـامل على كتب التفسـير، ووضـوح أوجه الشـبه والاختلاف بين المفسـرين، ونقل المتأخر على المتقدم، والمسـتقلين بآرائهم واختياراتهم من المفسرين.

٢-أوصـي الأقسام والجمعيات العلمية المتخصصة في الدراسات القرآنية أن تولي دراسـة المسـائل المشـكلة في التفسـير العناية، وأن تحث الباحثين على إفراد كل مسألة بدراسات مستقلة.

٣-أرى أن تستكمل دراسة الاختيارات التي لم تبحث لعدد من المفسرين المتقدمين والمتأخرين.

٤-أرى أن ينظر في مشـروع جامع لإخراج الدراسـات والبحوث التي انتهت دراستها من مواضيع الاختيارات، بعد ترتيبها وتنسيقها.

وفي الختام أحمد الله تعالى وأشـكره على ما من به عليَّ من إتمام هذا البحث، وأسـأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصـاً لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عما كان فيه من خطإٍ وتقصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين، وصـلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	النص	الآية	الصفحة
	سورة الفاتحة		
١-	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٢	٤٩
٢-	﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	٣	٤٩
	سورة البقرة		
٣-	﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ ﴾	٢٢	٤٩
٤-	﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِى رَيۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثۡلِهِۦ ... ﴾	٢٣	٤٩
٥-	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡىِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوۡقَهَا ﴾	٢٦	١٨٢
٦-	﴿ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِى بِهِۦ كَثِيرًا ... ﴾	٢٦	١٨٧
٧-	﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍۚ ﴾	٢٩	٨٨
٨-	﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾	٢٩	٩٤
٩-	﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾	٦٣	٥٠
١٠-	﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ...﴾	١٦٤	١٠٢
١١-	﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	١٦٤	١٠٥
١٢-	﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ ﴾	١٦٤	١٢٠

١٣-	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ... ﴾	١٧٠	٥١
١٤-	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾	١٧٣	١٦٢
١٥-	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ... ﴾	١٨٦	٢١١
١٦-	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي ﴾	.١٨٦	٢٠٧
١٧-	﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾	١٨٧	١٠٧
١٨-	﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾	٢١٠	٧٣
سورة ال عمران			
١٩-	﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾	١٥٩	٧٠
سورة النساء			
٢٠-	﴿ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا ﴾	٦	٨٤
٢١-	﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾	٢٩	١٧١
٢٢-	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم ﴾	٥٦	١٤٨
سورة المائدة			
٢٣-	﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾	٣	١٦٥
٢٤-	﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ... ﴾	٣	١٧٨
سورة الأنعام			

-٢٥	﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ...﴾	٣٨	١٥١
-٢٦	﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا ﴾	١٤٥	١٦٥
-٢٧	﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ ﴾	١٤٥	١٦٧
سورة الأعراف			
-٢٨	﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾	٢٦	٧٨
-٢٩	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ ﴾	٥٧	١٢١
-٣٠	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا ﴾	٥٧	١٢٥
-٣١	﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ ﴾	١٦٠	١٩٣
-٣٢	﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾	١٧١	٥٠
-٣٣	﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ ﴾	١٧٦	١٩١
-٣٤	﴿ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١٨٧	٦٥
سورة إبراهيم			
-٣٥	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾	٤	٨٣
-٣٦	﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ﴾	٤٩-٥٠	١٤٨
سورة الحجر			
-٣٧	﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	١٢٥

٣٨-	﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾	٤٩-٥٠	٤٩
سورة النحل			
٣٩-	﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ... ﴾	٨	٢٠٤
٤٠-	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٤٠	٩٨
٤١-	﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٤٤	٤٤
٤٢-	﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	٧٩	١٢٣
٤٣-	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ...﴾	١١٥	١٥٩
سورة الأسراء			
٤٤-	﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾	٩٧	١٤٨
سورة الحج			
٤٥-	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن﴾	٥	٢٠٢
سورة المؤمنون			
٤٦-	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾	١٢-١٣	١٣٦
٤٧-	﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾	١٤	١٣٠
٤٨-	﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ...﴾	١٤	١٣٩
٤٩-	﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	١٨	١١٠
سورة النور			

٥٠-	﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾	٤	٦٩
٥١-	﴿ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ ﴾	٤	٧٣
٥٢-	﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِ﴾	١١	٧٢
٥٣-	﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ ﴾	٢٢	٧٩
٥٤-	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ﴾	٢٣	٦٨
٥٥-	﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾	٢٣	٦٩
٥٦-	﴿ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾	٢٧	٨٤
٥٧-	﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ ﴾	٣٢	٦٦
٥٨-	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُ﴾	٦٢	٧٠
٥٩-	﴿ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ ﴾	٦٢	٧١
٦٠-	﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗا﴾	٦٣	٧١
سورة الفرقان			
٦١-	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾	١	٧٤
٦٢-	﴿ تَبَارَكَ ﴾	١	٨٣
٦٣-	﴿ وَيَجۡعَل لَّكَ ﴾	١٠	٨٢
٦٤-	﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَامِ﴾	٢٥	٧٣
٦٥-	﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي﴾	٢٩	٧٤
٦٦-	﴿ ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾	٣٠	٧٤
٦٧-	﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ ﴾	٥٠	٧٤
٦٨-	﴿ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾	٥٠	٧٤
٦٩-	﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴾	٦١	٧٦
سورة العنكبوت			
٧٠-	﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ ... ﴾	٦٢/٦١/٦٠	١١٦

-٧١	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ... ﴾	٦٣	١١٦
سورة الروم			
-٧٢	﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ... ﴾	١-٢-٣	٢١٤
-٧٣	﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ...﴾	٤-٥	٨٨
سورة الأحزاب			
-٧٤	﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾	٣٧	١٨٢
سورة فاطر			
-٧٥	﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾	٩	١٢١
سورة يس			
-٧٦	﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾	٤١	١٩٨
-٧٧	﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ۝٤٢ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ... ﴾	٤٢-٤٣	٢٠٢
سورة الصافات			
-٧٨	﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾	٨٠-٨٢	١٥
سورة ص			
-٧٩	﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾	٣٢	١٣٦
سورة الزمر			
-٨٠	﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ...﴾	٦	١٤٤
سورة غافر			
-٨١	﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾	٣	٤٩
-٨٢	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	٢٠٧
-٨٣	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾	٦٠	٢٠٧

-٨٤	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ...﴾	٦٠	٢٠٨
سورة فصلت			
-٨٥	﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ ﴾	١١	٩٨
سورة الزخرف			
-٨٦	﴿ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴾	١٢	٢٠٣
سورة الجاثية			
-٨٧	﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	١٣	٨٨
سورة الأحقاف			
-٨٨	﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَا﴾	٢٣	١٢١
سورة الواقعة			
-٨٩	﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴾	٦٠	٥٤
سورة الطلاق			
-٩٠	﴿ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾	١٢	٩٤
سورة الملك			
-٩١	﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾	١٩	١٢٣
سورة الحاقة			
-٩٢	﴿ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴾	٩	٥٣
سورة الجن			
-٩٣	﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾	٢١	٦٥
سورة نوح			
-٩٤	﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾	١٦	٧٦
سورة المزمل			

-٩٥	﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴾	١٨	٦٥
سورة المدثر			
-٩٦	﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾	٣١	١٨٩
سورة الأنسان			
-٩٧	﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾	٢٤	٦٦
سورة المرسلات			
-٩٨	﴿ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴾	٢٣	٥٣
-٩٩	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴾	٤٨	٥٦
سورة النبأ			
-١٠٠	﴿ يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ ﴾	٤٠	٥٦
-١٠١	﴿ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾	٤٠	٥٦
سورة الطارق			
-١٠٢	﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴾	١٧	٥٤

فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١.	"أحلت لكم ميتتان ودمان..."	١٦٤
٢.	"أحلت لنا ميتتان ودمان..."	٢٣
٣.	"إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه..."	١٢١
٤.	"الآيتان من آخر سورة البقرة..."	٦٣
٥.	"الدعاء هو العبادة"	٣١
٦.	"إن الله تعالى حيي كريم يستحيي..."	٣١
٧.	"إن الله سيلبسك قميصاً..."	٧٨
٨.	"إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف..."	٦٣
٩.	"إن وسادك لعريض..."	١٠٧
١٠.	"أُنزل القرآن على سبعة أحرف..."	٧٧
١١.	"بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون..."	٧٨
١٢.	"بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا..."	١٢٠
١٣.	"صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط..."	٧٧
١٤.	"غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع..."	١٦٤
١٥.	"قال موسى عليه السلام يا رب علمني..."	٩٦

م	طرف الحديث	الصفحة
١٦.	"كان إذا رأى سحاباً مقبلاً من أفق من الآفاق..."	١٢١
١٧.	"كنا نطبخ البرمة على عهد..."	١٦٥
١٨.	"لا يأخذ أحد شبراً من..."	٩٦
١٩.	"من أخذ شبرا من الأرض..."	٩٦
٢٠.	"وقت النبي صلى الله عليه وسلم في المسح للمقيم يوم..."	٢٤
٢١.	"وما أصاب بعرضه فلا تأكله..."	٢٥
٢٢.	"يتكلم الرجل بتسبيحة، وتكبيرة..."	٨٥

فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت	الصفحة
١.	آنست نبأه وأفزعها القناص ... عصراً وقد دنا الامساء	٨٥
٢.	تنورتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظرٌ عالٍ	٢١٧
٣.	كأن حدوج المالكية غدوة ... وخلايا سفين بالنواصف من دد	٢٠٢
٤.	لو أشرب السلوان ما سليت ... ما بي غنى عنك وإن غنيت	١٩٤
٥.	والشمس تطلع كل آخر ليلة ... حمراء يصبح لونها يتورد	١٠٥
٦.	وقاسمها بالله جهدا لأنتُمُ ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها	١٩٣
٧.	يلومونني في سالم وألومهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم	١٤٩

فهرس الأماكن والبلدان

م	اسم المكان أو البلد	الصفحة
١.	أبزة	١٠
٢.	أذرعات	٢١٤
٣.	الأردن	٢١٥
٤.	الإسكندرية	١١
٥.	إشبيلية	٩
٦.	إفريقية	٢١
٧.	الأندلس	٥
٨.	بالمنيا	١٨
٩.	بغداد	٢١
١٠.	تونس	٢٢
١١.	الجزيرة أقور	٢١٥
١٢.	حصن سلبطرة	٢٣
١٣.	دمياط	٢٥
١٤.	الروم	٩
١٥.	سبتة	١٠
١٦.	شاطبة	١٠
١٧.	الشام	٢٥
١٨.	العراق	٢٦
١٩.	عين جالوت	٢٧
٢٠.	فارس	٢١٥

م	اسم المكان أو البلد	الصفحة
٢١.	فاس	١٠
٢٢.	فلسطين	٢١٥
٢٣.	الفيوم	١٣
٢٤.	القاهرة	١٢
٢٥.	قرطبة	٤
٢٦.	قشتالة	٢٣
٢٧.	كسرى	٢١٧
٢٨.	كسكر	٢١٥
٢٩.	كنانة	١٩٤
٣٠.	مراكش	٢٢
٣١.	المصامدة	٢١
٣٢.	مصر	٨
٣٣.	المغرب	٢١
٣٤.	مكة	١٩٨
٣٥.	منية بني خصيب	٦
٣٦.	المهدية	٢٢
٣٧.	ميورقة	٩
٣٨.	النيل	١٨
٣٩.	يثرب	٢١٧
٤٠.	اليمنية	١٨٠

فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
١.	أبان بن تغلب	٧٦
٢.	ابن أبي حجة	٥٢
٣.	ابن أبي زمنين	١٠٠
٤.	ابن إسحاق	٧١
٥.	ابن الآبار	١٠
٦.	ابن الأعرابي	١٣٠
٧.	ابن الأنباري	١٠٥
٨.	ابن الأنباري	١٠٥
٩.	ابن الجميزي	٦
١٠.	ابن الحاجب	١٤
١١.	ابن الخطيب	١٢٧
١٢.	ابن العربي	٧١
١٣.	ابن العماد	١٢
١٤.	ابن القاسم	١٦٤
١٥.	ابن القيم	١٩٥
١٦.	ابن المسيب	١٠٧
١٧.	ابن باز	١٩٥
١٨.	ابن بحر	١٠٠
١٩.	ابن تومرت	٢١
٢٠.	ابن جبير	١٤٤

م	اسم العلم	الصفحة
.٢١	ابن جزي	٩٥
.٢٢	ابن حزم	٣١
.٢٣	ابن خويز منداد	١٦٥
.٢٤	ابن رجب	١٣٢
.٢٥	ابن رشد	١٧٦
.٢٦	ابن رواج	٦
.٢٧	ابن زيد	١٣٣
.٢٨	ابن عادل الحنبلي	١٩٦
.٢٩	ابن عاشور	٩١
.٣٠	ابن عامر	٥٥
.٣١	ابن عباس	٥٥
.٣٢	ابن عثيمين	٩١
.٣٣	ابن عساكر	١٤
.٣٤	ابن عصرون	١١
.٣٥	ابن عطية	٨٩
.٣٦	ابن عمر	١٣٩
.٣٧	ابن غانية	٢٢
.٣٨	ابن فارس	٥٩
.٣٩	ابن فارس	١٠٣
.٤٠	ابن فرحون	٨
.٤١	ابن كثير	١٣

م	اسم العلم	الصفحة
٤٢.	ابن كثير	١١٢
٤٣.	ابن كيسان	٨٨
٤٤.	ابن مسعود	٥٤
٤٥.	ابن مسعود	١٣٤
٤٦.	ابن وهب	٨٤
٤٧.	أبو الحسن	١٠
٤٨.	أبو الحسن اليحصبي	١٤
٤٩.	أبو الطيب	٩٧
٥٠.	أبو العالية	١٤١
٥١.	أبو العباس	١١٢
٥٢.	أبو العباس: ضياء الدين أحمد	١٢
٥٣.	أبو القاسم	٢٠٨
٥٤.	أبو الليث السمرقندي	١٣٨
٥٥.	أبو بكر الجصاص	١٦٨
٥٦.	أبو بكر بن أبي شيبة	٨٥
٥٧.	أبو جعفر	٩
٥٨.	أبو حفص	١١٣
٥٩.	أبو حنيفة	٦٧
٦٠.	أبو حيان	٤٥
٦١.	أبو سعود	١١٣
٦٢.	أبو سليمان	٩

م	اسم العلم	الصفحة
٦٣.	أبو عامر	٩
٦٤.	أبو عبيد وأبو حاتم	٥٣
٦٥.	أبو عبيدة	٥٠
٦٦.	أبو علي	٥٥
٦٧.	أبو علي الفارسي	١٩٥
٦٨.	أبو عمر بن عبد البر	٥٣
٦٩.	أبو عمرو بن العلاء	٦٦
٧٠.	أبو محمد	١٤
٧١.	أبو معاذ	١٦٢
٧٢.	أبو موسى الأشعري	٥٣
٧٣.	أبي	٨٤
٧٤.	أبي الحجاج يوسف بن قادس	٢٣
٧٥.	أبي أيوب الأنصاري	٨٥
٧٦.	أبي بكر بن أبي قحافة	٧٩
٧٧.	أبي سعيد الخدري	٧٨
٧٨.	أبي سورة	٨٥
٧٩.	أبي عبيد	٧٦
٨٠.	أبي هريرة	٧٧
٨١.	أحمد بن يحيى ثعلب	١٠٢
٨٢.	الأخفش	١٥٠
٨٣.	الأزهري	١٩٥

م	اسم العلم	الصفحة
٨٤.	الألوسي	١١٢
٨٥.	امرؤ القيس	٢١٧
٨٦.	أمية بن أبي الصلت	١٠٥
٨٧.	الإيجي	١٢٣
٨٨.	البغوي	٩١
٨٩.	البقاعي	١٤٠
٩٠.	البيضاوي	٩١
٩١.	توران شاه	٢٥
٩٢.	الثعالبي	١٠٧
٩٣.	الثعلبي	٧٦
٩٤.	الجرجاني	١٢٣
٩٥.	الجوهري	٧٤
٩٦.	الحجازي	١٢٧
٩٧.	الحدادي	١٧٦
٩٨.	حسان	٧٩
٩٩.	الحسن	١٠١
١٠٠.	الحسن البكري	١٤
١٠١.	حمزة	٧٦
١٠٢.	الخازن	١١٢
١٠٣.	الخليل بن أحمد	١٠٦
١٠٤.	الداودي	٩٤

م	اسم العلم	الصفحة
١٠٥.	الداوودي	٩٥
١٠٦.	الذهبي	٦
١٠٧.	الرازي	٩١
١٠٨.	الراغب	١٠٧
١٠٩.	الربيع بن أنس	١٩٥
١١٠.	الرحال	١٤
١١١.	الزجاج	٨٣
١١٢.	الزحيلي	١٣٢
١١٣.	الزركشي	٤٨
١١٤.	الزمخشري	٩١
١١٥.	الزهري	٧٠
١١٦.	السبكي	١٢
١١٧.	السدي	١٥٤
١١٨.	السعدي	٩١
١١٩.	سعيد بن جبير	٦٨
١٢٠.	سعيد بن زيد	٩٦
١٢١.	سفيان بن عيينة	١٥١
١٢٢.	سليمان بن موسى	٩٩
١٢٣.	السمرقندي	١١١
١٢٤.	السمعاني	٩٠
١٢٥.	السمين الحلبي	١٩٩

م	اسم العلم	الصفحة
١٢٦.	السيوطي	١٦
١٢٧.	الشعبي	١٣٣
١٢٨.	الشنقيطي	٩٥
١٢٩.	شهاب الدين أحمد	١٦
١٣٠.	الشوكاني	٩٥
١٣١.	الصابوني	١٢٢
١٣٢.	صلاح الدين الأيوبي	٢٤
١٣٣.	طاؤوس	٩٩
١٣٤.	الطبري	٨٤
١٣٥.	الطبري	٨٥
١٣٦.	طرفة	٢٠٢
١٣٧.	عائشة	٨١
١٣٨.	عبد الرحمن الداخل	٣٦
١٣٩.	عبد الرحيم بن سليمان	٨٥
١٤٠.	عبد الله بن أبي	٨١
١٤١.	عبد الله بن الأنصاري	٣١
١٤٢.	عبد الله بن الحسن القرطبي	٣٢
١٤٣.	عبد الله بن حوط	٣٢
١٤٤.	عبد الله ياسين	٣١
١٤٥.	عبد المؤمن	٢٢
١٤٦.	عدي بن حاتم	١٠٧

م	اسم العلم	الصفحة
١٤٧.	العز بن عبد السلام	١٣٢
١٤٨.	عطاء	١٠٣
١٤٩.	عكرمة	٥٤
١٥٠.	فخر الدين الرازي	٤٨
١٥١.	الفراء	٥٣
١٥٢.	فضالة بن عبيد	١٨٠
١٥٣.	الفونس	٢٢
١٥٤.	القاسمي	١٢٧
١٥٥.	القاضي	١٥٤
١٥٦.	القاضي أبو محمد	١٧٩
١٥٧.	قتادة	٩٠
١٥٨.	القتبي	٥٤
١٥٩.	قتيبة	١٣٢
١٦٠.	القتيبي	٥٠
١٦١.	القرافي	١٣
١٦٢.	القرطبي	٤
١٦٣.	القشيري	٨٢
١٦٤.	القفال	١٣١
١٦٥.	القنوجي	٢٠٠
١٦٦.	الكتبي	١٦
١٦٧.	الكلبي	١١١

م	اسم العلم	الصفحة
١٦٨.	الماتريدي	١١٧
١٦٩.	مالك	٧١
١٧٠.	الماوردي	٧٢
١٧١.	مجاهد	٨٢
١٧٢.	المحاسبي	١٤
١٧٣.	محمد بن الجهم	٥٤
١٧٤.	محمد مخلوف	١٩
١٧٥.	محيي الدين	١٢٧
١٧٦.	المراغي	٩٥
١٧٧.	مسروق	٨١
١٧٨.	مسطح بن أثاثة	٧٩
١٧٩.	المظهري	١٢٣
١٨٠.	مقاتل	١١٧
١٨١.	المقري	١٢
١٨٢.	مكحول	٧٠
١٨٣.	المهدوي	٥٥
١٨٤.	المؤرج	١٩٤
١٨٥.	نافع	٥٣
١٨٦.	النحاس	٦٩
١٨٧.	النسائي	٩٦
١٨٨.	النسفي	١١١

م	اسم العلم	الصفحة
١٨٩.	النضر بن شميل	١٠٥
١٩٠.	النظام	٥٣
١٩١.	النقاش	١٠٦
١٩٢.	النيسابوري	١١١
١٩٣.	الهذلي	١٩٥
١٩٤.	وابن الجوزي	٩١
١٩٥.	وابن عرفة	١٦٣
١٩٦.	الواحدي	٩١
١٩٧.	واصل بن السائب	٨٥
١٩٨.	والضحاك	٦٩
١٩٩.	والكسائي	٥٣
٢٠٠.	المؤرج السدوسي	١٩٤
٢٠١.	يحيى بن سلام	١١٧
٢٠٢.	يعقوب المنصور	٣١

فهرس المصادر والمراجع

١. ال معجم المفسرين: من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت/ لبنان، تحقيق: أبو ياسر الجزائري، ط٣، ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م.

٢. التحرير والتنوير: لأبن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٣. الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٤. آثار البلاد وأخبار العباد: للقزويني، دون تاريخ دار صادر / بيروت.

٥. الإحاطة في اخبار غرناطة: لأبن الخطيب، تحقيق: عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة طبعة ١٣٩٤هـ.

٦. احكام القرآن: لأبن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٧. أحكام القرآن: للجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي / بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ.

٨. إحياء التراث: للبغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٩. اختيارات القرطبي في فقه المعاملات من كتاب الجامع لإحكام القران، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، اعداد الطالب محمد عبد القادر عبد الله، طبعه ١٤٣٤هـ.

١٠. الآراء الأصولية للأمام القرطبي رسالة دكتوراه منشوره، لأحمد عيسى يوسف، دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.

١١. الآراء الأصولية للإمام القرطبي: رسالة دكتوراه منشورة، لأحمد عيسى يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: للقسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.
١٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: المسمى تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي / بيروت.
١٤. ارشاد العقل السليم: لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي / بيروت، بدون طبعه.
١٥. الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى: لأبو العباس، دار الكتاب، ط ١٩٥٤م.
١٦. أضواء البيان: للشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ -١٩٩٥مـ.
١٧. إعراب القرآن وبيانه، تحقيق: ديوان ديك الجن، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص / سورية، دار اليمامة -دمشق -بيروت، دار ابن كثير -دمشق / بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ.
١٨. الأعلام للزركلي: دار العلم للملايين، ط٥، أيار / مايو ٢٠٠٢م.
١٩. الإمام القرطبي ومنهجه في التفسير: بقلم الشيخ: احمد ادريس عبده، الزاوية الحملاويه، ولاية ميلة، ط٢٠١٠م، الجزائر / مكتبة الصور، نشاطات.
٢٠. إنباه الرواة: لجمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي / القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية / بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٢م.
٢١. الأنواء في مواسم العرب، لأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
٢٢. انوار التنزيل واسرار التأويل: للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط١، -١٤١٨هـ.
٢٣. أوضح التفاسير: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، رمضان ١٣٨٣هـ / فبراير ١٩٦٤م.
٢٤. إيجاز البيان عن معاني القرآن: للنيسابوري، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي / بيروت، ط١، -١٤١٥هـ.

٢٥. الباعث الحثيث: لأبن كثير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط٢.
٢٦. البحر المحيط: لأبو حيان الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر / بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
٢٧. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبو العباس، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي / القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.
٢٨. بداية المجتهد: لابن رشد، دار الحديث – القاهرة الطبعة: تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
٢٩. البداية والنهاية: لأبن كثير، تحقيق: على شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٠. البرهان في علوم القرآن: للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ -١٩٥٧م.
٣١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية / لبنان / صيدا.
٣٢. البيت في العقد الفريد: للأندلسي، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
٣٣. تاج العروس: للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٣٤. تاريخ الإسلام: شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي لبنان، ط٢، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.
٣٥. تاريخ الخلفاء: للسيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٣٦. التاريخ الكبير للبخاري، أبو عبد الله، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
٣٧. تاريخ المشرق العربي الإسلامي: عصام شبارو، دار الفكر لبنان ط، ١٩٩٩م.
٣٨. تاريخ دمشق لابن عساكر: تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

٣٩. تأويلات أهل السنة: للماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية / بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
٤٠. التحبير شرح التحرير: لعلاء الدين أبو الحسن، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد -السعودية -الرياض، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
٤١. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: للقرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
٤٢. التسهيل في علوم التنزيل: لابن جزي الكلبي، تحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط٢ -١٤١٦هـ.
٤٣. تفسير ابن أبي زمنين: تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة / محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة / مصر/ القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
٤٤. تفسير ابن عرفة: تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط١، ١٩٨٦م.
٤٥. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم: للنجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.
٤٦. تفسير السمعاني: تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٤٧. تفسير العز بن عبد السلام: تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم / بيروت، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.
٤٨. تفسير الفاتحة والبقرة: لابن العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.
٤٩. تفسير القاسمي: تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٥٠. تفسير المراغي: شركة مكتبة ومطبعة، مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ -١٩٤٦م.

٥١. التفسير المظهري: تحقيق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية / الباكستان، الطبعة: ١٤١٢هـ.
٥٢. تفسير المنار: لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
٥٣. التفسير الواضح: للحجازي، دار الجيل الجديد / بيروت، ط١٠، -١٤١٣هـ، بدون تاريخ.
٥٤. تفسير بن ابي حاتم: تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز / المملكة العربية السعودية، ط٣ -١٤١٩هـ.
٥٥. تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: ١٣٩٨هـ ،١٩٧٨م.
٥٦. تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث / بيروت، ط١، -١٤٢٣هـ.
٥٧. التفسير والمفسرون: للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة،
٥٨. تفسير يحيى بن سلام: تحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
٥٩. التكملة لكتاب الصلة: لأبن آبار، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٦٠. تهذيب التهذيب: لأبي الفضل العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
٦١. تهذيب الكمال: لأبي محمد القضاعي تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة / بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.
٦٢. تهذيب اللغة: لأبن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٦٣. تهذيب اللغة: للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦٤. توفيق الرحمن في دروس القرآن: لفيصل النجدي، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.
٦٥. التيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٦٦. الثقات لابن حبان: تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن- الهند، ط١، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م.
٦٧. الثقات لابن حبان: طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٦٨. جامع البيان في تأويل القرآن للطبري: تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٦٩. جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
٧٠. جامع البيان في تفسير القرآن: للإيجي، تحقيق: أبو إبراهيم حسانين، دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.
٧١. الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: لصهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ١٥ -٨ - ٢٠١٤م، الكتاب غير مطبوع.
٧٢. الجامع لإحكام القرآن: للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية / القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م،
٧٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي: تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ط١ - ١٤١٨هـ.
٧٤. الجواهر المضية: لمحيي الدين الحنفي، مير محمد كتب خانه / كراتشي.

٧٥. حياة الحيوان الكبرى: لكمال الدين الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
٧٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون طبعه.
٧٧. الدر المنثور: السيوطي، دار الفكر / بيروت، بدون تاريخ.
٧٨. درج الدُرر في تفسير الآيات والسور: للجرجاني، تحقيق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، ومحقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر / عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
٧٩. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: للشنقيطي، مكتبة ابن تيمية / القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.
٨٠. الديباج المذهب: لأبن فرحون تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
٨١. ديوان الإسلام: لشمس الدين أبو المعالي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط١، ١٤١١هـ -١٩٩٠م.
٨٢. ديوان امرِئ القيس: اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
٨٣. الذيل والتكملة: للمراكشي، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٢م.
٨٤. رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي.
٨٥. روائع التفسير: لابن رجب الحنبلي، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة -المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٨٦. روضة الناظر وجنة المناظر: لأبن قدامه المقدسي، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٨٧. زاد المسير في علم التفسير للجوزي: تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي / بيروت، ط١، -١٤٢٢هـ.
٨٨. السلوك لمعرفة تولة الملوك: للمقريزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية / لبنان/ بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٨٩. سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
٩٠. سير اعلام النبلاء: للذهبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٩١. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لأبن مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، الجزء الأول، دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان،
٩٢. شذرات الذهب: لأبن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق / بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
٩٣. شرح المعلقات العشر: لأبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
٩٤. شرح معاني الآثار: للطحاوي، حققه وقدم له: محمد زهري النجار / محمد سيد جاد، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٩٥. الشعر والشعراء: لأبن قتيبة، دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣هـ.
٩٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين / بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.
٩٧. صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي / بيروت.
٩٨. صفوة التفاسير: للصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.
٩٩. الضوء المنير: لأبن القيم، جمعه علي أحمد الصالحي، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، مكتبة دار السلام، بدون تاريخ.
١٠٠. طبقات الشافعية: للسبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٠١.طبقات الشافعية: للسبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.
١٠٢.طبقات الصوفية: للنيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
١٠٣.طبقات المفسرين. السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ.
١٠٤.طبقات المفسرين: للداودي، دار الكتب العلمية/ بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنه من العلماء.
١٠٥.طبقات فحول الشعراء: لأبو عبد الله الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني –جدة، بدون تاريخ.
١٠٦.عصر سلاطين المماليك: لقاسم عبده قاسم، مؤسسة عين للدراسات والبحوث، طبعة ٢٠٠٧م.
١٠٧.العقد الفريد: لأبي عمر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
١٠٨.غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ.
١٠٩.غاية النهاية في طبقات القراء: لأبن الجزري، مكتبة ابن تيمية، جمعه برجستراسر، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ.
١١٠.غرائب القرآن وعجائب التأويل: لابي القاسم برهان الدين الكرماني، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية / جدة، مؤسسة علوم القرآن / بيروت، بدون تاريخ.
١١١.غرائب القرآن: للنيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١ –١٤١٦هـ.
١١٢.فتح الباري: لأبن حجر، دار المعرفة / بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
١١٣.فتحُ البيان في مقاصد القرآن: راجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، / بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ–١٩٩٢م.

١١٤.فتح القدير: للشوكاني دار ابن كثير، دار الكلم الطيب –دمشق، بيروت، ط١– ١٤١٤هـ.
١١٥.فضائل الصحابة: لأحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة / بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
١١٦.فوات الوفيات في معرفة أعيان علماء المذهب: لأبن شاكر، الملقب بصلاح الدين، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، (سبتمبر) ١٩٧٣م،
١١٧.القرآن الكريم مصحف المدينة.
١١٨.قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، دار القلم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م.
١١٩.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، دار الكتاب العربي / بيروت، ط٣، –١٤٠٧هـ.
١٢٠.الكشف والبيان عن تفسير القرآن: للثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ –٢٠٠٢م.
١٢١.لباب التأويل في معاني التنزيل: ما يعرف بتفسير الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١ –١٤١٥هـ.
١٢٢.اللباب في تحرير الأنساب، جلال الدين السيوطي، دار صادر / بيروت.
١٢٣.اللباب في تهذيب الأنساب: لأبو حسن الجزري، دار صادر بيروت، طبعه ١٤٠٠هـ.
١٢٤.اللباب في علوم الكتاب: تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ–١٩٩٨م.
١٢٥.لسان العرب: فصل الراء المهملة، لأبن منظور، دار صادر / بيروت، ط٣، –١٤١٤هـ.
١٢٦.لطائف الإشارات: للقشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ مصر، ط٣، بدون تاريخ.

١٢٧.للشعراء الهذليون، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة / جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.
١٢٨.مجاز القرآن لأبي عبيدة: تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى / القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.
١٢٩.مجلة الوعي الإسلامي الكويتية: عبد المجيد وافي، والامام القرافي، العدد الاربعون، سنة ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
١٣٠.مجموع الفتاوى: لأبن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ–١٩٩٥م.
١٣١.محاسن التأويل للقاسمي: تحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، – ١٤١٨هـ.
١٣٢.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، تحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، –١٤٢٢هـ.
١٣٣.المحرر الوجيز: لأبن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٣٤.المحلى بالآثار: لابن حزم، دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون.
١٣٥.مختار الصحاح: للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت / صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.
١٣٦.مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل: لعبد الله الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
١٣٧.مختصر في قواعد التفسير: باب: ضوابط وقواعد عند احتمال اللفظ لمعنيين، لخالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم / دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
١٣٨.مدارج السالكين: لأبن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي / بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ –١٩٩٦م.

١٣٩. مساق فقه الكتاب والسنه: دراسة في منهجي الإمام القرطبي في التفسير والإمام النووي في شرح الحديث، بقلم الدكتور: ماهر حامد الحولي، سنة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
١٤٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للنيسابوري، تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
١٤١. معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، تحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر / عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ -١٩٩م.
١٤٢. معالم التنزيل: مختصر تفسير البغوي، لعبد الله بن محمد زيد، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.
١٤٣. معاني القرآن للأخفش: تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ -١٩٩٠م.
١٤٤. معاني القرآن: لأبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى / مكة الكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٤٥. معاني القرآن: للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب / بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.
١٤٦. معاني القرآن: للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١.
١٤٧. معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
١٤٨. المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري: لأكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن، دار ابن عفان، القاهرة.
١٤٩. المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

١٥٠.المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة، بدون تاريخ.
١٥١.معجم قبائل العرب: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.
١٥٢.معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: للأندلسي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
١٥٣.معجم ما استعجم: للبكري، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
١٥٤.معجم مقاييس اللغة: للرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
١٥٥.المغني: لأبن قدامه، مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.
١٥٦.مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، -١٤٢٠هـ.
١٥٧.مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٧هـ.
١٥٨.منار العقيدة والفكر للتواصل: ٢٣يونيو، ٢٠١٢م، المصدر نت.
١٥٩.مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
١٦٠.الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net.
١٦١.موقع قصة الإسلام تحديث ٢٠٠٨.
١٦٢.النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لجمال الدين الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
١٦٣.نزهة الألباء: لعبد الرحمن الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط٣، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
١٦٤.نشرة تعريفية لكتاب: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، اعداد: مصطفى تنكرا، تاريخ/٦/٢٠١٣م.

١٦٥.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.
١٦٦.نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقري التلمساني، تحقيق: احسان عباس، بيروت، ط١، ٢٠ فبراير، ١٩٦٨م.
١٦٧.النكت على كتاب ابن الصلاح: لأبن حجر، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١٦٨.النكت والعيون: للماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان.
١٦٩.نهاية الأرب في فنون الأدب: لشهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٧٠.الهداية الى بلوغ النهاية: لابي بو محمد مكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
١٧١.الوافي بالوافيات: للصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث / بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
١٧٢.الوجيز للواحدي: تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية / دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٧٣.وروح البيان: لإسماعيل أبو الفداء، دار الفكر / بيروت، بدون تاريخ.
١٧٤.وفتح البيان في مقاصد القرآن: لابي الطيب، راجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٧٥.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر / بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
استـــهـــــلال	ج
إهـــــداء	د
الشكر والعرفان	هـ
ملخص الرسالة	و
المقدمة	د
أهمية الموضوع	ذ
أسباب اختيار الموضوع	ذ
أهداف البحث	ر
الدراسات السابقة في الموضوع	ر
حدود البحث	ر
منهج البحث	ك
هيكل البحث	ك
الباب الأول	١
الفصل الأول: التعريف بالإمام (القرطبي)	٢
المبحث الأول: التعريف بالإمام القرطبي	٣
المطلب الأول: اسمه وكنيته ومولده ونشأته، وفيه فرعان	٤
المطلب الثاني: طبقته وعلمه وهديه وتلاميذه ومشايخه، وفيه فرعان	٦
المطلب الثالث: وفاته وثناء العلماء عليه، وفيه فرعان	١٨
المبحث الثاني: عصر الإمام القرطبي	٢٠
المطلب الأول: الحالة السياسية	٢١
المطلب الثاني: الحالة الاقتصادية	٢٨

المطلب الثالث: الحالة الثقافية والعلمية	٣٠
المبحث الثالث: مذهب الإمام القرطبي وعقيدته	٣٥
المطلب الأول: مذهبه الفقهي وعقيدته	٣٦
المطلب الثاني: مصادر ثقافته	٣٩
الفصل الثاني: كتاب الجامع لأحكام القرآن وأهميته	٤٢
المبحث الأول: تفسير الإمام القرطبي وأهميته	٤٣
المطلب الأول: التعريف بالتفسير (الجامع لأحكام القرآن)	٤٤
المطلب الثاني: أهمية التفسير (الجامع لأحكام القرآن)	٤٦
المبحث الثاني: المنهج العام في تفسير الإمام القرطبي	٤٧
المطلب الأول: عنايته بالمناسبات بين القرآن وسوره	٤٨
المطلب الثاني: عنايته بالقراءات	٥٢
المطلب الثالث: عنايته بأسباب النزول	٥٦
المبحث الثالث: منهج الإمام القرطبي في الاختيار والترجيح	٥٨
المطلب الأول: تعريف الاختيار والترجيح	٥٩
المطلب الثاني: صيغ الترجيح عند الإمام القرطبي	٦١
المطلب الثالث: وجوه الترجيح عند الإمام القرطبي	٦٨
الباب الثاني	٨٦
الفصل الثالث: اختيارات الإمام القرطبي في الآيات الكونية من خلال تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)	٨٦
المبحث الأول: اختيارات الإمام القرطبي في آيات خلق الأرض والسموات واختلاف الليل والنهار	٨٧

المطلب الأول: اختياراته في آيات خلق الأرض والسموات	٨٨
المطلب الثاني: اختياراته في آيات اختلاف الليل والنهار	١٠٢
المبحث الثاني: اختيارات الإمام القرطبي في آيات نزول المطر لإحياء الأرض وتصريف الرياح والسحاب	١٠٩
المطلب الأول: اختياراته في آيات نزول المطر لإحياء الأرض	١١٠
المطلب الثاني: اختياراته في آيات تصريف الرياح والسحاب	١٢٠
المبحث الثالث: خلق الإنسان، وجلده، واختلاف الكائنات	١٢٩
المطلب الأول: اختيارات الإمام القرطبي في آيات خلق الإنسان، وجلده	١٣٠
المطلب الثاني: اختياراته في آيات اختلاف الكائنات	١٥١
الفصل الرابع: اختيارات الإمام القرطبي في آيات التحريم، والفلك، والتأمل	١٥٧
المبحث الأول: اختيارات الإمام القرطبي في آيات تحريم الميتة، والدم ولحم الخنزير	١٥٨
المطلب الأول: اختياراته في آيات تحريم الميتة، والدم	١٦٢
المطلب الثاني: اختياراته في آيات تحريم لحم الخنزير	١٧٥
المطلب الثالث: اختياراته في آيات تحريم المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع	١٧٧
المبحث الثاني: اختيارات الإمام القرطبي في آيات ضرب الأمثال للناس، ونزول النعم، وحمل نوح وذريته في الفلك	١٨١
المطلب الأول: اختياراته في آيات ضرب الأمثال للناس	١٨٢
المطلب الثاني: اختياراته في آيات نزول النعم ومنها، مائدة بني إسرائيل	١٩٣

المطلب الثالث: اختياراته في آيات حمل ذرية نوح في الفلك	١٩٨
المبحث الثالث: نداء الفطرة عند الشدة، والتأمل في آيات الله	٢٠٦
المطلب الأول: اختياراته في آيات نداء الفطرة عند الشدة	٢٠٧
المطلب الثاني: اختياراته في آيات التأمل في آيات الله	٢١٤
الخاتمة	٢٢١
النتائج	٢٢٢
التوصيات	٢٢٣
فهرس الآيات القرآنية	٢٢٥
فهرس الأحاديث النبوية	٢٣٣
فهرس الأبيات الشعرية	٢٣٥
فهرس الأماكن والبلدان	٢٣٥
فهرس الأعلام	٢٣٨
فهرس المصادر والمراجع	٢٤٨
فهرس الموضوعات	٢٣٥